

روستاق قاضی جلد اول

۳۷۶

تفسیر بیضاوی

کاتب الحروف محمد ابن علی

۹۲۱
۲۱۱۳۰۵

کاتب الحروف

کاتب الحروف محمد ابن علی

قاضی جلد اول

۳۷۶

تفسیر بیضاوی

کاتب الحروف محمد ابن علی

۹۲۱

۲۱۱۳۰۵

بسم الله الرحمن الرحيم

فان قلت بم تعلقت الباء قلت بمحذوف تقديره باسم الله اقرأ او اتلو لان الذي يتلو التسمية ... كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له ...

[illegible]

ورق	
١١	سورة البقرة
٨٢	جزء سيقول
١١٩	تلك الرسل
١٣٢	سورة آل عمران
١٥٠	جزء لن تنالوا البر
١٧١	سورة نساء
١٧٩	جزء والمحصنات
٢٠٨	لا يحب الله
٢١٤	سورة مائدة
٢٣١	جزء واذا سمعوا
٢٤٤	انعام
٢٦٣	جزء ولو اننا
٢٧٣	ختم سورة الانعام

ما بعده سورة الاعراف

١١	بقرة
٨١	سيقول السفهاء
١١٩	تلك الرسل
١٥٠	لن تنالوا البر
١٧١	نساء
١٧٩	والمحصنات
٢١٤	مائدة
٢٤٤	انعام
٢٦٣	ولو اننا
٢٧٣	ختم سورة الانعام

لا يحب الله

ما بعده سورة الاعراف

[illegible]

جمعه ١٢٢٩ ... ١٣٢٨

E. D. —

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى
بأقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به
قديرا وأفحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى
حسبوا أنهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل إليهم حسبما عن
لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب تذكيرا
فكشف لهم قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر
متشابهات هن رموز الخطاب تأويلا وتفسيرا وأبرز غوامض
الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت و
خبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد
لهم قواعد الأحكام وأوضاعها من نصوص الآيات وألماعها
ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو
شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع إليه رأسه و
أطفأ نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرا فيا واجب الوجود
ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلاة توازي غناءه

وتجازي عناءه وعلى من أعانه وقرر تبيانه تقريرا وأفض علينا من بركاتهم
واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم عليه وعليهم تسليما كثيرا

وبعد فإن أعظم العلوم مقدارا وأرفعها شرفا ومنارا علم
التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد الشرع
وأساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه إلا من برع
في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها وفاق في الصناعات
العربية والفنون الأدبية بأنواعها ولطالما أحدث نفسي
بأن أصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء
الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين
وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها أنا ومن قبلي
من أفاضل المتأخرين وأماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراءة
المشهورة المعزوة إلى الأئمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية
عن القراء المعتبرين إلا أن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام و
يمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به
عزمي على الشروع فيما أردته والإتيان بما قصدته ناويا أن أسميه

بعد ان اتممه بانوار التنزيل واسرار التاويل فها انا الآن اشرع و بحسن توفيقه اقول وهو الموفق لكل خير و المعطي كل مسؤول

سورة فاتحة الكتاب

وتسمى ام القران لانها مفتتحه ومبدؤه فكانها اصله ومنشاؤه ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله و التعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها او استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عليه الصلوة والسلام هي شفاء لكل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية اية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي

بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي رضي الله عنهم وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة فيه بشيء فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن اجلها اختلف في انها آية برأسها ام بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم يكتب آمين والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له وذلك اولى من ان يضمر ابدأ لعدم ما يطابقه ويدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما في قوله بسم الله مجريها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص ولا يبتدئ به شيئا ما لم يصدره باسمه

لقوله صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر
وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله اقرأ وهذا
وما بعده الى آخر السورة مقول على ألسنة العباد ليعلم كيف يتبرك
باسمه ويحمد على نعمه ويسأل من فضله وانما كسرت ومن حق
الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما
كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما و
بين لام الابتداء والاسم عند البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها
لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها مبتدأ بها
همزة الوصل لان من دأبهم ان يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن و
يشهد له تصريفه على اسماء واسامي وسمي وسميت ومجيء سمى كهدى
لغة فيه قال شعر والله اسماك سمى مباركا آثرك الله به ايثاركا
والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له
ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها
همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما
حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال شعر بسم الذي في

في كل سورة سمه والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من اصوات
مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة
ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه
لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى سبح اسم ربك المراد به اللفظ لانه
كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة
لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة كما هو رأي الشيخ
ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى
والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل
بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن
ولم تكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء
عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف و
اللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق
والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بحق واشتقاقه
من اله الهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأله

وقيل من أله إذا تحير لأن العقول تتحير في معرفته أو من ألهت
إلى فلان إذا سكنت إليه لأن القلوب تطمئن بذكره والأرواح تسكن
إلى معرفته أو من أله إذا فزع من أمر نزل عليه وآلهه غيره أجاره
إذ العائذ يفزع إليه وهو يجيره حقيقة أو بزعمه أو من أله الفصيل
إذا أولع بأمه إذ العباد مولعون بالتضرع إليه في الشدائد أو من
وله إذا تحير وتخبط عقله وكان أصله ولاه فقلبت الواو همزة
لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضم في وجوه فقيل إلاه كإعاء
وإشاح ويرده الجمع على آلهة دون أولهة وقيل أصله لاه مصدر
لاه يليه ليها ولاها إذا احتجب وارتفع لأنه تعالى محجوب عن إدراك
الأبصار ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر
كحلفة من أبي رياح يسمعها لاهه الكبار وقيل علم لذاته المخصوصة
لأنه يوصف ولا يوصف به ولأنه لا بد له من اسم يجري عليه صفاته
ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولأنه لو كان وصفا لم يكن قول
لا إله إلا الله توحيدا مثل لا إله إلا الرحمن فإنه لا يمنع الشركة والأظهر
أنه وصف في أصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار له كالعلم

مثل الثريا والصعق أجري مجراه في إجراء الوصف عليه وامتناع الوصف
به وعدم تطرق احتمال الشركة إليه لأن ذاته من حيث هو بلا اعتبار
أمر آخر حقيقي أو غيره غير معقول للبشر فلا يمكن أن يدل عليه بلفظ
ولأنه لو دل على مجرد ذاته المخصوصة لما أفاد ظاهر قوله وهو الله في
السموات معنى صحيحا ولأن معنى الاشتقاق هو كون أحد اللفظين
مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الأصول
المذكورة وقيل أصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الألف الأخيرة
وإدخال اللام عليه وتفخيم لامه إذا انفتح ما قبله أو انضم سنة
وقيل مطلقا وحذف ألفه لحن تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح
اليمين وقد جاء في ضرورة الشعر ألا لا بارك الله في سهيل
إذا ما الله بارك في الرجال الرحمن الرحيم اسمان بنيا
للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة
في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والإحسان ومنه
الرحم لانعطافها على ما فيها وأسماء الله إنما تؤخذ باعتبار الغايات
التي هي أفعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن أبلغ من الرحيم

لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما فى قطع وقطّع وذلك انما يؤخذ

تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا

لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثانى

يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها

جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضى

الترقى من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم

من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقى البالغ فى الرحمة

غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستفيض بلطفه وانعامه

يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او مزيح رقة الجنسية او حب المال

عن القلب ثم انه كالواسطة فى ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة

على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى

التى بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره

او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول

ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤوس الآى

والاظهر انه غير منصرف وان حظر اختصاصه بالله ان يكون له

مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا له بالاغلب فى بابه وخصص التسمية

بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به فى مجامع الامور

هو المعبود الحقيقى الذى هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها

وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق

ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره ﴿الحمد لله﴾ الحمد هو الثناء

على الجميل الاختيارى من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل

مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه

بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا

واعتقادا قال افادتكم النعماء منى ثلثة يدى ولسانى والضمير المحجبا

فهو اعم منهما من وجه واخص من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر

اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما فى آداب الجوارح

من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال عليه الصلوة والسلام

الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران

نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به

وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده

وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها

والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد

ما هو او للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله لله اذ ما من خير الا وهو

موليه بوسط او بغير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه

اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا

شانه وقرئ الحمدِ لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما

من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة رب العالمين الرب

في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به

للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب

كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه

ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله تعالى ارجع الى ربك والعالم

اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه

من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب

لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة

وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل

اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع

وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر

ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه

في العالم الكبير ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون

وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه

الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها

فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها الرحمن الرحيم كرره للتعليل على ما

سنذكره مالك يوم الدين قراه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله يوم لا

تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرا الباقون ملك وهو

المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولما فيه من

التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك

والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك وقرئ

ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال

ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا

بالرفع والنصب يوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت

الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا اضاف اسم الفاعل الى

الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة
اهل الدار ومعناه تكلك الامور يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب
الجنة فهذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية
معدّة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل
الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما للتعظيم
او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله
تعالى من كونه ربا للعالمين موجدا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها
وباطنها عاجلها واجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب
للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يحقه على الحقيقة
سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق
المفهوم على ان من لا يتصف بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد
فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما
هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة
على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب
عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص
فانه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما ولتضمين الوعد للحامدين والوعيد

للمعرضين

للمعرضين اياك نعبد واياك نستعين ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف
بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين
خوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون
ادل على الاختصاص وللترقي من البرهان الى العيان والانتقال من
الغيبة الى الشهود وكان المعقول صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة
حضورا بنى اول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر
والتامل في اسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظم
شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول
ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا
من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن
في الكلام والعدول عن اسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة
ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين
بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس
تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة
كليلة ذي العائر الارمد وذلك من نبا جاءني وخبرته عن ابي الاسود
واياه ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف

زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في
انت والكاف في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن
بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه
وقيل هي الضمائر وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها
مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة
وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق
معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل
الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غير
ضرورية والضرورية ما لا يتاتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول
آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يصح ان يوصف الرجل بالاستطاعة
ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل
ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي وتقرب الفاعل الى الفعل وتحثه
عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف فالمراد طلب المعونة في المهمات كلها
او في اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة و
حاضري صلاة الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف
عباداتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة

وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس
معناه لا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد
ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من
حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة
بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة
جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من
احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل
ما حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن
كليمه حيث قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه هو
المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤوس
الآي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة
واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه
بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة
ايضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل
الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون

نيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حرف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم
ما بعدها اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكأنه قال كيف اعينكم
فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك
تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم ومنه الهدية وهوادي
الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل
معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع
انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى
التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة
والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح و
الفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستحبوا
العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها
عنى بقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي
هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي
او الالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه
عنى بقوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله تعالى والذين جاهدوا

فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او
حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا
طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا
لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا
ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من
سرط الطعام اذا ابتلعه فكأنه يسرط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم
والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الاطباق وقد يشم الصاد صوت
الزاي ليكون اقرب الى المبدل عنه وقرأ ابن كثير برواية قنبل ورويس عن
يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش
والثابت في الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتأنيث
والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام صراط
الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل من الكل وهو في حكم تكرير
العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان
طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وابلغه لانه جعل
كالتفسير والبيان له فكأنه من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم

الانبياء وقيل اصحاب موسى و
عيسى عليهما الصلوة والسلام قبل
التحريف والنسخ وقرئ صراط
من انعمت عليهم

م ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة
وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة
الاسلام وهي الدين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي
وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما
يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى
الحالة فيه والهيات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية
النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزيين
البدن بالهيات المطبوعة والحلي المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني
ان يغفر له ما فرط منه ويرضى عنه ويبوءه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين
ابد الآبدين والمراد هو القسم الآخر وما يكون وصلة الى نيله من القسم
الآخر فان ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم
ولا الضالين بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من
الغضب والضلال او صفة له مبينة او مقيدة على معنى انهم جمعوا
بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب والضلال

وذلك انما يصح باحد التأويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذا لم يقصد
معهود كالمحلى في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم اني لامر على
الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ما له ضد
واحد وهو المنعم عليه فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه
على الحال من الضمير المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء
ان فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا
اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع
لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتأكيد ما في غير من معنى النفي
فكأنه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب
كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير
الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطأ وله عرض
عريض والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود
لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد
ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب
عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق

الجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له من اختل احدى
قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى
في القاتل عمداً وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد
الحق الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من
التقاء الساكنين آمين اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني على الفتح
كأين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبداً
قال آمينا. وقال أمين فزاد الله ما بيننا بعداً وليس من القرآن وفاقاً
ولكن يسن ختم السورة به لقوله صلى الله عليه وسلم علمني جبريل آمين عند
فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول
علي رضي الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام و
يجهر به في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر انه صلى الله عليه وسلم كان
اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة
رحمة الله عليه انه لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن
مغفل وانس والمأموم يؤمن معه لقوله صلى الله عليه وسلم

١١

اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين
فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الا اخبرك
بسورة لم تنزل في التورية والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا
رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم
الذي اوتيته وعن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة
الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفاً منهما الا اعطيته وعن
حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله
عليهم العذاب حتماً مقضياً فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد
لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف
التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يختص

من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها به
صرح الخليل وابو علي ورواه ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه السلام
قال من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول
الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي
اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي
ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي
مركبة صدرت بها لتكون تأديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت
الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة
خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة
له اذ لم تناسب مبني الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما
الساكنين ولم يعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها
لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي تتركب منها افتتحت السورة
بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها
على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون فيه كلامهم
فلو كان من عند غير الله تعالى وتقدس لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم

وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع
مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من
الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة
والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق في فنه
وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف
المعجم ان لم يعد الالف فيها حرفا براسها في تسع وعشرين سورة بعددها
اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي
ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء
والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها
يجمعها لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك
اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره
ومن المطبقة التي هي الصاد والضاد والطاء والظاء ومن البواقي
المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها
قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن
المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف
والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن

والباقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكر
سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة الشائعة
المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد عد بعضهم سبعة اخرى وهي
اللام في اصيلال والصاد والزاي في صراط وزراط والفاء في اجداف
والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في باسمك حتى
صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام و
الصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر
الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد
والطاء والشين والثاء والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيها وهي الثلاثة
عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين
واللام والنون لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة
التي لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والراء والشين
والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بناء الثنا
وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين و
الغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيها ولما كانت ابنية
المزيد لا يتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي يجمعها

اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها
وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة
وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من
كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة
وذكرت مفردات في ثلث سور لانها توجد في الاقسام الثلاثة الاسم والفعل
والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل و
في الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الاسماء
من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة
من جر بها وثلث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلاثة في ثلث عشرة سورة تنبيها
على ان اصول الابنية المستعملة ثلث عشرة منها للاسماء وثلثة للافعال وذكر
رباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منها اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا
كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول القرآن
لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى
ان هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف والمؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور
وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا

من أنه لم يتساقط متقدمهم دون معارفتها واستدل عليه بأنها لو لم تكن
مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن
بأسره بيانا وهدى ولما أمكن التحدي به وإن كانت مفهمة فإما أن يراد بها
السور التي هي مستهلها على أنها ألقابها أو غير ذلك والثاني باطل لأنه إما
أن يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب فظاهر أنه ليس كذلك أو غيره وهو
باطل لأن القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل
على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز أن تكون مزيدة للتنبيه والدلالة
على انقطاع كلام واستئناف آخر كما قاله قطرب أو إشارة إلى كلمات هي منها
اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف لا تحسبي أنا نسينا
الإيجاف كما روي عن ابن عباس أنه قال الألف آلاء الله واللام لطفه والميم
ملكه وعنه أن الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه أن الم معناه أنا الله أعلم
ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه أن الألف من الله واللام من جبريل
والميم من محمد أي القرآن منزل من الله بلسان جبريل على محمد عليهما السلام أو
إلى مدد أقوام وآجال بحساب الجمل كما قال أبو العالية متمسكا بما روي أنه عليه
السلام لما أتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه من الحساب العد فقالوا

كيف ندخل في دين مدته إحدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله عليه السلام
فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بأيها
نأخذ فإن تلاوته إياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على
ذلك وهذه الدلالة وإن لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى
العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس أو دالة على الحروف
المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث إنها بسائط أسماء الله ومادة خطابه
هذا وإن القول بأنها أسماء السور يخرجها إلى ما ليس في لغة العرب لأن التسمية
بثلاثة أسماء فصاعدا مستكرهة عندهم ويؤدي إلى اتحاد الاسم والمسمى
ويستدعي تأخر الجزء عن الكل من حيث إن الاسم متأخر عن المسمى بالرتبة لأنا
نقول هذه الألفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستئناف
يلزمها وغيرها من حيث إنها فواتح السور ولا يقتضي ذلك أن لا يكون لها معنى في
حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم أما الشعر فشاذ
وأما قول ابن عباس فتنبيه على أن هذه الحروف منبع الأسماء ومبادي الخطاب
وتمثيل بأمثلة حسنة ألا ترى أنه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير
ولا تخصيص بهذه المعاني دون غيرها إذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب

الجمل فملحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجباً

من جهلهم وجعلها مقسماً بها وان كان غير ممتنع لكنه تحوج

الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلاثة اسماء انما

تمتنع اذا ركبت وجعلت اسماً واحداً على طريقة بعلبك فاما

اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين

التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم

والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من

حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسماً فلا دور والوجه

الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم

النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود

بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القرآن

ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها اسماء

الله تعالى ويدل عليه ان علياً رضي الله تعالى عنه كان

يقول يا كهيعص ويا حمعسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل

وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان

وهو وسطها والميم من الشفة وهي آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد

ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر

استأثره الله بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة

ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله ورموز

لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله

تعالى او القرآن او السور كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او

الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب او غيره

كاذكر او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك

وسيعود اليك ذكره مفصلاً ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها

فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر

على ما مر وان جعلتها مقسماً بها يكون كل كلمة منها منصوباً او مجروراً على

اللغتين في الله لافعلن ويكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان

جعلتها ابعاض كلمات او اصواتاً منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن

لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف عليها

وقف التمام اذا قدرت بحيث لا تحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها آية

عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطسم

وطه ويس وحم آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا توقيف

لا مجال للقياس فيه ذلك الكتاب ذلك اشارة الى الم ان اول

بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القرآن فانه لما تكلم به وتقضى
او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا وتذكير متى اريد بالم
السورة لتذكير الكتاب فانه خبره او صفته الذي هو هو او الكتاب يكون
صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بقوله انا سنلقي عليك قولا
ثقيلا او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة
وقيل فعال بني للمفعول كاللباس ثم عبر به عن المنظوم عبارة قبل
ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة لا ريب فيه
معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر
الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه
الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الآية
فما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في
معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها
تحققوا ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل
معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل
الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا
حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق
النفس ويزيل الطمأنينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك
فان الشك ريبة والصدق طمأنينة ومنه ريب الزمان لنوائبه
هدى للمتقين يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى

والتقى

والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة
قال الله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى
الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصه
وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال هدى للناس
او لانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الآيات والنظر
في المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا
ما لم تكن الصحة حاصلة واليه اشار بقوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل و
المتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعين المراد منه والمتقي اسم
فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن
يقي نفسه مما يضره في الآخرة وله ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب
المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية
التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عندهم وهو المتعارف
باسم التقوى في الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا و
اتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره و
هو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله
تعالى هدى للمتقين على الاوجه الثلثة واعلم ان الآية تحتمل اوجها
من الاعراب ان يكون الم مبتدأ على انه اسم القرآن او السورة او مقدر
بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل

ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تاليفه البالغ
اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون
الم خبر مبتدا محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته
وبني المشهور مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم
لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء
لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره
ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب
به من بين سائر الكتب كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب
على الحال او الخبر محذوف كما في لا ضير فلذلك وقف على لا ريب على ان فيه
خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك
مبتدا والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا
او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم او يكون الم خبر مبتدا محذوف
وذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفته والاوجه ان يقال ان الاربع
جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف
فالم جملة دالة ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم
وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال
ثم تحمل على كماله بنفي الريب فيه لانه لا كمال اعلى مما للحق واليقين ثم تاكيد كونه
حقا لا يحوم الشك حوله بانه هدى للمتقين او يستتبع كل واحدة منها ما يليها
استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث

انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال
واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك
والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة
ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي
الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل
وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم
وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى
متقيا ايجازا وتفخيما لشانه الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين
على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة
عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان
فسر بما يعم فعل الحسنات وترك السيئات لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس
الحسنات من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية
والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي
غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام
الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الاسلام او مادحة بما تضمنه و
تخصيص الايمان بالغيب واقام الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر اظهارا
لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب
او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره
اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة

التصديق مأخوذ من الأمن كأن المصدق آمن المصدق من التكذيب والمخالفة
وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث
ان الواثق صار ذا امن ومنه ما آمنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين
حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين
محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور
اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج
فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل
فهو فاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند
المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه وتعالى اضاف
الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم
تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع
لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها
الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
مع ما فيه من قلة التغيير لانه اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة في الآية اذ
المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب
هل هو كاف لانه المقصود او لا بد من انضمام الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق
هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل
الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة
في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض والخمصة التي

تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه
بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب
لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله
وهو المراد به في الآية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان
جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون
غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم
قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما روي ان ابن مسعود قال والذي لا اله غيره ما آمن
احد افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون
بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى
الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للآلة ويقيمون الصلاة اي يعدلون اركانها
ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها
من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق
الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي
يرغب فيه او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه
اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن الاداء
بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والتسبيح و
الاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق
بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة
كالخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون

١٩

والنفل ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه
بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الآي وادخال
من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق
من جميع المعاون التي آتاهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام
ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من
انوار المعرفة يفيضون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل
من قبلك هم مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على
الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين
تحت اعم اذ المراد باولئك الذين آمنوا عن شرك وانكار وبهؤلاء مقابلوهم
فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس او على المتقين
فكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الملل ويحتمل
ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط في قول الشاعر
الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة
للحارث الصابح فالغانم فالآيب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه
العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين
الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تباين السبيلين او
طائفة منهم وهم مؤمنو اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبرئيل
وميكائيل عقيب الملائكة تعظيما لشأنهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشيء
من الاعلى الى الاسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوق الذوات الحاملة لها

ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين
والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي
الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله
في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول
لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع الساجد
ومما رزقناهم ينفقون الرزق في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم
انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به
والمعتزلة لما استحالوا على الله تعالى ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر
بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق الا ترى انه تعالى اسند الرزق هنا
الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح
وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق
فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق
والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا
لشمول الرزق له بقوله عليه السلام في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله
طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله
وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفاق الشيء وانفاذه اخوان
ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى
الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف المال في سبيل الله من الفرض

والنفل

ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا
او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول ويلقيه على الرسول والمراد
بما انزل اليك القران باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان
بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره
قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب
كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك التورية والانجيل وغيرهما من الكتب السابقة
والايمان بهما جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون
بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وفساد
المعاش وبالآخرة هم يوقنون اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان
الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما
معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه
وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من
اهل الكتاب فان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين
اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه نظرا واستدلالا ولذلك لا يوصف به علم الباري
ولا العلوم الضرورية والآخرة تأنيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار
الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام
وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في
وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان الي مؤسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود
اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا

عن المتقين خبر له كانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين
يؤمنون بالغيب الى آخر الآيات والا فاستئناف لا محل لها فكانه نتيجة الاحكام
والصفات المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى
ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة هاهنا
كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستانف باعادة الاسم وحده لما فيه
من بيان المقتضي وتلخيصه فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى
الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء و
ركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل والغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما
يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة
النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر
قدره ونظيره قول الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم
واكد تعظيمه بان الله مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة
واولئك هم المفلحون كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات
يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف في تمييزهم بها عن غيرهم ووسط
العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين هاهنا بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل
اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة
الثانية مقررة للاولى فلا تناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد
النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر
اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا

التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين
للدلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم المفلحون في الآخرة أو الإشارة إلى ما يعرفه
كل أحد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تأمل كيف نبه سبحانه على اختصاص المتقين
بنيل ما لا يناله أحد من وجوه شتى بناء الكلام على الإشارة للتعليل مع الإيجاز وتكريره
وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لإظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء أثرهم وقد تشبث به الوعيدية
في خلود الفساق من أهل القبلة في العذاب ورد بأن المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح
ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له رأسا إن الذين كفروا
لما ذكر خاصة عباده وخالصة أوليائه بصفاتهم التي أهلتهم للهدى والفلاح عقبهم
أضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولم يعطف
قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم لتباينهما
في الغرض فإن الأولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والأخرى مسوقة لشرح تمردهم
وانهماكهم في الضلال وإن من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على
الفتح ولزوم الأسماء وإعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك
أعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الأول ورفع الثاني إيذانا بأنه فرع في العمل دخيل فيه
وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع
قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف وأجيب بأن اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد
لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين إعمال الحرف وفائدتها تأكيد
النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الأجوبة وتذكر في معرض الشك
مثل ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا إنا مكنا له في الأرض

وقال

وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم إخبار عن
قيامه وإن عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه وإن عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه
وتعريف الموصول إما للعهد والمراد به ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة
وأحبار اليهود أو للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما أسند
إليه والكفر لغة ستر النعمة وأصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل
كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وإنما عد لبس الغيار
وشد الزنار ونحوهما كفرا لأنها تدل على التكذيب فإن من صدق الرسول عليه السلام لا يجترئ
عليها ظاهرا لا لأنها كفر في أنفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على
حدوثه لاستلزامه سابقة المخبر عنه وأجيب بأنه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم
حدوث الكلام كما في العلم سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم سواء اسم
بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم
رفع بأنه خبر إن وما بعده مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل إن الذين كفروا مستو عليهم
إنذارك وعدمه أو بأنه خبر لما بعده بمعنى إنذارك وعدمه سيان عليهم والفعل
إنما يمتنع الإخبار عنه إذا أريد به تمام ما وضع له أما لو أطلق وأريد به اللفظ أو مطلق
الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الإضافة والإسناد إليه كقوله تعالى
وإذا قيل لهم آمنوا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من أن
تراه وإنما عدل ههنا عن المصدر إلى الفعل لما فيه من إيهام التجدد وحسن دخول
الهمزة وأم عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده فإنهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء
كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا أيتها العصابة

ولا تقية على الحقيقة وانما المراد بها ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب
الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد
واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف
استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الايات المنصوبة لهم في
الانفس والافاق كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها
وبين الابصار وسماها على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤفة
بها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث
هذه الهيئة بالطبع في قوله ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء في قوله
وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة
بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله بل طبع الله
عليها بكفرهم وقوله تعالى ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الاية ناعية عليهم
شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التاويل
الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه
بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها
الله خالية عن الفطن او بقلوب مقدرة ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك
وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او
الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب
الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم
سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد

والانذار التخويف من عقاب الله وانما اقتصر عليه لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس
من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع
اولى وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا
وهو لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه يؤدي الى اجتماع الساكنين على غير حده وبتوسيط
الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها
والقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه
الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما
هو علة الحكم والاية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه اخبر عنهم بانهم
لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو امنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا
يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان
الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع
الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة
الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك
قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم
ام انتم صامتون وفي الاية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص
باعيانهم فهي من المعجزات ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة
تعليل للحكم السابق وبيان لما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب
الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ اخره نظرا الى انه اخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة
فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم

ولا تقية

وما هو فيه اشعار على تمادي أمرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي. وخامسها
أن يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه
وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله لم يكن
الذين كفروا من أهل الكتاب الآية. السادس أن ذلك في الآخرة وإنما أخبر عنه
بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله ونحشرهم يوم القيامة على
وجوههم عميا وبكما وصما. السابع أن المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها
الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم. وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلام من لم يعلم فيما
يضاف إلى الله تعالى من طبع وإضلال ونحوهما. وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم
لقوله وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولأنهما لما اشتركا في
الإدراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع
الجهات وإدراك الأبصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها من فعلها الغشاوة
المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون أدل على شدة الختم في الموضعين واستقلال
كل منهما بالحكم ووحد السمع للأمن من اللبس واعتبار الأصل فإنه مصدر في أصله
والمصادر لا تجمع أو على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم. والأبصار جمع بصر وهو
إدراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل
المراد بهما في الآية العضو لأنه أشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل
العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما في قوله تعالى إن في ذلك لذكرى لمن كان
له قلب. وإنما جاز إمالتها مع الصاد لأن الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها
من التكرير. وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الأخفش

ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على أبصارهم غشاوة أو على
حذف الجار وإيصال الختم إليه والمعنى وختم على أبصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع و
بالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين
الغير المعجمة. ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال
بناء ومعنى تقول أعذب عن الشيء ونكل عنه إذا أمسك ومنه العذب لأنه يقمع
العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فأطلق على كل ألم فادح و
إن لم يكن نكالا أي عقابا يردع الجاني عن المعاودة فهو أعم منهما وقيل اشتقاقه
من التعذيب الذي هو إزالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير و
الكبير نقيض الصغير فكما أن الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به
أنه إذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالإضافة إليه ومعنى التنكير في
الآيتين أن على أبصارهم نوع غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامي عن الآيات ولهم
من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله. ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم
الآخر لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين
أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم وثنى بأضدادهم الذين محضوا
الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة رأسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين
القسمين وهم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم أخبث
الكفرة وأبغضهم إلى الله لأنهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك
طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بأفعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم
وضرب لهم الأمثال وأنزل فيهم إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار

وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين. والناس أصله أناس لقولهم انسان وانس
واناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع
بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم
يثبت فعال في ابنية الجمع مأخوذ من انس لانهم يستأنسون بامثالهم او آنس لانهم ظاهرون
مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم. واللام فيه للجنس ومن
موصوفة اذ لا عهد فكأنه قال ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود
هم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من
حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم
بزيادات زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع
بزيادات يختلف فيها ابعاضها. واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص
لما هو المقصود الاعظم من الايمان. وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا
بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون
به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ايمانا كلا ايمان
لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن
تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم. وبيان
لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع
والنفاق وعقيدتهم هذه لم يكن ايمانا فكيف وقد قالوه تمويها على المسلمين
وتهكما بهم. وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام
والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه

باللفظ وللرأي والمذهب مجازا. والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل
اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة. وما هم بمؤمنين
انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما آمنوا ليطابق قولهم
في التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا ومبالغة في التكذيب
لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان
ولذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء و
يحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه. والآية تدل على ان من ادعى الايمان
وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين
فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا ينهض
حجة عليهم. يخادعون الله والذين آمنوا الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه
من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره وضب
خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب آخر واصله الاخفاء
ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون
بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا تخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا
خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول
معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال الله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما ان صورة صنيعهم مع الله من اظهار
الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده
اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال
الرسول عليه السلام

والمؤمنين امر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة
صنع المخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول او استئناف
بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعل للمبالغة فان الزنة لما كانت للمغالبة
والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحبت
ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل
بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها
الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض وما يخادعون الا انفسهم قراءة نافع وابن
كثير وابي عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في
ذلك خدعوا انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم
على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرأ الباقون وما يخدعون لان المخادعة
لا تتصور الا بين اثنين وقرئ ويخدعون من خدع ويخدعون بمعنى يختدعون و
يخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس
ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لانه نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح
او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأي في قولهم
فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تأمره وتشير عليه والمراد
بالانفس هاهنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم وما يشعرون
لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في
الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر
الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا

المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله
ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة و
الحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية
الى زوال الحياة الحقيقية الابدية والآية تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا
على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول واستعلاء
شأنه يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم
كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي عليه السلام ونحوها فزاد الله
ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد
الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة في
قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل
قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة
وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة على الاعداء
وتبسطا في البلاد ولهم عذاب اليم اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع
وصف به العذاب للمبالغة كقول الشاعر تحية بينهم ضرب وجيع على
طريقة قولهم جد جده بما كانوا يكذبون قرأه عاصم وحمزة والكسائي والمعنى
بسبب كذبهم او ببدله جزاء لهم وهو قولهم آمنا وقرأ الباقون يكذبون من
كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من كذب
الذي هو للمبالغة او التكثير مثل بين الشيء وموتت البهائم او من كذب الوحشي
اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن

من الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله لأنه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه
وما روي أن إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب
في صورته سمي به وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض عطف على يكذبون أو
يقول وما روي عن سلمان أن أهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله أراد به أن أهلها
ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لأن الآية متصلة بما
قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح
ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم هيج الحروب والفتن بمخادعة
المسلمين وممالأة الكفار عليهم بإفشاء الأسرار إليهم فإن ذلك يؤدي إلى فساد
ما في الأرض من الناس والدواب والحرث ومنه إظهار المعاصي والإهانة
بالدين فإن الإخلال بالشرائع والإعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل
نظام العالم والقائل هو الله تعالى أو الرسول أو بعض المؤمنين قالوا إنما نحن
مصلحون جواب لإذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى أنه لا يصح مخاطبتنا
بذلك فإن شأننا ليس إلا الإصلاح وإن حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لأن إنما
يفيد قصر ما دخل عليه على ما بعده مثل إنما زيد منطلق وإنما ينطلق زيد وإنما
قالوا ذلك لأنهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال
تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون
رد لما ادعوه أبلغ رد للاستئناف به وتصديره بحرفي التأكيد ألا المنبهة على
تحقيق ما بعدها فإن همزة الاستفهام التي للإنكار إذا دخلت على النفي أفادت
تحقيقا ونظيره أليس ذلك بقادر ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدرة

بما يتلقى به القسم وأختها أما التي هي من طلائع القسم وإن المقررة للنسبة وتعريف
الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم إنما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين
والاستدراك بلا يشعرون وإذا قيل لهم آمنوا من تمام النصح والإرشاد
فإن كمال الإيمان بمجموع الأمرين الإعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله تعالى
لا تفسدوا والإتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا كما آمن الناس
في حيز النصب على المصدر وما مصدرية أو كافة مثلها في ربما واللام
في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الإنسانية العاملون بقضية
العقل فإن اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة
به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بإنسان ومن هذا
الباب قوله تعالى صم بكم عمي ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله إذ الناس ناس والزمان زمان
أو للعهد والمراد به الرسول ومن معه أو من آمن من أهل جلدتهم كابن سلام و
أصحابه والمعنى آمنوا إيمانا مقرونا بالإخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لإيمانهم
واستدل به على قبول توبة الزنديق وأن الإقرار باللسان إيمان وإلا لم يفد التقييد
قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء الهمزة فيه للإنكار واللام مشار بها إلى الناس
أو الجنس بأسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وإنما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم
أو لتحقير شأنهم فإن أكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال أو
للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم إن فسر الناس بعبد الله بن سلام وأشياعه
والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله ألا إنهم هم
السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة في تجهيلهم فإن الجاهل بجهله الجازم على

ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر
وتنفعه الآيات والنذر وانما فصلت الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر
طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما
يفتقر الى نظر وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما
يدرك بادنى تفطن وتامل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم واذا لقوا الذين آمنوا
قالوا آمنا بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه
لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم
نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي
بكر وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في
الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق
القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي
فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله فنزلت
واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته
اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت
بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه
القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمن معنى
الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان في تمردهم وهم المظهرون
كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم
وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح

ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل
قالوا انا معكم اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين
بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان
وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة
وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان
على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار انما نحن مستهزؤن
تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من
حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف فكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا
معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك و
الاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزئت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت
واصل الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه
ناقته تهزأ به اي تسرع وتخف الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم سمى
جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه
مماثلا له في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل
بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة
المستهزئ اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال
والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الآخرة فبان يفتح لهم وهم
في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك
قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف به ولم يعطف

على أن الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين أن يعارضوهم، وأن استهزاءهم
لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم، ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق
قولهم إيذانا بأن الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين، وهكذا
كانت نكايات الله فيهم كما قال: أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرتين. ويمدهم
في طغيانهم يعمهون: من مد الجيش وأمده إذا زاده وقواه، ومنه مددت
السراج والأرض إذا استصلحتهما بالزيت والسماد، لا من المد في العمر فإنه
يعدى باللام كأملى له، ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم. والمعتزلة لما تعذر
عليهم إجراء الكلام على ظاهره قالوا: لما منعهم ألطافه التي يمنحها المؤمنين وخذل
لهم بسبب كفرهم وإصرارهم وسدهم طرق التوفيق على أنفسهم فتزايدت بسببه
قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا، أو مكن الشيطان
من إغوائهم فزادهم طغيانا أسند ذلك إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى المسبب مجازا
وأضاف الطغيان إليهم لئلا يتوهم أن إسناد الفعل إليه على الحقيقة، ومصداق
ذلك أنه لما أسند المد إلى الشياطين أطلق الغي وقال: وإخوانهم يمدونهم في
الغي. أو أصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في أعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا إلا
طغيانا وعمها، فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله: واختار موسى قومه،
أو التقدير يمدهم استصلاحا، وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم. والطغيان بالضم
والكسر كلقيان ولقيان: تجاوز الحد في العصيان والغلو في الكفر، وأصله
تجاوز الشيء عن مكانه، قال الله تعالى: إنا لما طغى الماء حملناكم. والعمه في البصيرة
كالعمى في البصر، وهو التحير في الأمر، يقال: رجل عامه وعمه، وأرض عمهاء لا منار بها

قال

قال: أعمى الهدى بالجاهلين العمه. أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
اختاروها عليه واستبدلوها به، وأصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الأعيان، فإن كان
أحد العوضين ناضا تعين من حيث إنه لا يطلب لعينه أن يكون ثمنا وبذله اشتراء
وإلا فأي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه بائع، ولذلك
عدت الكلمتان من الأضداد، ثم استعير للإعراض عما في يده محصلا به غيره، سواء
كان من المعاني أو الأعيان، ومنه: أخذت بالجمة رأسا أزعرا ... وبالثنايا
الواضحات الدردرا ... وبالطويل العمر عمرا جيدرا ... كما اشترى المسلم إذ تنصرا
ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره، والمعنى أنهم أخلوا بالهدى
الذي جعل لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا
إليها، أو اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى. فما ربحت تجارتهم: ترشيح للمجاز،
لما استعمل الاشتراء في معاملتهم أتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارهم، ونحوه:
ولما رأيت النسر عز ابن داية ... وعشش في وكريه جاش له صدري
والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء، والربح الفضل على رأس المال، ولذلك سمي
شفا، وإسناده إلى التجارة وهو لأربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل،
أو لمشابهتها إياه من حيث إنها سبب الربح والخسران. وما كانوا مهتدين
لطرق التجارة، فإن المقصود منها سلامة رأس المال والربح، وهؤلاء قد أضاعوا
الطلبتين، لأن رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف، فلما اعتقدوا هذه
الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم، ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به إلى
درك الحق ونيل الكمال، فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين للأصل.

مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة
في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل
محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال وفشت في
كلام الانبياء والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه
وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة
ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان
وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله عز وجل ولله المثل
الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذي بمعنى
الذين كما في قوله وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما جاز
ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة
التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه
فحقه ان لا يجمع كما لا يجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح
بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي
عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف
ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس
المستوقدين او الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيل
وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر
لان فيها حركة واضطرابا فلما اضاءت ما حوله اي النار ما حول المستوقد ان جعلتها
متعدية والا امكن ان تكون مسندة الى ما والتانيث لان ما حوله اشياء واماكن

او

او الى ضمير النار وما موصولة في معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدة وحوله
ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور ذهب الله بنورهم
جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل
بنارهم لانه المراد من ايقادها او استئناف اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم
شبهت حالهم بحال مستوقد انطفت ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان
والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى
فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالباس واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل
بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر او للمبالغة ولذلك
عدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب
السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء
الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم لاحتمل ذهابه
بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا
الا ترى كيف قرر ذلك واكده بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة
التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة
لا يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن
معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات وقول الشاعر
فتركته جزر السباع ينشنه ما بين قلة راسه والمعصم والظلمة ماخوذة
من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية و
ظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات

معًا كما قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء وههنا
دقيقة وهي كون خرقا للعادة لكنه في حكم المنطوق به ونظيره اسد علي وفي الحروب
نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر هذا اذا جعلت الضمير المنافقين على ان الآية
من كلية التمثيل وتخيله وان جعلته للمستوقدين فهو على حقيقته والمعنى انهم
لما فقدوا انتفاعهم ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث
اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول
تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء
وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ
مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس
والعمى عدم البصر عما من شأنه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة فهم لا يرجعون
الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها او لا يعودون
فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام يتأخرون والى حيث ابتدؤا منه كيف
يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم
واحتباسهم او كصيب من السماء عطف على الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب
لقوله يجعلون اصابعهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها
فاطلقت للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى
ولا تطع منهم آثما او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان
ومن ذلك قوله تعالى او كصيب فمعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين
وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل بهما او بايتهما شئت

يبقى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمدي
ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكان الفعل غير متعد والآية
مثل ضربه الله لمن آتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي
متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الآية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء
المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به ألسنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره
حين خلوا الى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد
عن دينه بعدما آمن ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله
عنه ما اشرق عليه من انوار الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم
بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم
والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم
وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياه واذهاب نوره صم بكم عمي لما سدوا
مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الآيات
بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقول الشاعر
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا اصم عن الشيء
الذي لا اريده واسمع خلق الله حين اريد واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا
الاستعارة اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على
المستعار منه لولا القرينة كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف
له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة يتضاعف عن توهم التشبيه

والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر والسحاب قال الشماخ وأسحم دان
صادق الرعد صيب وفي الآية يحتملهما وتنكيره لأنه أريد به نوع من المطر
شديد وتعريف السماء للدلالة على أن الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فإن كل
أفق منها يسمى سماء كما أن كل طبقة منها سماء قال ومن بعد أرض بيننا وسماء
أمد به ما في الصيب من المبالغة من جهة الأصل والبناء والتنكير وقيل المراد
بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية فيه ظلمات ورعد وبرق إن أريد
بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكاناً
للرعد والبرق لأنهما في أعلاه ومنحدره ملتبسين به وإن أريد به السحاب فظلماته
سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقاً لأنه معتمد على موصوف
والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور أن سببه اضطراب أجرام السحاب واصطكاكها
إذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقاً
وكلاهما مصدر في الأصل ولذلك لم يجمعا يجعلون أصابعهم في آذانهم الضمير
لأصحاب الصيب وهو وإن حذف لفظه وأقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز
أن يعول عليه كما عول حسان في قوله يسقون من ورد البريص عليهم
بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير لأن المعنى ماء بردى
والجملة استئناف فكأنه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع مثل
ذلك فأجيب بها وإنما أطلق الأصابع موضع الأنامل للمبالغة من الصواعق
متعلق بيجعلون أي من أجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة
قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء إلا أتت عليه من الصعق وهو شدة

الصوت

الصوت وقد تطلق على كل هائل مسموع أو مشاهد ويقال صعقته الصاعقة
إذا أهلكته بالإحراق أو شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب
من الصواعق لاستواء كلا البناءين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع
وصقعته الصاعقة وهي في الأصل إما صفة لقصفة الرعد أو للرعد
والتاء للمبالغة كما في الراوية أو مصدر كالعافية والكاذبة حذر الموت نصب
على العلة كقوله وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكرما
والموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحياة و
رد بأن الخلق بمعنى التقدير والأعدام مقدرة والله محيط بالكافرين
لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها
يكاد البرق يخطف أبصارهم استئناف ثان كأنه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك
الصواعق وكاد من أفعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه
لكنه لم يوجد إما لفقد شرط أو لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض
ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه أن يكون فعلاً مضارعاً
تنبيهاً على أنه المقصود بالقرب من غير أن لتوكيد القرب بالدلالة على الحال وقد
تدخل عليه حملاً لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف من خبرها لمشاركتهما في أصل
معنى المقاربة والخطف الأخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على أنه
يختطف فنقلت فتحة التاء إلى الخاء ثم أدغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء
الساكنين وإتباع الياء لها ويتخطف كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا

استئناف ثالث كأنه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فأجيب
بذلك وأضاء إما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى أخذوه أو
لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك أظلم فإنه جاء متعديا
منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة أظلم على البناء للمفعول وقول أبي
تمام هما أظلما حالي ثمت أجليا ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب فإنه وإن
كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد أن يجعل ما يقوله بمنزلة
ما يرويه وإنما قال مع الإضاءة كلما ومع الإظلام إذا لأنهم حراص على المشي
فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا
ومنه قامت السوق إذا ركدت وقام الماء جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وأبصارهم أي ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض
البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه
في شاء وأراد حتى لا يكاد يذكر إلا في الشيء المستغرب كقوله فلو شئت أن
أبكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الأول
لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ لأذهب بأسماعهم بزيادة
الباء كقوله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وفائدة هذه الشرطية إبداء المانع لذهاب
سمعهم وأبصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على أن تأثير الأسباب في مسبباتها
مشروط بمشيئته جل وعز وأن وجودها مرتبط بأسبابها واقع بقدرته وقوله
إن الله على كل شيء قدير كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لأنه
في الأصل مصدر شاء أطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال

أي شيء أكبر شهادة قل الله وبمعنى مشيء أخرى أي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده
فهو موجود في الجملة وعليه قوله إن الله على كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما
على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح أن يوجد وهو يعم
الواجب والممكن أو ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع أيضا لزمهم
التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من إيجاد الشيء
وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الإنسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة
الله عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل
والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير الباري واشتقاق
القدرة من القدر لأن القادر يوقع الفعل على مقدار قوته أو على مقدار ما تقتضيه
مشيئته وفيه دليل على أن الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران
وأن مقدور العبد مقدور الله لأنه شيء وكل شيء مقدور والظاهر أن التمثيلين
من جملة التمثيلات المؤلفة وهو أن تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت
أجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا بأخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين
حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية فإنه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة
بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من
الحيرة والشدة بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقاده في ظلمة أو بحال من أخذته
السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق و
يمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو أن تأخذ أشياء فرادى فتشبهها بأمثالها
كقوله تعالى وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور

تعالى مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع
بأن يشبه في الأول ذوات المنافقين بالمستوقدين وإظهارهم الإيمان باستيقاد
النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الأموال والأولاد وغير ذلك
بإضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب بإهلاكهم وإفشاء
حالهم وإبقائهم في الخسار الدائم والعذاب السرمد بإطفاء نارهم والذهاب
بنورهم وفي الثاني أنفسهم بأصحاب الصيب وإيمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب
فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث إنه وإن كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في
هذه الصورة عاد نفعه ضرا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به
من سواهم من الكفرة بجعل الأصابع في الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث إنه
لا يرد من قدر الله شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الأمر
وجهلهم بما يأتون ويذرون بأنهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها
فرصة مع خوف أن يخطف أبصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم إذا خفي وفتر لمعانه بقوا
متقيدين لا حراك بهم وقيل شبه الإيمان والقرآن وسائر ما أوتي الإنسان
من المعارف التي هي سبب الحياة الأبدية بالصيب الذي به حياة الأرض وما ارتبكت
بها من الشبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشككة بالظلمات وشبه ما
فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق و
تصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد
أذنه عنها مع أنه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله تعالى والله محيط بالكافرين
واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه أو رفد تطمح إليه أبصارهم بمشيهم

في مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الأمر حين تعرض لهم شبهة أو تعن
لهم مصيبة بتوقفهم إذا أظلم عليهم ونبه بقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم
على أنه جعل لهم السمع والأبصار ليتوسلوا بها إلى الهدى والفلاح ثم إنهم
صرفوها إلى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم
بالحالة التي يجعلونها لأنفسهم فإنه على ما يشاء قدير يا أيها الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق
المكلفين وذكر خواصهم ومصارف أمورهم أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات
هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بأمر العبادة وتفخيما لشأنها وجبرا لكلفة
العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له
منزلة البعيد إما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو أقرب إليه من حبل الوريد
أو لغفلته وسوء فهمه أو للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى
جملة مفيدة لأنه نائب مناب فعل وأي جعل وصلة إلى نداء المعرف باللام فإن إدخال
يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فإنهما كمثلين وأعطي حكم المنادى وأجري عليه
المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه إشعارا بأنه المقصود وأقحمت بينهما
هاء التنبيه تأكيدا وتعويضا عما يستحقه من المضاف إليه وإنما كثر النداء على
هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله بأوجه من التأكيد وكل ما نادى الله له عباده
من حيث إنها أمور عظام من حقها أن يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها و
أكثرهم عنها غافلون حقيق بأن ينادى له بالآكد الأبلغ والجموع وأسماؤها المحلاة
باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم
كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شائعا ذائعا

فان الامر يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه السلام
ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه
الدليل وما يروى عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي و
يا ايها الذين آمنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة
فان المامور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها
فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة
والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث
لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال
بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها
على ان الموجب للعبادة هي الربوبية الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل
ويحتمل التقييد ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقي
والآلهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله
التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس والذين من قبلكم متناول
كل ما تقدم الانسان بالذات او بالزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في
خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى
نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا
كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول و
ما اضيف اليه لعلكم تتقون حال من الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا

ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله
نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شيء سوى الله الى الله
وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال يدعون
ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف
عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع
اسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى
على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما قال وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله
والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر
في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما
وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل
الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره
فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلاثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى
كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل من الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدى
الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين
كقوله جعل لكم الارض فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه
من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهياة لان يقعدوا
وينامون عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة فان كرية شكلها
مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الافتراش عليها والسماء بناء قبة مضروبة

عليكم والبناء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع بناءة
والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امرأته لانهم
كانوا اذا تزوجوا امرأة ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء فاخرج به من
الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيته ولكن جعل الماء
الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته
بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة
وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء
كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها
مدرجا من حال الى حال صنائع وحكم يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى
عظيم قدرته ليس في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء
او الفلك فان المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب
سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا
ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له
اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات
ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر
كل الثمار ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت
من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرة جماعة الثمرة
التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرأ من الثمرة على التوحيد او لان الجموع
يتعاور بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وقوله تعالى ثلاثة قروء

او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق
ومفعوله ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا متعلق
باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جوابا له او بلعل على
ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات
فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى
ان تتقوا لا تجعلوا لله اندادا او بالذي جعل ان استانفت به على انه نهي وقع
خبرا على تاويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدأ
معنى الشرط والمعنى ان من خصكم بهذه النعم الجسام والايات العظام ينبغي ان لا
يشرك به والند المثل المناوي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي
حسب نديد من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل
في الذات كما خص المساوي للمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون
الله اندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله
لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد
انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله وتمنحهم ما لم يرد
الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له
ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب
ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير
وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح اي وحالكم انكم من
اهل العلم والنظر واصابة الراي فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات

منفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات آمرًا ونهيًا وهو ما لا يتأثر
ولا يقدر على شيء لا يفعل كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء
على هذا فالقصد منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليهم فإن العالم
والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم أن مضمون الآيتين هو الأمر بعبادة
الله والنهي عن الإشراك به والإشارة إلى ما هو العلة والمقتضي وبيانه أنه
رتب الأمر بالعبادة على صفة الربوبية إشعارًا بأنها العلة لوجوبها
ثم بين ربوبيته بأنه خالقهم وخالق أصولهم وما يحتاجون إليه في معاشهم من
المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فإن الثمرة أعم من المطعوم والرزق أعم
من المأكول والمشروب ثم لما كانت هذه أمورًا لا يقدر عليها غيره شاهدة
على وحدانيته رتب عليها النهي عن الإشراك به ولعله سبحانه وتعالى أراد من الآية
مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الإشارة إلى تفصيل خلق الإنسان وما
أفاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالأرض والنفس
بالسماء والعقل بالماء وما أفاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة
بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات
المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والأرضية المنفعلة بقدرة
الفاعل المختار فإن لكل آية ظهرًا وبطنًا ولكل حد مطلعًا وإن كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل
إلى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن المعجز بفصاحته
التي بذت فصاحة كل منطيق وأفحمت من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء

المسئلة الرابعة قوله فأتوا بسورة من مثله يدل على ان القرآن وما هو عليه من كونه سورا هو على حد ما انزله الله بخلاف قول كثير من اهل الحديث انه نظم على هذا الترتيب في ايام عثمان رضي الله عنه تفسير امام رازي

٣٥

بالجنس فاعتقدوا جواز حلول الرب فيها فعبدوها على هذا التأويل فهذه هي الوجوه التي يمكن ان يكون منشأ عبادتهم لها ولما ثبت بطلانها ظهر بطلان ان يكون شيء من هذه الوجوه منشأ العبادة فثبت الالهة المتفرد بالعظمة والكبرياء شيخ زاده

قوله وانتم تعلمون انه لا يماثله شيء ... ارادة التهكم والتشنيع على من اعتقد التعدد بل التوحيد ... القاطع فلا فرق بين العقول الانسانية ...

قوله مفعول تعلمون مطروح اي متروك بالكلية بحيث لا يكون مقدرا ولا منويا ... الفعل ... والنظر ... والنقوا ... اصحاب فطنة وذكاء ... العقابية ... المعتصمة ...

... المعروفة بالامور ... وكنانة قبيلة ... وكنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس ... ثم عم ذلك ... والنظر ... المقصود من كمال التنبيه ... شروط ... فوائد ...

اللات اسم صنم ... والعزى اسم صنم ... وامساف ونائلة صنمان على الصفا والمروة ونسر ... ويعوق ويغوث ... ومنات ... وكان فيهم صنم ... شيخ زاده

قوله وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب ... مفعول تعلمون ... المقصود ... التكليف ... الحكم ... المفهوم المخالف ... الاثبات ... فما ... القدرة ... المقدور ... التكليف

منفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوعي وهو أن الأمر

ولا نقدر على مثل ما يفعل كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء

على هذا فالقصد منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم

والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة

الله والنهي عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه

رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها

ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من

المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم

من المأكول والمشروب ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها غيره شاهدة

على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه وتعالى اراد من الآية

مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما

افاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس

بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة

بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات

المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة

الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا وان كنتم في ريب

مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل

الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن المعجز بفصاحته

التي بذت فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء

المسئلة الرابعة قوله فأتوا بسورة من مثله يدل على ان القرآن وما هو عليه من كونه سورا هو على حد ما انزل الله بخلاف قول كثير من اهل الحديث انه نظم على هذا الترتيب في ايام عثمان رضي الله عنه
تفسير كبير امام رازى
صحيفه ٣٣٦ سطر ٤

من العرب مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارضة
وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا
على سبيل التنزيل لان نزوله نجما منجما بحسب الوقائع على ما يرى عليه اهل الشعر
والخطابة مما يريبهم كما حكى الله تعالى عنهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن
جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة
واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ
عبادنا يريد محمدا وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها
ثلث آيات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة
بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم
احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة فان العرب
[illegible] لان السور كالمنازل والمراتب
يترقى فيها القارئ او لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف
وثواب القراءة وان جعلت بدلا من الهمزة فمن السؤرة التي هي البقية او القطعة
من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال و
تجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك عنه
كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حفظها اعتقد انه اخذ
من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده
وابتهج به الى غير ذلك من الفوائد من مثله صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله
والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة

[illegible]

قوله فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء

[illegible]

قوله او مستوي

[illegible]

قوله فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلع

[illegible]

قوله تحدت

[illegible]

المسئلة الرابعة قوله فأتوا بسورة من مثله يدل على ان القرآن وما هو عليه من كونه سورا هو على حد ما انزله الله **بخلاف** قول كثير من اهل الحديث انه نظم على هذا الترتيب في ايام **عثمان** رضي الله عنه تفسير كبير امام رازي **صحيفة** ٣٣٦ **سطر** ٤

[illegible]

بكم وهو العقول والتمكين من العلم بطريق النظر وارادة هذا المعنى [illegible]
المكلف بالمامور به وحسن الاتيان ولا يبالي بالمنهي عنه [illegible]
قوله فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء فان العالم والجاهل [illegible]
[illegible]
قوله او مسوى عطف على [illegible]
[illegible]
قوله فان لكل آية منها ظهرا وبطنا ولكل حد مطلع اشارة الى [illegible]
واختلف العلماء في معنى الحديث فقيل المراد بسبعة احرف اللغات السبع المشهورة [illegible]
[illegible]
[illegible]

المسئلة الرابعة قوله فأتوا بسورة من مثله يدل على ان القرآن وما هو عليه من كونه سورا هو على حد ما انزله الله بخلاف قول كثير من اهل الحديث انه نظم على هذا الترتيب في ايام عثمان رضي الله عنه
تفسير كبير امام رازى
صحيفة ٣٣٦ سطر ٤

من البلغاء مع كثرتهم واشتهارهم في الفصاحة والبلاغة وتهالكهم على المعارضة
وعرف ما اتوا به بعجزه وتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا
على عبدنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما نرى عليه اهل الشعر و
الخطابة مما يريبهم كما حكى الله تعالى عنهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن
جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة
واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ
عبادنا يريد محمدا وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها
ثلث آيات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة
بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم
احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط
حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل والمراتب
يترقى فيها القارئ او لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف
وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التي هي البقية او القطعة
من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال و
تجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك
عنه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ
من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده
وابتهج به الى غيرها من الفوائد من مثله صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله
والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة

٣٦

المسئلة الرابعة قوله فأتوا بسورة من مثله
يدل على ان القران وما هو عليه من كونه
سوراً هو على حد ما انزله الله
بخلاف قول كثير من اهل الحديث
انه نظم على هذا الترتيب في ايام
عثمان رضي الله عنه
تفسير كبير امام رازي
صحيفة ٣٣٦ سطر ٤

قوله فلا تجعلوا لله انداداً متعلق باعبدوا

٣٥

قوله والند المثل المناوي

قوله وقيل الند

قوله والحكمة في تقطيع القران سوراً

المسئلة الرابعة قوله فأتوا بسورة من مثله يدل على أن القرآن وما هو عليه من كونه سوراً هو على حد ما أنزله الله بخلاف قول كثير من أهل الحديث أنه نظم على هذا الترتيب في أيام عثمان رضي الله عنه

تفسير كبير امام رازي صحيفة ٣٣٦ سطر ٤

من العرب مع كثرتهم وإفراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارضة
وعرف أيضاً ما يتعرف به إعجازه ويتيقن أنه من عند الله كما يدعيه وإنما قال مما نزلنا
على عبدنا لأن نزوله نجماً نجماً بحسب الوقائع على ما يرى عليه أهل الشعر
والخطابة مما يريبهم كما حكى الله تعالى عنهم فقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن
جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه إزاحة للشبهة وإلزاماً للحجة
وأضاف العبد إلى نفسه تنويهاً بذكره وتنبيهاً على أنه مختص به منقاد لحكمه وقرئ
عبادنا يريد محمداً وأمته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها
ثلاث آيات وهي إن جعلت واوها أصلية منقولة من سور المدينة لأنها محيطة
بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها أو محتوية على أنواع من العلم
احتواء سور المدينة على ما فيها أو من السورة التي هي الرتبة قال [illegible]
[illegible] سورة في المجد ليس غرابها بمطار لأن السور كالمنازل والمراتب
يترقى فيها القارئ أو لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف
وثواب القراءة وإن جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التي هي البقية أو القطعة
من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سوراً إفراد الأنواع وتلاحق الأشكال وتجاوب
النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فإنه إذا ختم سورة نفّس ذلك
عنه كالمسافر إذا علم أنه قطع ميلاً أو طوى بريداً والحافظ متى حفظها اعتقد أنه أخذ
من القرآن حظاً تاماً وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده
وابتهج به إلى غير ذلك من الفوائد من مثله صفة سورة أي بسورة كائنة من مثله
والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض أو للتبيين وزائدة عند الأخفش أي بسورة مماثلة

معبود سوى الله تعالى فقد ذهب إليه فرق كثيرة الفرقة الأولى عبدة الكواكب وهم الصابئة فإنهم يقولون إن الله تعالى
خلق هذه الكواكب [illegible] والفرقة الثانية الذين يعبدون المسيح [illegible] والفرقة الثالثة عبدة الأوثان
واعلم أنه لا دين أقدم من دين عبدة الأوثان [illegible]
[illegible]
[illegible]
الشبه وثانيها ما ذكره أكثر العلماء وهو أن الناس رأوا تغيرات أحوال العالم مربوطة بتغيرات أحوال الكواكب
[illegible] فاعتقدوا ارتباط السعادة والنحوسة في الدنيا بكيفية وقوعها في طوالع الناس [illegible]
فمنهم من اعتقد أنها أشياء واجبة الوجود لذواتها وهي التي خلقت هذا العالم ومنهم من اعتقد أنها مخلوقة للإله الأكبر ولكنها
خالقة لهذا العالم فالأولون اعتقدوا أنها هي الإله في الحقيقة والفريق الثاني اعتقدوا أنها هي الوسائط بين الله وبين البشر فلا جرم
اشتغلوا بعبادتها والخضوع لها ثم لما رأوا الكواكب مستترة في أكثر الأوقات عن الأبصار اتخذوا لها أصناماً وأقبلوا
على عبادتها [illegible]
[illegible]
[illegible] والله أعلم

القرآن في البلاغة وحسن النظم أو لعبدنا ومن للابتداء أي بسورة كائنة ممن هو على حاله
من كونه بشرا أميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم أو صلة فأتوا والضمير للعبد والرد
إلى المنزل أوجه لأنه المطابق لقوله فأتوا بسورة مثله ولسائر آيات التحدي ولأن الكلام
فيه لا في المنزل عليه فحقه أن لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولأن مخاطبة الجم الغفير
بأن يأتوا بمثل ما أتى به واحد من أبناء جلدتهم أبلغ في التحدي من أن يقال لهم ليأت بنحو
ما أتى به هذا آخر مثله ولأنه معجز في نفسه والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله ولأن رده إلى عبدنا يوهم إمكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله تعالى
وادعوا شهداءكم من دون الله فإنه أمر بأن يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء
جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة أو الناصر أو الإمام وكأنه سمي به لأنه يحضر النوادي
وتبرم بمحضره الأمور إذ التركيب للحضور إما بالذات أو بالتصور ومنه قيل للمقتول
في سبيل الله شهيد لأنه حضر ما كان يرجوه أو الملائكة حضروه ومعنى دون أدنى
مكان من الشيء ومنه تدوين الكتب لأنه إدناء البعض من البعض ودونك هذا أي
خذه من أدنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو أي في الشرف ومنه
الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد وتخطي أمر إلى آخر قال
الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين وقال أمية يا نفس ما لك من
دون الله من واقي أي إذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى
ادعوا للمعارضة من حضركم أو رجوتم معونته من إنسكم وجنكم وآلهتكم غير الله فإنه
لا يقدر أن يأتي بمثله إلا الله أو ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بأن ما أتيتم
به مثله ولا تستشهدوا بالله فإنه من ديدن المبهوت العاجز عن إقامة الحجة أو شهداءكم الذين

اتخذتموهم

اتخذتموهم من دون الله أولياء أو آلهة وزعمتم أنها تشهد لكم يوم القيمة أو الذين يشهدون لكم بين
يدي الله على زعمكم من قول الأعشى تريك القذى من دونها وهي دونه ليعينوكم وفي أمرهم
أن يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله
أي من دون أوليائه من فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم أن ما أتيتم
به مثله فإن العاقل لا يرضى لنفسه أن يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله إن
كنتم صادقين أنه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الإخبار
المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر أنه كذلك عن دلالة أو أمارة لأنه تعالى كذب المنافقين في قولهم
إنك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب إلى قولهم نشهد لأن
الشهادة إخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي
وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به أمر الرسول وما جاء به وميز
الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة وهو أنكم إذا اجتهدتم في معارضته
وعجزتم جميعا عن الإتيان بما يساويه أو يدانيه ظهر أنه معجز والتصديق به واجب فآمنوا
واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الإتيان المكيف بالفعل الذي يعم الإتيان
وغيره إيجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكني عنه وتهويلا لشأن
العناد وتصريحا بالوعيد مع الإيجاز وصدر الشرطية بإن التي للشك والحال يقتضي إذا
الذي للوجوب فإن القائل سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفى إتيانهم معترضا بين الشرط
والجزاء تهكما بهم أو خطابا معهم على حسب ظنهم فإن العجز قبل التأمل لم يكن محققا عندهم
وتفعلوا جزم بلم لأنها واجبة الإعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولأنها لما
صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع فكأنه قال فإن تركتم الفعل

ولذلك على احتمالها ولن كلا في نفي المستقبل غير أن لن أبلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه
والخليل في إحدى الروايتين عنه وفي الرواية الأخرى أصله لا أن وعند الفراء لا
فأبدلت ألفها نوناً والوقود بالفتح ما توقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر
بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقوداً عالياً والاسم بالضم ولعله
مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر أن المراد به الاسم وإن
أريد به المصدر فعلى حذف مضاف أي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر كالجمالة
جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الأصنام التي نحتوها وقرنوا بها أنفسهم وعبدوها
طمعاً في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار لمكانتهم ويدل عليه قوله إنكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه أو بنقيض ما كانوا
يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا
لم يكن لتخصيص إعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص
بغير دليل وإبطال للمقصود إذ الغرض تهويل شأنها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بالأحجار
والكبريت تتقد به كل نار وإن ضعفت فإن صح هذا عن ابن عباس فلعله عنى به أن
الأحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت بعدما
نزل بمكة قوله في سورة التحريم ناراً وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة
صلة فإنها يجب أن تكون قصة معلومة أعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ
اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استئناف أو حال بإضمار قد من النار لا الضمير الذي في
وقودها وإن جعلتها صلة للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه الأول
ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد

على عدم الإتيان بما يعارض أقصر سورة من سور القرآن ثم إنهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة
وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا لمعارضته والتجأوا إلى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني أنه
يتضمن الإخبار عن الغيب على ما هو به فإنهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون
فيه أكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث أنه لو شك في أمره لما دعاهم إلى المعارضة
بهذه المبالغة مخافة أن يعارض فتدحض حجته وقوله أعدت للكافرين دليل على أن النار
مخلوقة معدة لهم الآن وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات عطف على الجملة
السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه
على ما جرت به العادة الإلهية من أن يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطاً لاكتساب ما ينجي وتثبيطاً
عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب أن يطلب له ما يشاكله من أمر أو نهي فيعطف عليه
أو يعطف على فاتقوا لأنهم إذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر إعجازه وإذا ظهر ذلك فمن كفر به
استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي أن يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء
ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيماً لشأنهم وإيذاناً بأنهم أحقاء بأن يبشروا ويهنؤوا
بما أعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفاً على أعدت فيكون استئنافاً والبشارة
الخبر السار فإنه يظهر أثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هي الخبر الأول حتى لو قال الرجل
لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فأخبروه فرادى عتق أولهم ولو قال من أخبرني عتقوا جميعاً
وأما قوله فبشرهم بعذاب أليم فعلى التهكم أو على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات
جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الأسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك
صالحة من آل لأم بظهر الغيب تأتيني وهي من الأعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتأنيثها على تأويل الخصلة أو
الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الإيمان مرتباً للحكم عليهما إشعاراً بأن السبب في

من البشارة وتحريك الأمرين والجمع بين الوصفين فإن الإيمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق
أسٌّ والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء بأسٍّ لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا منفردين وفيه دليل على
أنها خارجة عن مسمى الإيمان إذ الأصل أن الشيء لا يعطف على نفسه ولا على ما هو داخل فيه أنّ لهم منصوب
بنزع الخافض وإفضاء الفعل إليه أو مجرور بإضماره مثل الله لأفعلن والجنة المرة من الجنّ
وهو مصدر جنّه إذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف أغصانه للمبالغة
كأنه يستر ما تحته سترة واحدة قال كأن عينيّ في غربي مقتّلة من النواضح تسقي جنة سحقا أي نخلا
طوالا ثم البستان لما فيه من الأشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل
سميت بذلك لأنه ستر في الدنيا ما أعد فيها للبشر من أفنان النعم كما قال فلا تعلم نفس ما أخفي
لهم من قرة أعين وجمعها وتنكيرها لأن الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة
عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليين وفي كل واحدة منها مراتب
ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الأعمال والعمّال واللام تدل على استحقاقهم إياها لأجل ما ترتب
عليه من الإيمان والعمل الصالح لا لذاته فإنه لا يكافئ النعم السابقة فضلا عن أن يقتضي ثوابا وجزاء
فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الإطلاق بل بشرط أن يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن
لقوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم وقوله لنبيه لئن أشركت
ليحبطن عملك وأشباه ذلك ولعله لم يقيدها هنا استغناء بها تجري من تحتها الأنهار
أي من تحت أشجارها كما تراها جارية تحت الأشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق أنهار الجنة تجري في
غير أخدود واللام في الأنهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري أو للعهد والمعهود
هي الأنهار المذكورة في قوله فيها أنهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق
الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الإضمار أو المجاز

أو المجاري أنفسها وإسناد الجري إليها مجاز كما في قوله وأخرجت الأرض أثقالها كلما رزقوا منها
من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة
كأنه لما قيل إن لهم جنات وقع في خلد السامع أثمارها مثل ثمار الدنيا أم أجناس أخر فأزيح بذلك
وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الأولى والثانية للابتداء واقعتان موقع
الحال وأصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق
بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الأولى رزقا وصاحب الحال
الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل أن يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رأيت منك
أسدا وهذا إشارة إلى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا إلى نهر جار هذا الماء لا ينقطع
فإنك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وإن كانت الإشارة
إلى عينه فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك أبو يوسف
أبو حنيفة من قبل أي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل
النفس إليه أول ما ترى فإن الطباع مائلة إلى المألوف متنفرة عن غيره ويتبين لها مزيته
وكنه النعمة فيه إذ لو كان جنسا لم يعهد ظن أنه لا يكون إلا كذلك أو في الجنة لأن
طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن أن أحدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى
فيراها مثل الأولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وكما روي أنه
قال والذي نفس محمد بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة إلى فيه
حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم إذا رأوها على الهيئة الأولى قالوا ذلك والأول
أظهر لمحافظته على عموم كلما فإنه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي
لهم إلى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه
البليغ في الصورة

واتوا به متشابها اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزق في الدارين فانه مدلول
عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي
بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين
ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه
بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه
هذا وان للآية محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف
والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن
تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا ما
كنتم تعملون في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن
كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال
وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال
واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على
تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء ... والزوج يقال
للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي
ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم
الجنة ومناكحها وسائر احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات
حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها وهم فيها خالدون دائمون والخلد والخلود
في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء
الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد

بالتأبيد

بالتأبيد في قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد
يوجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك
الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان لكن المراد به هاهنا الدوام عند الجمهور لما يشهد له من
الآيات والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات
المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى يعيدها
بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها متقاومة في الكيفية متساوية
في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها
عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما
نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات
الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان
ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت
منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في الآخرة
بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم
والسرور ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت الآيات السابقة
متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون
على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف
دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه
فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه الميل الى الحس
وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء

وإشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وإن كان المثل أعظم من كل
عظيم كما مثل في الإنجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة
السفهاء بإثارة الزنابير وجاء في كلام العرب أسمع من قراد وأطيش من فراشة
وأعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين
بحال المستوقدين وأصحاب الصيب وعبادة الأصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت
وجعلها أقل من الذباب وأخس قدرا منه الله أعلى وأجل من أن يضرب الأمثال
ويذكر الذباب والعنكبوت وأيضا لما أرشدهم إلى ما يدل على أن المتحدى به وحي
منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور أمره شرع في جواب
ما طعنوا به فيه فقال إن الله لا يستحيي أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من
يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو
الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي
هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة فإنه انكسار يعتري القوة
الحيوانية فيردها عن أفعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي إذا اعتلت نساه
وحشاه وإذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث إن الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم أن
يعذبه إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا
فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما أن المراد من رحمته وغضبه إصابة المعروف
والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف إبلا إذا ما استحين الماء
يعرض نفسه كرعن بسبت في إناء من الورد وإنما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل
والمبالغة وتحتمل الآية خاصة أن تكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة

وضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم وأصله وقع شيء على آخر وأن بصلتها مخفوض المحل
عند الخليل بإضمار من منصوب بإفضاء الفعل إليه بعد حذفها عند سيبويه وما إبهامية
تزيد النكرة إبهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك أعطني كتابا ما أي أي كتاب كان
أو مزيدة للتأكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة من الله ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فإن
القرآن كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وإنما وضع لأن يذكر مع غيره فيفيد
وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا أو مفعول
ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لأنه نكرة أو هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت
بالرفع على أنه خبر مبتدأ وعلى هذا يحتمل ما وجوها أخر أن تكون موصولة حذف صدر
صلتها كما حذف في قوله تماما على الذي أحسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب
بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدأ كأنه لما رد استبعادهم ضرب الله الأمثال
قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له أن يمثل بما هو أحقر من ذلك ونظيره
فلان لا يبالي بما يهب ما دينار وديناران والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع
والعضب غلب على هذا النوع كالخموش فما فوقها عطف على بعوضة أو ما إن جعل اسما
ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كأنه قصد به رد ما استنكروه والمعنى أنه لا
يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو أكبر منه أو في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر
والحقارة كجناحها فإنه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي أن رجلا بمنى
خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلعم قال ما من مسلم
يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فإنه يحتمل ما تجاوز
الشوكة في الألم كالخرور وما زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عليه السلام ما أصاب المؤمن

حيث قال لو كانت الدنيا تعدل
عند الله جناح بعوضة ما سقى
كافرا منها شربة ماء

من كونه فهو كفارات لخطاياه حتى نخبة النملة فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من
ربهم أما حرف يفصل ما أجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء
قال سيبويه أما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب أي هو ذاهب لا محالة وأنه
منه عزيمة وكان الأصل دخول الفاء على الجملة لأنها الجزاء لكن كرهوا إيلاءها حرف الشرط
فأدخلوها على الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظاً وفي تصدير الجملتين به إحماد لأمر المؤمنين
واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في أنه للمثل أو لأن يضرب والحق
الثابت الذي لا يسوغ إنكاره يعم الأعيان الثابتة والأفعال الصائبة والأقوال الصادقة
من قولهم حق الأمر إذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج وأما الذين كفروا فيقولون
كان من حقه وأما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان
قولهم هذا دليلاً واضحاً على كمال جهلهم عدل إليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه
ماذا أراد الله بهذا مثلاً يحتمل وجهين أن يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده
صلته والمجموع خبر ما وأن يكون ما مع ذا اسماً واحداً بمعنى أي شيء منصوب المحل على المفعولية
مثل ما أراد الله والأحسن في جوابه الرفع على الأول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال
والإرادة نزوع النفس وميلها إلى الفعل بحيث يحملها عليه وتقال للقوة التي هي مبدأ
النزوع والأول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري به
ولذلك اختلف في معنى إرادته فقيل إرادته لأفعاله أنه غير ساه ولا مكره ولأفعال غيره أمره بها
فعلى هذا لم تكن المعاصي بإرادته وقيل علمه باشتمال الأمر على النظام الأكمل والوجه الأصلح
فإنه يدعو القادر إلى تحصيله والحق أنه ترجيح أحد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه
دون وجه أو معنى يوجب هذا الترجيح وهي أعم من الاختيار فإنه ميل مع تفضيل وفي هذا استجهال

واسترذال

واسترذال ومثلاً نصب على التمييز أو الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية يضل به كثيراً ويهدي به
كثيراً جواب ماذا أي إضلال كثير وإهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للإشعار
بالحدوث والتجدد أو بيان للجملتين المصدرتين بأما وتسجيل بأن العلم بكونه حقاً هدى
وبيان وأن الجهل بوجه إيراده والإنكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد
من القبيلين بالنظر إلى أنفسهم لا بالقياس إلى مقابليهم فإن المهديين قليلون بالإضافة
إلى أهل الضلال كما قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل أن يكون كثرة الضالين
من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل إذا عدوا كثير إذا
شدوا وقال إن الكرام كثير في البلاد وإن قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا وما يضل
به إلا الفاسقين أي الخارجين عن حد الإيمان كقوله تعالى إن المنافقين هم الفاسقون من
قولهم فسقت الرطبة عن قشرها إذا خرجت وأصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة
فواسقاً عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة
وله درجات ثلاث الأولى التغابي وهو أن يرتكبها أحياناً مستقبحاً إياها و
الثانية الانهماك وهو أن يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو
أن يرتكبها مستصوباً إياها فإذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الإيمان
من عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي أو الانهماك فلا يسلب عنه
اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الإيمان ولقوله وإن طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الإيمان عبارة عن مجموع التصديق والإقرار
والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسماً ثالثاً نازلاً بين منزلتي المؤمن
والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الأحكام وتخصيص الإضلال بهم مرتباً

في صورة الفسق يدل على أنه الذي أعدهم للإضلال وأدى بهم إلى الضلال وذلك أن كفرهم وعدولهم
عن الحق وإصرارهم بالباطل صرفت وجوه أفكارهم عن حكمة المثل إلى حقارة الممثل به حتى رسخت
به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فأنكروه واستهزؤوا به وقرئ يضل على البناء للمفعول
والفاسقون بالرفع الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه صفة للفاسقين للذم
وتقرير للفسق والنقض فسخ التركيب وأصله في طاقات الحبل واستعماله في إبطال العهد
من حيث إن العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط أحد المتعاهدين بالآخر فإن أطلق
مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وإن ذكر مع العهد كان رمزا إلى ما هو من روادفه
وهو أن العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس
فإن فيه تنبيها على أنه أسد في شجاعته بحر بالنظر إلى إفادته والعهد الموثق ووضعه
لما من شأنه أن يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث إنها تراعى بالرجوع
إليها والتاريخ لأنه يحفظ وهذا العهد إما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على
عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه أول قوله تعالى وأشهدهم
على أنفسهم أو المأخوذ بالرسل على الأمم بأنهم إذا بعث إليهم رسول مصدق بالمعجزات
صدقوه واتبعوه ولم يكتموا أمره ولم يخالفوا حكمه وإليه أشار بقوله وإذ أخذ
الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله ثلاثة عهد أخذه على
جميع ذرية آدم بأن يقروا بربوبيته وعهد أخذه على النبيين بأن يقيموا الدين ولا يتفرقوا
فيه وعهد أخذه على العلماء بأن يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه الضمير للعهد والميثاق
اسم لما تقع به الوثاقة وهي الإحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب
أو ما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل أن يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فإن ابتداء النقض

بعد الميثاق

بعد الميثاق ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم
والإعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الأنبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك
الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير أو تعاطي شر فإنه يقطع الوصلة بين الله وبين
العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والأمر هو القول الطالب للفعل وقيل
مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور تسمية للمفعول به بالمصدر
فإنه مما يؤمر به كما قيل له شأن وهو الطلب والقصد يقال شأنت شأنه إذا قصدت
قصده وأن يوصل يحتمل النصب والخفض على أنه بدل من ما أو ضميره والثاني أحسن
لفظا ومعنى ويفسدون في الأرض بالمنع عن الإيمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي
بها نظام العالم وصلاحه أولئك هم الخاسرون الذين خسروا بإهمال العقل عن النظر و
اقتناص ما يفيدهم الحياة الأبدية واستبدال الإنكار والطعن في الآيات بالإيمان بها
والنظر في حقائقها والاقتباس من أنوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح و
العقاب بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار فيه إنكار وتعجيب لكفرهم بإنكار الحال التي يقع عليها
على الطريق البرهاني لأن صدوره لا ينفك عن حال وصفة فإذا أنكر أن يكون لكفرهم حال
يوجد عليها استلزم ذلك إنكار وجوده فهو أبلغ وأقوى في إنكار الكفر من أتكفرون وأجزل
لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال
خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على الكفر مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى
أخبروني على أي حال تكفرون وكنتم أمواتا أي أجساما لا حياة لها عناصر وأغذية
وأخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة فأحياكم بخلق الأرواح ونفخها فيكم وإنما عطفه
بالفاء لأنه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم يميتكم عند تقضي آجالكم ثم يحييكم

بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الاية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم اولا قدر على ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او الخطاب مع القبيلين فانه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال الله تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان كانت من النعمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا

وصف به الباري تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم وتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات الاخرة والامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثاني ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المرتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين امنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستأنف بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا آخر دل عليه أأنتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها

بعدد كما خلق الارض فوقهن فسواهن عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور

وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم

ربه رجلا سبع سموات بدل او تفسير فان قيل أليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا

تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الآية نفي الزائد مع انه ان

ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه تعليل كأنه قال

ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع

واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما

فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا

من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد ما

تفتتت وتبددت واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية

بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان

ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلث

مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الآيتين اما الاولى فهي ان مواد الابدان

قابلة للجمع والحيوة واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم

فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها

بذاتها وما بالذات يأبى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عز وجل عالم بها

وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار الى وجه اثباتهما بانه قادر على ابداعهم و

مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل

على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو هو تشبيها له بعضد

واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس

كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود له انعام

يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع

اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل

كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة

ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه

واما قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادث

اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الآية قالوا او

اذكر على التأويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القرآن كثيرا او مضمر دل

عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة

على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملأك

على الاصل كالشمائل والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الالوكة

وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله وبين الناس وهم رسل الله او

كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات

موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على

التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت

طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان

وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة

الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره

كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون

والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به

القضاء وجرى به القلم الاعلى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب
الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل
ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى
اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة
فدمرهم وفرقهم في الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان
وهما في الارض خليفة اعمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على
مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب
منابه والمراد به آدم عم لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل
نبي استخلفهم في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ
امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول
فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت
قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة
ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى في الميقات ومحمدا
صلوات الله عليه ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن
قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما
الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذلك او خليفة من
سكن الارض الاستغناء بذكره ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم او على
تأويل من يخلفكم او خلفا يخلفكم وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة
وتعظيم شان المجعول بان بشر عز وجل بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه

واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة
تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير
الى غير ذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف
مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة
التي بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم
كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله تعالى و
لا طعن في بني آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى
بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك
باخبار من الله او تلق من اللوح او استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة
من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح
والشن انواع من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع والسبك
في الجواهر المذابة والسفح في الصب من الاعلى والشن في الصب
عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء
للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا
اي يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة
لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى
اتستخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار
عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب
والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول ذو ثلث قوى عليها مدار امره شهوية
وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعو الى المعرفة

فائدة العفة اعتدال القوة الشهوية وافراطها شره وتفريطها خمود وكلاهما مذموم
والشجاعة اعتدال القوة الغضبية وافراطها تهور وتفريطها جبن وكلاهما مذموم

والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار
تينك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار
القوة العقلية فنحن نقيم بما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد
وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة
للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف
ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات
واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل
الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا بقوله قال
اني اعلم ما لا تعلمون والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس
من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد
ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار وبحمدك في موضع
الحال اي متلبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا
به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب
لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء
الذي هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك
واللام مزيدة وعلم آدم الاسماء كلها اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء
في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه
العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ و
واشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم
الارض لما روي عنه عليه السلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض
سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه اخيافا او من الادم والادمة

بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب
وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء
ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله
عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او
خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه
غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد في الآية اما الاول او الثاني وهو
يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم
بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا
لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات و
الموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول
العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها ثم عرضهم على الملائكة
الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات
فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله
واشتعل الرأس شيبا لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا
يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد بها الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء
او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ
عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئوني
باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف
والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب
الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب
التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد

ان كنتم صادقين في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم و
استخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه
لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق
اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاءات
قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار
بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم
من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف
لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان
مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ
الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان
من علقمة الفاخر وتصديرا الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل
بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى صلوات الله عليه
سبحانك تبت اليك وقال يونس سبحانك اني كنت من الظالمين انك انت العليم
الحكيم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه
حكمة بالغة وانت فصل وقيل تأكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت
وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك
جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة
خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة
ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل
لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار
لقوله اني اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه

فانه

فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة
والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو
ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من
يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق
خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية
والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم
ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة
وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى
وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية
فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم
مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن
كان قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله
انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك
في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان
آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم لما انبأهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له
اعترافا بفضله واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه
لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا
لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته
بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة بأسرها على

الامور وهي نعمة رابعة عدّها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال
الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا
يعني البعير اذا طاطا راسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة و
المامور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة
سجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا
للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني و
الجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة
الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما رأوا
فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام
فيه كاللام في قول حسان اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس
بالقرآن والسنن او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي
وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل و
الانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في
ان المامورين بالسجود الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق فسجدوا الا
ابليس ابى واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة في
عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره
وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه
اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وكان من الكافرين
اي في علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم
اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول
والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله ما منعك ان

ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب
وحده والآية تدل على ان آدم افضل من الملائكة المامورين بالسجود له
ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح
استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان
يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس روى
ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم
انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشأ بين اظهر الملائكة وكان
مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مامورين مع الملائكة لكنه
استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل
لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير في فسجدوا
راجع الى القبيلين وكانه قال فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان
من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس
معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف
الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة
من الانس والجن هذا الصنف كما قاله ابن عباس فلذلك صح عليه التغير عن حاله
والهبوط من محله كما اشار اليه بقوله عز وعلا الا ابليس كان من الجن ففسق
عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار
لما روت عائشة انه عليه السلام قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من
مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرت فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار
كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة
والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت

عادت الحالة الاولى ... لا تنافيه حيث ينطق بعد هذا بما يبقى التمكن
العرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله
ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث
على الائتمار لامره وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من
حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان
بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا الاشعري رحمه الله وقلنا يا آدم اسكن
انت وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت
تاكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه
المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا
معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انها بستان كان بارض فلسطين او
بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه
الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا وكلا منها رغدا واسعا رافها
صفة مصدر محذوف حيث شئتما اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما
ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها
الفائتة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيه مبالغات
تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب
الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع
القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما قيل حبك الشيء يعمي ويصم
فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان
يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي او بنقص حظهما بالاتيان
بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهي

او الحبلة والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث
والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود
عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء فازلهما الشيطان
عنها اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه
في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده
قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان ازل يقتضي عثرة مع الزوال
وازلاله قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما
عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته
اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما
بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما
بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة
التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم
وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل
ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض
اتباعه فازلهما والعلم عند الله فاخرجهما مما كانا فيه اي من الكرامة و
النعيم وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحواء لقوله قال اهبطا منها جميعا
وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج
منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء
بعضكم لبعض عدو حال استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين
يبغي بعضكم على بعض بتضليله ولكم في الارض مستقر موضع استقرار او
استقرار ومتاع تمتع الى حين يريد به وقت الموت او القيامة فتلقى آدم
من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها

فسر الكلمات بالخصال الثلاثية المحمودة المذكورة في قوله تعالى ...
كما في واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات الآية

وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته
وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك
اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك لا اله
الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن
عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في
الروح من روحك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب
ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم
وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام و
الجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما
رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف
بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان
حوا كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر القرآن و
السنن انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم
على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن
المعصية واذا وصف به الباري تعالى اريد بها الرجوع من العقوبة الى
المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد
للتائب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتاكيد
او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى
دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم اهبطوا
للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان
مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم
ان تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم يجد له

عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى سماء
الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد
في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم
على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤوا جميعا فاما ياتينكم مني هدى
فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه
جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تاكيد الفعل
بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم مني هدى بانزال
او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك واتيان
الهدى كائن لا محالة لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى
ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه
العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم
فضلا من ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف
على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على
آكد وجه وابلغه وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون عطف
على فمن تبع الى آخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا باياته
او كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين
الى الجار والمجرور والاية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات
من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات
القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي
او من اوى اليه واصلها اية او اوية كتمرة فابدلت عينها الفا على غير قياس
القاصع

آيية أو أوية كرمكة فأعلت أو آيية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفاً
والمراد بآياتنا الآيات المنزلة أو ما يعمها والمعقولة تنبيه وقد
تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الأنبياء عليهم السلام من
وجوه الأول أن آدم صلوات الله عليه كان نبياً وارتكب المنهي عنه
والمرتكب له عاص والثاني أنه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم
ملعون لقوله ألا لعنة الله على الظالمين والثالث أنه تعالى أسند
إليه العصيان والغي فقال وعصى آدم ربه فغوى والرابع أنه تعالى
لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه
بأنه خاسر لولا مغفرة الله إياه بقوله وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس أنه لو لم يذنب
لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الأول أنه لم يكن نبياً حينئذ
والمدعي مطالب بالبيان والثاني أن النهي للتنزيه وإنما سمي ظالماً
وخاسراً لأنه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الأولى له وأما إسناد الغي
والعصيان إليه فسيأتي الجواب عنه في موضعه إن شاء الله تعالى وإنما أمر
بالتوبة تلافياً لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك
الأولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه والثالث أنه فعله ناسياً
لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزماً ولكنه عوتب بترك التحفظ عن
أسباب النسيان ولعله وإن حط عن الأمة لم يحط عن الأنبياء لعظم
قدرهم كما قال عليه السلام أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل
أو أدى فعله إلى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول
السم على الجاهل بشأنه لا يقال إنه باطل لقوله ما نهاكما ربكما وقاسمهما الآيتان

بتعلق العين الثانية بما وانفتاح ما قبلها

جواب عن الثاني والثالث

لا لارتكاب المعصية والحرام

قال الجنيد حسنات الأبرار سيئات المقربين

52

[illegible] لا خوف عليهم الفتح [illegible] الفرق بين [illegible] وإذا تأمل المنصف في تحقيق [illegible]
[illegible] أولياء [illegible] لا خوف عليهم ولا هم يحزنون **قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**
[illegible] فمن تبع أول [illegible] [illegible] المعطوف عليه [illegible] أفراد [illegible] العطف [illegible]
[illegible] أولياء الله تعالى وكثرة أعدائه [illegible] عليهم ولا هم يحزنون [illegible] أكثرهم باعتبار الفضل والشرف
[illegible] قوله كفروا بالله وكذبوا بآياته أو كفروا بالآيات جناناً وكذبوا بها لساناً
[illegible] الكفر [illegible] تعلقه بها [illegible] بتعلقه بالآيات
[illegible] فيكون الفعلان متوجهين إلى الجار والمجرور [illegible] ولكل طائفة [illegible] المتميز [illegible]
[illegible] دلالة على الأحكام والعبر والأمثال والوعد والوعيد [illegible] القرآن [illegible]
[illegible] **قوله أو ما يعمها** [illegible]
[illegible] أو آيية وأوية كرمكة [illegible] الجوهري [illegible] الأصل [illegible]
[illegible] العين [illegible] اللام [illegible]
[illegible] أبو البقاء [illegible]
[illegible] **قوله** أو ما يعمها والمعقولة [illegible]
[illegible] القرآن والآيات التي في السموات والأرض الدالة على الوحدانية [illegible]
في السموات والأرض [illegible]
قوله ولعله وإن حط عن الأمة [illegible] ما قال [illegible] الكشف [illegible] ترك الأولى [illegible]
[illegible] الأنبياء [illegible]
[illegible] بعصمة الأنبياء [illegible]
قوله أو أدى فعله عطف على قوله عوتب [illegible] النهي للتحريم وفعله ناسياً [illegible] ما جرى عليه
على طريق السببية المقدرة فإن [illegible] سبباً [illegible] مباشرة ذلك
[illegible] الآخرة [illegible] الغفران [illegible]
[illegible] المؤاخذة [illegible] كتناول السم

[illegible] جميع [illegible] على [illegible] من حيث اشتمالها على خلق آبائهم
وأصولهم وما هو أعظم من ذلك تدل على أنه قادر على الإعادة كما كان قادراً
على الابتداء فطلب العلم والكتاب منهم وأمرهم أن يذكروا نعمه عليهم و
يوفوا بعهوده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا أول من آمن بمحمد
وما أنزل عليه فقال يا بني إسرائيل أي أولاد يعقوب والابن
من البناء لأنه مبنى أبيه ولذلك ينسب المصنوع إلى الصانع فيقال
أبو الحرب وبنت الفكر وإسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه
[illegible]

بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما
واسرايل بقلب الهمزة ياء اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي بالتفكر فيها والقيام
بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله
على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط على ابائهم من الانجاء
من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد
صلى الله عليه وسلم وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء وقفا
واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي
بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهِد
والمعاهَد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى
عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعد لهم
بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا
الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم والمال واخرها منا
الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله
تعالى الفوز باللقاء الدائم وما روي عن ابن عباس اوفوا بعهدي في اتباع
محمد اوف بعهدكم في رفع الاصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض
وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق
المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل
كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان
والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين
في قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات
تجري اوفّ بالتشديد للمبالغة واياي فارهبون فيما تأتون

وتذرون

وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك
نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن
الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة
خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر
والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله

قوله ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ... [illegible] العلم ... [illegible] الدنيا والاخرة ... [illegible]
لا يغتر في الدنيا ... [illegible] ... عن الشيء ... [illegible] المصلحة ... [illegible]
... [illegible] ... قوله تعالى اتأمرون
... [illegible] ... النسيان ... [illegible]
... [illegible] ... [illegible]
النسيان كيف ... [illegible] ... التاكيد بالقسم ... [illegible] نسيانا ... [illegible] احتاج العدو
الى القسم ... [illegible] ... [illegible] ... [illegible]
فيجوز ان يكون وقت التذكر غير وقت النسيان
قوله فلعل ... [illegible] ... بين التذكر والنسيان في يوم واحد والرابع
والرابع سلمنا انه النهي ... [illegible] ... اعتراض
قوله اول من آمن بمحمد وما انزل عليه وهي الدلائل العقلية والكتب السماوية فان موجبها ومقتضاها
ان يكونوا اول من آمن ... [illegible] ... انهم كانوا اهل النظرة معجزات والعلم بشانه والمستفتحين به
والمبشرين بزمانه ... [illegible] ... وجوب اصل الايمان ... [illegible]
بهذه بقوله ولا تكونوا اول كافر به ... [illegible] الكلام ... [illegible] المصنف ... [illegible] زيادة فائدة
انشاء الله تعالى
قوله فان الانسان غيور حسود ... [illegible] النعمة المذكورة ههنا على النعمة التي انعم بها على المخاطبين انفسهم
والنعمة ... [illegible] ... اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم على النعمة التي انعم بها على ابائهم ... [illegible]
المذكورة ههنا مختصة بانفسهم ... [illegible] ... [illegible]
... [illegible] ... الكشاف ... [illegible] ... [illegible]
... [illegible] ... [illegible]
بين الحقيقة والمجاز ... [illegible]
... [illegible] ... [illegible]
... [illegible] ... [illegible]

بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرل بحذفهما
واسرايل بقلب الهمزة ياء. اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي بالتفكر فيها والقيام
بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا الى ما انعم
على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط على آبائهم من الانجاء
من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد
صلى الله عليه وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء و

قوله لا خوف عليهم بالفتح [illegible] الفرق بين القراءتين [illegible] واذا تامل المنصف في تحقيق [illegible]
[illegible] اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون [illegible] قوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار [illegible]
[illegible] اراد المعطوف عليه [illegible] افراد [illegible] المعطوف [illegible]
[illegible] لا خوف عليهم ولا هم يحزنون [illegible] الى اكرمهم باعتبار الفضل والشرف [illegible]
[illegible] قوله والذين كفروا بالله وكذبوا بآياته [illegible] بالآيات [illegible]
قوله فيكون الفصل [illegible] تتعلق بها [illegible] مقيد [illegible] بالآيات
[illegible] دلالتها على الاحكام او العبر والامثال او الوعد والوعيد [illegible] القراءة [illegible]
قوله ياء [illegible] الياء في الاول والواو في الثانية [illegible]
[illegible] الجوهري [illegible] الاول [illegible]
[illegible] ابو البقاء [illegible]
[illegible] قوله [illegible] المعقولة [illegible]
[illegible] السموات والارض [illegible] الوحدانية [illegible]
قوله ولعله واحد [illegible] الكشاف [illegible] الانبياء
[illegible] الانبياء [illegible]
[illegible] الانبياء [illegible]
قوله او لا [illegible] النهي للتحريم [illegible]
[illegible] المقدرة [illegible] الدنيا [illegible] مباشرة [illegible]
[illegible] الآخرة [illegible] القربان [illegible]
[illegible] عن الحكم لانتفاء [illegible]

وتذرون

وتذرون وخصوصاً في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك
نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن
الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئاً فارهبون والرهبة
خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد ودالة على وجوب الشكر
والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف الا الله وآمنوا بما انزلت
مصدقاً لما معكم افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة
للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية
انه نازل حسبما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء
الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي
والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار
في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها
مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتأخر
لنزل على وفقه ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حياً لما وسعه الا
اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض
بقوله ولا تكونوا اول كافر به بان الواجب ان تكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا
اهل النظر في معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه
واول كافر به وقع خبراً عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتأويل لا يكن
كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم
في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على

ووزنه اوأل افعل ومؤنثه اولى واصلها وولى قلبت الواو همزة فقلبا وعينها واوان عند سيبويه ولم ينصرف منها فعل لاعتلال فائها وعينها وعند
الكوفة وزنه افعل ايضا واصله اوأل من وأل اي نجا فابدلوا الهمزة الثانية واوا ادغموا الاولى فيها او افعل واصله أأول من آل
فيها بالواو بعد سكونها وفتح الاخرى بعدها ثم قلبت واوا وادغمت فيها الواو

على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر
من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقران فقد كفر بما يصدقه
او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل
من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او أأول من آل فقلبت
همزته واوا وادغمت ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان
بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فان جلت قليلة مسترذلة بالاضا
الى ما يفوت عنكم من حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة
بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الاخرة بترك الايمان قيل
كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا
رسول الله فاختاروها عليه وقيل كانوا يأخذون الرشى فيحرفون
الحق ويكتمونه واياي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض
عن الدنيا ولما كانت الاية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي
لما في الاية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان
الخطاب بها عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك
والثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه ولا تلبسوا
الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء
مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه
وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او ولا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل
الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه في تأويله وتكتموا الحق جزم داخل

تحت

تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال
بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان
على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده
انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون اي وانتم تكتمون وفيه اشعار
بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون عالمين
بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما كلا زكوة ولا صلوة
امرهم بفروع الاسلام بعدما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار
مخاطبون بها والزكوة من زكا الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب
بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة
فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل واركعوا مع الراكعين اي في
جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها
من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود
وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي
لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه اتأمرون الناس
بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء
الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعات
الاقارب وبر في معاملة الاجانب وتنسون انفسكم وتتركونها من البر

كالمثبتات وعن ابن عباس انها نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون سرا
من نصحوه باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا
يتصدقون وانتم تتلون الكتاب تبكيت كقوله وانتم تعلمون اي تتلون
التورية وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل
افلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون
وخامة عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمي به الادراك الانساني
لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس تدرك
هذا الادراك والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء
صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل
فان الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس
والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم غيره لا منع الفاسق عن الوعظ فان
الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالاخر واستعينوا
بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما امروا بما يشق عليهم لما فيه من
الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا
على حوايجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله او بالصوم الذي هو صبر
عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة و
الالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية
من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة

والعكوف

والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب
ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم
بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل
المآرب وجبر المصائب روي انه عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى
الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اي الاستعانة بهما
او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها
ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة
كقوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين اي المخبتين
والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع
اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب
الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اي يتوقعون
لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله فيجازيهم
ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما
شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس
بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف
وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها
متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها
ومن ثم قال عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلوة يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي كرره للتاكيد وتذكير التفصيل الذي هو اجل

النعم خصوصاً وربطه بالوعيد الشديد تخويفاً لمن غفل عنها وأخلّ بحقوقها
وأني فضلتكم عطف على نعمتي على العالمين أي عالمي زمانهم يريد به تفضيل
آبائهم الذين كانوا في عصر موسى وبعده قبل أن يغيّروا بما منحهم من العلم
والإيمان والعمل الصالح وجعلهم أنبياء وملوكاً مقسطين واستدل به
على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف واتقوا يوماً أي ما فيه من الحساب
والعذاب لا تجزي نفس عن نفس شيئاً لا تقضي عنها شيئاً من الحقوق أو
شيئاً من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تُجزئ من أجزأ عنه إذا
أغنى وعلى هذا تعين أن يكون مصدراً وإيراده منكراً مع تنكير النفسين
للتعميم والإقناط الكلي والجملة صفة ليوماً والعائد منها محذوف
تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوّز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه
الجار وأجري مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله أو مال
أصابوا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل أي من النفس
الثانية العاصية أو من الأولى وكأنه أريد بالآية نفي أن يدفع العذاب
أحد عن أحد من كل وجه محتمل فإنه إما أن يكون قهراً أو غيره والأول
النصرة والثاني إما أن يكون مجاناً أو غيره والأول أن يشفع له والثاني
إما بأداء ما كان عليه وهو أن يجزي عنه أو بغيره وهو أن يعطي عنه عدلاً
والشفاعة من الشفع كأن المشفوع له كان فرداً فجعله الشفيع شفعاً
بضم نفسه إليه والعدل الفدية وقيل البدل وأصله التسوية
سمي بها الفدية لأنها سوّيت بالمفدى ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب

الله والضمير لما دلّت عليه النفس الثانية المنكّرة الواقعة في سياق النفي
من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والأناسي والنصرة أخص
من المعونة لاختصاصها بدفع الضر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية
على نفي الشفاعة لأهل الكبائر وأجيب بأنها مخصوصة بالكفار للآيات
والأحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده أن الخطاب معهم والآية نزلت
ردّاً لما كانت اليهود تزعم أن آباءهم تشفع لهم وإذ نجيناكم من آل
فرعون تفصيل لما أجمله في قوله اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم
وعطف على نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ أنجيتكم
وأصل آل أهل لأن تصغيره أهيل وخص بالإضافة إلى أولي الخطر
كالأنبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر
لملكي الفرس والروم ولعتوّهم اشتق منه تفرعن الرجل إذا عتا
وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد
وفرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما أكثر من أربعمائة سنة
يسومونكم يبغونكم من سامه خسفاً إذا أولاه ظلماً وأصل السوم الذهاب
في طلب الشيء سوء العذاب أفظعه فإنه قبيح بالإضافة إلى سائره
والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال
من الضمير في نجيناكم أو من آل فرعون أو منهما جميعاً لأن فيها ضمير كل
واحد منهما يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك
لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وإنما فعلوا بهم ذلك لأن فرعون رأى

يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون رأى في المنام او قال
له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا
وفي ذلكم بلاء محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى
الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة
وتارة بالنعمة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان
الشائع بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم
او بهما عظيم صفة بلاء وفي الآية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او
شر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون
من خير المختبرين واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض
حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله
تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك
اثنى عشر بعدد الاسباط فانجيناكم واغرقنا آل فرعون اراد به فرعون و
قومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روي ان
الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر
اتباعه وانتم تنظرون ذلك غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق
يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا
روي انه تعالى امر موسى ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده و
صادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر
فيه اثنى عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان نغرق

بعضنا

بعضنا ولا نعلم فتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه
فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين
واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بني اسرائيل ومن
الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام
ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم
بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد
صلى الله عليه وسلم مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة يدركها
الاذكياء واخباره عليه السلام عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره
واذ وعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون
وعد الله موسى ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة و
عشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرأ ابن كثير و
نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي
ووعده موسى المجيء للميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل الها او معبودا
من بعده من بعد موسى او مضيه وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم
حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس من بعد ذلك اي الاتخاذ
لعلكم تشكرون لكي تشكروا عفوه واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التوراة
الجامع بين كونه كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان
معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان
وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه

وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان وأراد بالفرقان النصر الذي آتاه الله على أعدائه يوم بدر

كقوله تعالى يوم الفرقان يعني يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب
في الآيات وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل
فتوبوا إلى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع إلى من خلقكم بريئا من
التفاوت وميز بعضكم عن بعض بصور وهيئات مختلفة وأصل التركيب
لخلوص الشيء عن غيره إما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه و
المديون من دينه أو الإنشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين أو فتوبوا
فاقتلوا أنفسكم تماما لتوبتكم بالبخع أو قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب
نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل أمرهم أن يقتل بعضهم بعضا
وقيل أمر من لم يعبد العجل أن يقتل العبدة روي أن الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر
المضي لأمر الله فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فأخذوا يقتتلون
من الغداة إلى العشي حتى دعا موسى وهارون فكشفت السحابة ونزلت
التوبة وكانت القتلى سبعين ألفا والفاء الأولى للتسبيب والثانية للتعقيب
ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث إنه طهرة من الشرك ووصلة إلى الحياة
الأبدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف إن جعلته من كلام
موسى عليه السلام لهم تقديره إن فعلتم ما أمرتم به فقد تاب عليكم أو عطف على
محذوف إن جعلته خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات كأنه قال ففعلتم
ما أمرتم فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الأمر عليه إشعار بأنهم بلغوا
غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم إلى عبادة البقر
التي هي مثل في الغباوة وأن من لم يعرف حق منعمه حقيق بأن يسترد منه

أمروا بالقتل وفك التركيب إنه هو التواب الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة أو قبولها
من المذنبين ويبالغ في الإنعام عليهم وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك لأجل قولك
أو لن نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الأصل مصدر
قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لأنها نوع من الرؤية
أو الحال من الفاعل أو المفعول وقرئ جهرة بالفتح على أنها مصدر كالغلبة أو
جمع جاهر كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى
للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه فأخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت
وطلب المستحيل فإنهم ظنوا أنه تعالى يشبه الأجسام وطلبوا رؤيته رؤية
الأجسام في الجهات والأحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن أن
يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة ولأفراد من
الأنبياء في بعض الأحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فأحرقتهم
وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة
وأنتم تنظرون ما أصابكم بنفسه أو أثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب
الصاعقة وقيد البعث بالموت لأنه قد يكون عن إغماء أو نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم
لعلكم تشكرون نعمة البعث أو ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة و
ظللنا عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه
وأنزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم
المن مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع وتبعث الجنوب عليهم السماني وينزل بالليل
عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات ما

المن قدرة حلوى

ما رزقناكم على إرادة القول وما ظلمونا فيه اختصار وأصله فظلموا بأن كفروا
هذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفران لأنه لا يتخطاهم ضرره وإذ
قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل أريحا أمروا به بعد التيه فكلوا
منها حيث شئتم رغدا واسعا نصب على المصدر أو الحال من الواو وادخلوا
الباب أي باب القرية أو القبة سجدا متطامنين أو ساجدين لله شكرا على إخراجهم من التيه
وقولوا حطة أي مسألتنا أو أمرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ
بالنصب على الأصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة أو على أنه مفعول قولوا أي قولوا
هذه الكلمة وقيل معناه أمرنا حطة أي أن نحط في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم
خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا
أصله خطائي كخطايع فعند سيبويه أبدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد
الألف واجتمعت همزتان فأبدلت الثانية ياء ثم قلبت ألفا وكانت الهمزة بين الألفين
فأبدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر وسنزيد
المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن وأخرجه
عن صورة الجواب إلى الوعد إيهاما بأن المحسن بصدد ذلك وإن لم يفعله فكيف إذا
فعله وأنه يفعل لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما
أمروا أو الاستغفار طلب ما يشتهون من أعراض الدنيا فأنزلنا على الذين ظلموا
كرره مبالغة في تقبيح أمرهم وإشعارا بأن الإنزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به
موضعه أو على أنفسهم بأن تركوا ما يوجب نجاتها إلى ما يوجب هلاكها رجزا من
السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الأصل ما يعاف

عنه

عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي
أنه مات به في ساعة أربعة وعشرون ألفا وإذ استسقى موسى لقومه
لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي أنه
كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان ينبع من كل وجه ثلاث أعين يسيل كل
عين في جدول إلى سبط وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا
أو حجرا أهبطه آدم من الجنة ووقع إلى شعيب فأعطاه مع العصا أو الحجر الذي
فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه به من الأدرة فأشار إليه
جبريل بحمله أو للجنس وهذا أظهر في الحجة قيل لم يأمره أن يضرب حجرا بعينه
ولكن لما قالوا كيف بنا لو أفضينا إلى أرض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان
يضربه بعصاه إذا نزل فينفجر ويضربه إذا ارتحل فييبس فقالوا إن فقد موسى عصاه
متنا عطشا فأوحى الله إليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون
وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة أذرع على طول موسى
من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة
عينا متعلق بمحذوف تقديره فإن ضربت فقد انفجرت أو فضرب فانفجرت كما مر
في قوله فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه قد علم كل أناس
كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا على تقدير القول من
رزق الله يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء
وحده لأنه يشرب ويؤكل مما ينبت به ولا تعثوا في الأرض مفسدين لا تعتدوا
حال إفسادكم وإنما قيده لأنه وإن غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد
كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر عليه السلام

قال الراغب العثي والعيث يتقاربان نحو جذب وجبذ الا ان العيث اكثر ما يقال في الفساد الذي يدرك حسا والعثي فيما يدرك حكما

وخرق السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر
امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن
ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله
حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة
التبريد ونحو ذلك واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا
في التيه من المن والسلوى وبوحدته انها لا تختلف ولا تتبدل كقولهم طعام
مائدة الامير واحد يريدون انها لا تتغير الوانه ولذلك اجمعوا او ضرب واحد
لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه
فادع لنا ربك سله لنا بدعائك اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه
جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة مما تنبت الارض من الاسناد المجازي و
اقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها
وبصلها تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل
ما انبته الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة و
يقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة
فيه قال اي الله او موسى اتستبدلون الذي هو ادنى اقرب منزلة وادون
قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في
الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة بالذي
هو خير يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى
السعي اهبطوا مصرا انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به
وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين

الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تاويل البلد
ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرائيم فعرب فان
لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة
بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة
واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة
ان تضاعف جزيتهم وباؤوا بغضب من الله رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه
من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة ذلك
اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا
يكفرون بآيات الله بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من
فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من
الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والقرآن وآية الرجم والتي فيها نعت
محمد عليه السلام من التوراة وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا
ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز
قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله
ذلك بما عصوا اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات
وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب كبارها كما ان
صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة
على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم
حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت

ويقتلون النبيين بغير الحق

وكانوا يعتدون

الإشارة بالمفرد إلى شيئين فصاعداً على تأويل ما ذكر أو تقدم للاختصار ونظيره في الحديث
قوله فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق والذي حسن
أن تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى
الجمع إن الذين آمنوا بألسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلوات الله عليه المخلصين منهم والمنافقين
وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة والذين هادوا تهودوا يقال هاد وتهود
إذا دخل في اليهودية ويهود إما عربي من هاد إذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل
وإما معرب يهوذا وكأنهم سموا باسم أكبر أولاد يعقوب عليه السلام والنصارى جمع نصران
كالندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في أحمري سموا بذلك لأنهم نصروا المسيح أو لأنهم
كانوا معه في قرية يقال لها نصران أو ناصرة فسموا باسمها أو باسم من أسسها والصابئين
قوم بين النصارى والمجوس وقيل أصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة
وقيل عبدة الكواكب وهو إن كان عربياً فمن صبأ إذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء
إما لأنه خفف الهمزة أو لأنه من صبا إذا مال لأنهم مالوا من سائر الأديان إلى دينهم
أو من الحق إلى الباطل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من كان منهم في دينه
قبل أن نسخ مصدقاً فلهم أجرهم عند ربهم الذي وعد لهم على إيمانهم وعملهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على
تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم أجرهم والجملة خبر إن أو بدل
من اسم إن وخبرها فلهم أجرهم والفاء لتضمن المسند إليه معنى الشرط وقد منع
سيبويه دخولها في خبر إن من حيث إنها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى إن
الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم وإذ أخذنا ميثاقكم

باتباع موسى والعمل بالتوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى أعطيتم الميثاق روي
أن موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة
كبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل فقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا
ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه أو
تفكروا فيه فإنه ذكر بالقلب أو اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي أو رجاء
منكم أن تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة أن يتعلق بالقول المحذوف أي قلنا
اذكروا إرادة أن تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك أعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد
أخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة أو بمحمد صلوات الله
عليه يدعوكم إلى الحق ويهديكم إليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي
أو بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولولا في الأصل لامتناع الشيء لثبوت غيره فإذا
دخل على لا أفاد إثباتاً وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه
مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين
فاعل فعل محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة
للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت يوم السبت وأصله القطع أمروا
بأن يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام واشتغلوا
بالصيد وذلك أنهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها أيلة وإذا كان يوم
السبت لم يبق حوت في البحر إلا حضر هناك وأخرج خرطومه وإذا مضى تفرقت
فحفروا حياضاً وشرعوا إليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت
فيصطادونها يوم الأحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين صورة

القردة والخنق وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورتهم ولكن قلوبهم
فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا
ليس بأمر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك
كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها
المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد
لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في
زبر الاولين واشتهرت قصتهم في الاخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او
لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او
لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين من قومهم
او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة اول
هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت
عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء
في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر
فقتله بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون
بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا
أتتخذنا هزوا اي مكان هزؤ او اهله او مهزوءا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء
استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون و
حفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
لان الهزؤ في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمى به على طريقة البرهان

ولم يذكر في صورة الاستفادة استعظاما له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها
وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسأل به عن الجنس
غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى
ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا مسنة
ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كأنها فرضت سنها وتركيب
[illegible]

القردة والخنازير وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم
فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا
ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك
كما اراد بهم وقرئ قَرِدة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها
المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل القيد

امرتك الخير فافعل ما امرت به [illegible] تمامه فقد تركتك ذا مال وذا نشب [illegible]
[illegible]
[illegible]

٦٤٩

[illegible]

[illegible] تم

واخرج ذكر صورة الاستفادة استنطاقا ماله قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها
وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسئل به عن الجنس
غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى
ما لم يعرف حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر مسنة
ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركت
البكر الفتية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال نواعم بين ابكار وعون
بين ذلك اي بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى
متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها
معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب فمن انكر ذلك زعم ان المراد بها
بقرة غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان
التخصيص ابطال التخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي الثاني ظاهر
اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا
على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله
فافعلوا ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به
او امركم بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع
لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك تؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي
اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تأكيد كانه قيل صفراء
شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى
جمالة صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب

ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل يعلوه صفرة
وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اى تعجبهم و
السرور اصله لذة فى القلب عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما هى تكرير للسؤال الاول واستكشاف زايد وقوله ان البقر
تشابه علينا اعتذار عنه اى ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه
علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه
بالياء والتاء ويشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتانيث وتشابهت
مخففا ومشددا وتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة وانا ان شاء الله
لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفى الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم
آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد
ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية
على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير
الارض ولا تسقى الحرث اى لم تذلل للكراب وسقى الحروث ولا ذلول صفة
لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان صفتا
ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اى حيث
هى كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اى حيث هو
ولا بخيل هو و... مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها
من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها
يخالف لون جلدها وهى فى الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر

قالوا

قالوا الآن جئت بالحق اى بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ الآن بالمد
على الاستفهام والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها وما
كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل او لغلاء
ثمنها اذ روى ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم انى استودعكها
لابنى حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى
اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من
افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفى قيل معناه الاثبات
مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كساير الافعال ولا ينافى قوله وما كادوا
يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا
حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل
واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم فى شانها
اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه الى
صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء فى الدال واجتلبت لها همزة الوصل
والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل
كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على
ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تاويل الشخص او القتيل
ببعضها اى بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها
اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك يحيى الله الموتى يدل على ما
حذف وهو فضربوه فحيى والخطاب مع من حضر حياة القتيل او نزول الآية

ويريكم آياته دلائله على كمال قدرته لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء
نفس قدر على احياء الانفس كلها او لكي تعملوا على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء
وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل
والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن
ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان
المؤثر في الحقيقة هو الله والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف
اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه
التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت
معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية بها
من قبائحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف
الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارئ والنزاع ثم قست قلوبكم
القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن
الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعني احياء القتيل او جميع ما عدد
من الآيات فانها مما توجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة
منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او ازيد عليها او انها مثلها او مثل
ما هو اشد منها كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة
الجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة
على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى
ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من الحجارة لما يتفجر

٦٤

منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية
الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع
منه الماء ويتفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد
الله تعالى به وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن امر الله والتفجر التفتح بسعة
وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة
ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما
تعملون وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر بالياء ضما الى ما بعده افتطمعون
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم
او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم
يسمعون كلام الله يعني التوراة ثم يحرفونه كنعت محمد صلى الله عليه وسلم
وآية الرجم او تأويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين
سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم
ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي فهموه
بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية
ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما ظنك بسفلتهم وجهالهم وانهم ان
كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم
قالوا آمنا بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التوراة واذا خلا بعضهم
الى بعض قالوا اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق اتحدثونهم بما فتح الله
عليكم بما بين لكم في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم او الذين نافقوا لاعقابهم

اظهاراً للتصلب في اليهودية ومنعاً لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين
فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي ليحاجوكم به عند ربكم
ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده
كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند
ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيمة وفيه نظر اذ الاخفاء
لا يدفعه افلا تعقلون اما من تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به
فيحجونكم او خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم
وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او كليهما
او اياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم
الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه
ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعون التورية
ويتحققوا ما فيها الا اماني استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في
الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك تطلق على الكذب
وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليداً من المحرفين
او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هوداً وان النار
لن تمسهم الا اياماً معدودة وقيل الا ما يقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى
وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليله تمني داود الزبور على رسل وهو لا يناسب
وصفهم بانهم اميون وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق
الظن بازاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ

عن الحق

من الحق الشبهة فويل اي تحسر وهلك ومن قال انه واد في جهنم فمعناه ان
فيها موضعاً يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازاً وهو في الاصل
مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب
يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التأويلات الزائغة بايديهم تأكيد كقولك كتبته
بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً كي يحصلوا به عرضاً من
اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم فويل
لهم مما كتبت ايديهم يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد به الرشى وقالوا لن تمسنا
النار المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك
يقال المسه فلا اجده الا اياماً معدودة محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا
نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوماً وبعضهم قالوا مدة ايام الدنيا سبعة
الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوماً قل اتخذتم عند الله عهداً خبراً
او وعداً بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه
فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر وفيه دليل على ان الخلف في خبره محال ام تقولون
على الله ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن على سبيل
التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقريع بلى
اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زماناً مديداً ودهراً طويلاً على وجه اعم ليكون كالبرهان على
بطلان قولهم وتختص بجواب النفي من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة
انها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانه من الخطأ والكسب
استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به خطيئته

٦٦

والتذكير مذهب عاصم وورش وحمزة والمد مذهب ابن كثير وابي عمرو وقالون والقدور مذهب ابن عامر والكسائي كذا ذكره الخطيب

قوله وانتم تشهدون تأكيد ... [illegible]

[illegible]

اى استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه

وهذا انما يصح فى شان الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار

لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب

ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه

حتى تستولى عليه الذنوب وتاخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصى

مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن

ينصحه فيها كما قال الله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوأى ان كذبوا بايات الله

وقرئ خطيئته وخطياته على القلب والادغام فيهما فاولئك اصحاب النار

ملازموها فى الآخرة كما انهم ملازمون اسبابها فى الدنيا هم فيها خالدون

دائمون او لابثون لبثا طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة

وكذا التى قبلها والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها

خالدون جرت عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته

ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه واذ اخذنا

ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار فى معنى النهى كقوله لا يضار

كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهى لما فيه من ايهام ان المنهى سارع

الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه

فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله

الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا عن

الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال حلفناهم

لا تعبدون

الترتيل مذهب عاصم وورش وحمزة — والحدر مذهب ابن كثير وأبي عمرو وقالون — والتدوير مذهب ابن عامر والكسائي كذا ذكره الخطيب

لا يعبدون وقرأه نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا وذى القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب حسنا بفتحتين وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول الله عليه السلام ومن قبلهم على التغليب اى اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم وانتم معرضون قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون توكيد كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على

اى ستولون وتنقلب حملة اهل الجنة [illegible]

تتمة

قال ابو البقاء الخطاب مبنى على اضمار القول اى قلنا لهم لا تعبدون الا الله وكون النفي احسن [illegible] اذ يتعين تكملة لا توجد في اضمار القول ثم انه عطف تكليفهم بتخصيص العبادة ورتب التكليف بالاحسان الى الوالدين لان نعمة الله تعالى على العبد اعظم النعم فلا بد من تقديم شكره على شكر غيره ثم ان اعظم النعم بعد نعمة الله تعالى نعمة الوالدين على الولد لان الوالدين هما الاصل في وجود الولد ومنعما عليه بالتربية والشفقة [illegible] احسانهما الى الولد ولا ينقطعان احسانهما باساءة الولد [illegible] فالنعمة [illegible] الطف [illegible] الوالدين اعظم الوسائط والاسباب الظاهرة [illegible] التكليف بالاحسان اليهما [illegible] من غير تقييد بكونهما مؤمنين ام لا لان الله يجب تعظيم الوالدين وان كانا كافرين [illegible] في اصول الفقه ان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعلية الوصف لذلك الحكم وجوب التعظيم متحققة في الكافرين فيجب تعظيمهما والاحسان اليهما بان لا يؤذيهما البتة ويوصل اليهما من المنافع قدر ما يحتاج اليه ويدعوهما الى الايمان ان كانا كافرين ويأمرهما بالمعروف ان كانا فاسقين ويسلك سبيل الرفق والتعليم في نصحهما **قوله** وذى القربى واليتامى وما بعده عطف على الوالدين اى وتحسنون الى القريب وهو واحد بمعنى الجمع [illegible] في الرحم [illegible] ذو الارحام واليتيم في الادمى اسم لمن مات ابوه حتى يبلغ الحلم وفي غير الادمى [illegible] وجمعه ايتام ويتامى كنديم وندامى واليتيم لصغره وخلوه عمن يقوم بمصالحه احوج الى الاحسان اليه ولما كانت كفالة [illegible] اليتيم شاقة على الانفس كان اجرها وثوابها عظيما فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة واشار بالسبابة والوسطى **قوله** ومسكين مفعيل من [illegible] المبالغة اسم الفاعل كمعطير ... ومسكين اى بالغ في السكون كان الفقر اسكنه وهو اشد فقرا من الفقير عند اكثر اهل اللغة وهو قول ابي حنيفة [illegible] اخرت درجتهم عن درجة اليتامى لان المسكين يمكنه الاشتغال بمصالح نفسه ومصالح معيشته واليتيم ليس كذلك **قوله** قولا حسنا اى قولا احسانا اى حسنا بضم الحاء وسكون السين مصدر وقع صفة لمحذوف والتقدير قولوا للناس قولا حسنا [illegible] القول المصدر مبالغة في توصيفه بالحسن فانه يراد ان القول بلغ في اتصافه بالحسن الى ان صار كانه نفس الحسن **قوله** وحسنى اى وقرئ حسنى بغير تنوين على انه مصدر كالبشرى والرجعى [illegible] لا على انه اسم تفضيل تأنيث الاحسن لان فعلى الذى هو تأنيث الافعل لا يستعمل مضافا ولا بكلمة من [illegible] بحرف معرفا باللام كالفعلى [illegible] **قوله** والمراد به اى بالقول الحسن ما فيه تخلق اى اتصاف بمكارم الاخلاق ومحاسن العادات وما فيه ارشاد للمخاطب الى احسن العادات واجل السعادات فان المروة وسلامة الحس تقتضيان ان يعامل مع كافة الناس باللين واللطف الا ان المخاطب [illegible] الا ان يرجع عن فعل القبيح بالقول اللين فانه ينبغى ان يسلك معه طريق التغليظ والتعسف والقول الغليظ في حقه مندرج في القول الحسن اذ لم يكن الا ارشاده طريق سواه **قوله** على طريق الالتفات من الغيبة الى الخطاب لان ذكرت [illegible] انما وقع بطريق الغيبة وما وقع من الخطابات في قوله لا تعبدون الا الله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة مبنى على تقدير القول وحكاية ما خوطبوا به في وقت الخطاب ولا مجال لتقدير القول [illegible] ظاهر فلا وجه للخطاب سوى الالتفات وفائدته المبالغة في التعنيف والتوبيخ لان توبيخ الحاضر اتم واقوى من توبيخ الغائب **قوله** ولعل الخطاب مع الموجودين [illegible] اشارة الى وجه اخر [illegible] طريق الخطاب غير الالتفات وهو تغليب المخاطبين على الغائبين لان قوله ثم توليتم خطاب مشافهة فالظاهر ان يتعلق بالحاضرين والا [illegible] الاسلاف في خطابهم بطريق التغليب ومع التقدير [illegible] الالتفات يجوز خطاب المشافهة متعلقا بالغائبين فقط وهو جيد [illegible] سرائيل ميثاقكم اى ما نسبتم [illegible] وتضييعكم رعاية الامور المذكورة جميعا فيما تركتم رعايتها وعدم تضييع شيء منها ان ثم توليتم [illegible] ونقضتموه **قوله** وانتم [illegible] رعاية التكاليف المذكورة في التورية ولم يقبلوها [illegible] علينا [illegible] التزموها وقبلوها [illegible] **قوله** ومن اسلم منهم [illegible] كعبد الله بن سلام واضرابه [illegible] مع الموجودين منهم في عهد الرسول وهم الذين [illegible] الا قليلا بالرفع

[illegible]

قوله ثم انتم مبتداء وفيه ثلثة اوجه احدها تقتلون [illegible] هؤلاء [illegible]
[illegible]
[illegible] حال يعمل فيها معنى التشبيه [illegible]

على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا ثم انتم هؤلاء استبعاد
لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار والشهادة عليه وانتم مبتداء وهؤلاء خبره
[على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء] الناقضون كقولك انت ذاك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة
تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم
غيبا وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اما حال و
العامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو
الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتّلون على التكثير
تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون او من مفعوله
او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بحذف
احدى التائين وقرئ باظهارهما وتظهرون بمعنى تتظهرون وان يأتوكم
اسارى تفادوهم روى ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء
الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء
اهلها واذا أسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان
يأتوكم أسارى في ايدي الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ
مع تضييعكم انفسكم كقوله اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرأ
حمزة أسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه كسكرى وسكارى
وقيل هو ايضا جمع اسير وكأنه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله
وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشأن او مبهم و[يفسره]

٦٧

والاستفهام للانكار والتوبيخ

اخراجهم فيرجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيدا او بيان افتؤمنون
ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء
من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير
وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم
القيمة يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون
تاكيد للوعيد اي الله سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرأ عاصم برواية المفضل
تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب يعملون على ان
الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة آثروا الحيوة الدنيا على
الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الآخرة ولا
هم ينصرون بدفعهما عنهم ولقد آتينا موسى الكتاب التورية وقفينا من بعده
بالرسل اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال
قفاه اذا اتبعه وقفاه به اتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب وآتينا
عيسى بن مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه
والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى
الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير
لم تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه قويناه وقرئ آيدناه
بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اراد به جبرئيل
وقيل روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله
ولذلك اضافها الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب ولا الارحام الطوامث او الانجيل

أو اسم الله الأعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره [illegible]
أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى
إذا أحب وهوى بالفتح هوياً بالضم إذا سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت
به توبيخاً لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيباً من شأنهم ويحتمل أن يكون استئنافاً والفاء
للعطف على مقدر استكبرتم عن الإيمان واتباع الرسل ففريقاً كذبتم كموسى وعيسى
والفاء للسببية أو للتفصيل وفريقاً تقتلون كزكريا ويحيى وإنما
ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضاراً لها في النفوس فإن
الأمر فظيع أو مراعاة للفواصل أو للدلالة على أنكم بعد فيه فإنكم حول قتل محمد
لولا أني أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة
بأغطية خلقية لا يصل إليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الأغلف الذي لم يختن
وقيل أصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى أنها أوعية للعلم لا تسمع علماً إلا وعته
ولا تعي ما تقول أو نحن مستغنون بما فيها عن غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوه
والمعنى أنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم
فأبطل استعدادهم أو أنها لم تأب قبول ما تقوله لخلل فيها بل لأن الله خذلهم بكفرهم
كما قال الله تعالى فأصمهم وأعمى أبصارهم أو هم كفرة ملعونون فمن أين لهم دعوى العلم
والاستغناء عنك فقليلاً ما يؤمنون فإيماناً قليلاً يؤمنون وما مزيدة للمبالغة
في التقليل وهو إيمانهم ببعض الكتاب وقيل أراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من
عند الله يعني القرآن مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب
لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل

يستفتحون

يستفتحون على الذين كفروا أي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي
آخر الزمان المنعوت في التوراة أو يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبياً يبعث منهم
وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والإشعار بأن الفاعل يسأل ذلك عن نفسه
فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسداً وخوفاً على الرياسة فلعنة الله على الكافرين
أي عليهم وأتى بالمظهر للدلالة على أنهم لعنوا لكفرهم فتكون اللام للعهد ويجوز
أن تكون للجنس ويدخلون فيه دخولاً أولياً لأن الكلام فيهم بئسما اشتروا به
أنفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه
باعوا أو شروا بحسب ظنهم فإنهم ظنوا أنهم خلصوا أنفسهم من العقاب بما فعلوا أن
يكفروا بما أنزل الله هو المخصوص بالذم بغياً طلباً لما ليس لهم وحسداً وهو علة يكفروا دون اشتروا
للفصل أن ينزل الله لأن ينزل أي حسدوه على أن ينزل الله من فضله
من فضله يعني الوحي على من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة فباؤوا بغضب على
غضب للكفر والحسد على من هو أفضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى عليهما السلام
أو بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به إذلالهم بخلاف
عذاب العاصي فإنه طهرة لذنوبه وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله يعم الكتب الإلهية
بأسرها قالوا نؤمن بما أنزل علينا أي بالتوراة ويكفرون بما وراءه حال
من الضمير في قالوا ووراء في الأصل مصدر جعل ظرفاً ويضاف إلى الفاعل
فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه وإلى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه
ولذلك عد من الأضداد وهو الحق الضمير لما وراءه والمراد به القرآن
مصدقاً لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالتهم فإنهم لما كفروا بما يوافق التوراة

قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم
بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه وانما اسند اليهم
لانه فعل آبائهم وانهم راضون به عازمون عليه ولقد جاءكم موسى بالبينات
يعني الآيات التسع المذكورة في قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ثم
اتخذتم العجل اي الها من بعده بعد مجيء موسى او بعد ذهابه الى الطور وانتم
ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله او
اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية ايضا لابطال قولهم نؤمن
بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى
لا لتكرير القصة وكذا الآية التي بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التورية بجد
واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك واشربوا في قلوبهم العجل
تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب
والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم
نارا بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما
اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل بئسما يأمركم به ايمانكم اي
بالتورية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره من قبائحهم
المعدودة في الآيات الثلث الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين تقرير للقدح في دعواهم
الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها لما امركم بهذه القبائح ولا رخص
لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئسما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى

الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر به فاذا لستم بمؤمنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة
عند الله خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ونصبها
على الحال من الدار من دون الناس سائرهم او المسلمين واللام للعهد فتمنوا
الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص
اليها من الدار ذات الشوائب كما قال امير المؤمنين علي رضي الله عنه لا ابالي سقطت
على الموت او سقط الموت علي وقال عمار رضي الله عنه بصفين الآن الاقي الاحبة
محمدا وحزبه وقال حذيفة رضي الله عنه حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني
ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد عليه السلام والقرآن
وتحريف التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها
عامة صنائعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى وهذه
الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر فان التمني ليس من
عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت لي كذا ولو كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي صلى
الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض
يهودي والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما
ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة من وجد بمعنى علم
الجاري مجرى علم ومفعولاه هم احرص وتنكير حيوة لانه اريد بها فرد من افرادها
وهي الحيوة المتطاولة وقرئ باللام ومن الذين اشركوا محمول على المعنى فانه
قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم
شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانهم لما

زادهم حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى
النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه
وان يكون خبر مبتدأ محذوف صفته يود احدهم على انه اريد بالذين اشركوا
اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاولين
بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لو يعمر الف سنة حكاية لودادتهم
ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف
بالله ليفعلن وما هو بمزحزحه من النار تعميره اي لما دل عليه يعمر وان يعمر
بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة
كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة
التبعيد والله بصير بما يعملون فيجازيهم قل من كان عدوا لجبريل نزلت في
عبد الله بن صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه فقال جبريل
فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه
بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امركم
بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر مدارس اليهود يوما فسألهم
عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب
وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه
وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر
من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه
بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن اربع

في المشهور

في المشهور جبرئيل كسلسبيل قرأه حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قرأه
ابن كثير وجبرئيل كجحمرش قرأه عاصم برواية ابي بكر وجبريل كقنديل قرأه الباقون
واربع في الشواذ جبرائيل وجبرائل وجبرال وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف
ومعناه عبد الله فانه نزله الضمير الاول لجبريل والثاني للقرآن واضماره
غير مذكور يدل على فخامة شأنه كأنه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره على قلبك
فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية
كلام الله كأنه قال قل ما تكلمت به باذن الله بامره او بتيسيره حال من فاعل
نزل مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين احوال من مفعوله والظاهر
ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف
او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا
للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته
انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه كما
قال من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو
للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده
وصدر الكلام بذكره الجليل تفخيما لشأنهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد
الملكين بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل
سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكأنه عادى
الجميع اذ الموجب لمحبتهم ومعاداتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما
ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل

71

حقيقة ما بين الحال بغياً وعناداً وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على
نبذ اى نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التى تقرؤها او تتبعها الشياطين من الجن
او الانس او منهما على ملك سليمان اى عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون
السمع ويضمون الى ما سمعوا [illegible]

وفيه دليل على ان تعلم السحر والاشتغال به محظور [illegible]
[illegible] قبل العلم [illegible] الفقهاء [illegible] الكفر [illegible]
قال [illegible] معرفة الصدق من الكذب [illegible]
الكذب [illegible] معرفة الصدق [illegible]
[illegible]
[illegible] الاستغفار [illegible] الكشف [illegible]
كتعلم الفلسفة [illegible] الفلسفة [illegible]
عن الدين [illegible] الشبهة [illegible] تعلم السحر [illegible]
لهم [illegible] الحق [illegible] القول [illegible]

[illegible] فانهما [illegible] انتفى التعليم [illegible]
[illegible]
[illegible]
المذكور [illegible]
[illegible]
[illegible] الكلام [illegible]
[illegible] هذا الكلام [illegible]

[illegible] العلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] العذاب [illegible]
[illegible] الكشاف [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] المثوبة [illegible]
[illegible] المثوبة [illegible]

وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد
والباقون ميكائيل كميكاعيل وميكائيل وميكائل ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما
يكفر بها الا الفاسقون اى المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل فى نوع من
المعاصى دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده نزلت فى ابن صوريا حين قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشىء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك اوكلما عاهدوا
عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما
عاهدوا وقرئ بسكون الواو [illegible] نبذه فريق منهم نقضه واصل النبذ الطرح
لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون
رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء
ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد عليهما السلام نبذ
فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعنى التورية لان كفرهم بالرسول المصدق
لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات
وقيل ما مع الرسول صلى الله عليه وسلم هو القرآن وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه رأسا بالاعراض
عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعنى ان
علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود
اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمنى اهل الكتاب وهم الاقلون
المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطى
حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا
بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوا

والفسق فى الاصل هو الخروج عن الطاعة
البينات
فيكونا متغايرين بالذات

حقيقة ما الحال بعيداً وعناداً وهم متجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على
نبذ اى نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التى تقرؤها او تتبعها الشياطين من الجن
او الانس او منهما على ملك سليمان اى عهده وتتلوا حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون
السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس
وفشا ذلك فى عهد سليمان حتى قيل ان الجن يعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم
وانه تسخر به الانس والجن والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن
السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبياً كان معصوماً عنه ولكن الشياطين كفروا
باستعماله يعلمون الناس السحر اغواء واضلالاً والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر
ما يستعان فى تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا
لمن يناسبه فى الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط فى التضام والتعاون وبهذا
تميز الساحر عن النبى والولى واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات
والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحراً على التجوز او لما فيه
من الدقة لانه فى الاصل لما خفى سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر
والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او المراد به نوع اقوى منه او على ما تتلوا وهما
ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزاً بينه وبين المعجزة وما روى
انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على
المعاصى والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكى عن اليهود ولعله من
رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوى البصائر وقيل رجلان سميا ملكين
باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفى معطوف على ما

وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد
وقرئ جبرئل كجحمرش وميكئل وميكائيل ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما

يريد ما روى ان الملائكة لما رأوا فى زمن ادريس عليه السلام ما يصعد الى السماء من الاعمال الخبيثة لبنى آدم وذنوبهم الكثيرة
عيروهم بذلك وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم خليفة فى الارض يعصونك فقال تعالى لو انزلتكم الى الارض واخترتم
هاروت وماروت ... لما ركب فيهما الشهوة
كما ركبها فيهم واهبطهما الى الارض ... ان يحكما بين الناس بالحق ونهاهما
عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر ... وكانا يقضيان بين الناس
... الاسم الاعظم ... السماء ... امرأة من اجمل ...
يقال لها زهرة وكانت ... فارس ... بها ... تعلو بهما
... ثم عادت فى اليوم الثانى ففعلا مثل ذلك فابت
الا ان تعبدا ما تعبد من الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فانه
... عنها ... وعادت فى اليوم الثالث ومعها قدح من خمر فعرضت عليهما ما كانت
... عظيمة وقتل النفس عظيم واهون الثلاثة شرب الخمر فشربا وسكرا ووقعا
... فقتلاه ... الصنم ... حتى تخبرينا بالذى تصعدين به الى
السماء ... الاسم الاعظم ... فقال احدهما لصاحبه علمها فقال
... الآخر ... صعدت الى السماء فمسخها الله كوكبا
وهما قد هما بالصعود الى السماء فلم يطيقا ... فقصدا ادريس ... ان
يشفع لهما الى الله تعالى ففعل ادريس ... فخيرهما ... بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
فاختارا الاول لانه ينقطع عن قريب فهما يعذبان ببابل فرده المصنف بقوله فمحكى عن اليهود
قوله ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض اقول فيه بحث لان جعل ما نافية ...
احدهما بجعل هاروت وماروت عطف بيان للملكين كالجمهور وتجعل وما انزل للعطف ...
بجعلهما بدلين من الشياطين ... للعطف ... قوله تعالى وما انزل على الملكين
فقيل فيه ثلثة اقوال ان ما معطوف على ... معناه ... سليمان وعلى ما انزل
على الملكين ... والثالث ... تركه
ما انزل ... هاروت وماروت ...
والانس ... اللفظ ... الشياطين بدل البعض ...
وما انزل على الملكين نفيا ... هاروت وماروت
شيطانين ... الملكين ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض فليتأمل ...

كفر تكذيب اليهود في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل وبابل
بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة
والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين
بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد
حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول وما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا
له انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان
فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور
وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا
فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه
اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه وغيره
من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري على الاضافة
الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون
به العمل او لان العلم يجر الى العمل ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في
الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدل
ما تتلو الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل
ما له في الآخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم يحتمل المعنيين على
ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على التعيين او حقيقة ما يتبعه
من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي
بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون فان من لم يعمل

بعلمه

بالعلم كأنهم لم يعلموا ولو انهم آمنوا بالرسول عليه السلام والكتاب واتقوا بترك المعاصي
كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة
من الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية لتدل على ثبات
المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير
المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ
لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون
ان ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا
وقولوا انظرنا المراعاة حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون لرسول الله راعنا
اي راقبنا وتأن بنا فيما تلقننا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به
مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي
راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو
انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي
امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن
نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب واسمعوا و
احسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع
اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين
عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل
الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين و
يزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل

وكل منهما ومن للتبيين كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل
عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء
وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه
وبالعلم والنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه
ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم
اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته
وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود
الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة
الازالة والنقل يقال نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية
بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها
اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرأ
ابن عامر ما ننسخ من انسخ اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن
كثير وابو عمرو ننسأها اي نؤخرها من النسء وقرئ ننسها اي ننسي احدا اياها
وتنسها اي انت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها باضمار المفعولين نأت
بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب
وقرأ ابو عمرو بقلب الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ
والاتيان بمثل المنسوخ او بما هو خير منه والآية دلت على جواز النسخ اذ الاصل
اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وتاخير الانزال وذلك لان الاحكام

شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف
باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره
واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ
هو المأتي به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل
اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون
كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت من لوازمه
واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلق بها المعنى القائم بالذات القديم الم تعلم
الخطاب للنبي والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدأ علمهم
ان الله له ملك السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله
ان الله على كل شيء قدير او على جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق
بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا
عن المنصور ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة
في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يامر وينهى كما اراد ام
تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم
بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت في اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا
من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومن يتبدل
الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالآيات البينات وشك فيها واقترح
غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى الآية لا تقترحوا

فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان

ود كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم لو يردونكم ان يردوكم

فان لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو

حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود اى

تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا

اى حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت

المذكورة في التوراة فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه

حتى يأتي الله بأمره الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة

واجلاء بني النضير وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه منسوخ بآية السيف وفيه نظر

اذ الامر غير مطلق ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا

الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كأنه امرهم بالصبر والمخالفة واللجاء الى الله

بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة او صدقة وقرئ تقدموا من اقدم

تجدوه عند الله اى ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء

فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى

لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لف بين قولي الفريقين كما في قوله

وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ

وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة

الى الاماني المذكورة وهي ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا

وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الآية على حذف المضاف اى امثال تلك الامنية

امانيهم

على اختصاصهم بدخول الجنة

امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة

قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت

بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده

وأصله العضو وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعد له على عمله

ثابتا عند ربه لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها

ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن

الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم

ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء

وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اي على امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد

نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون

الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب

كذلك مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على

المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ

ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الآخر من اصله والكفر

بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم بينهم

بين الفريقين يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب

وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله

عام لكل من خرب مسجدا او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل في الروم

لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله ان

قوله فرقوا التورية ...

عازوراء

روى ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا

الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد

صبأ وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال

اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت

ان تخرجوا من ديننا بحيث لا يرجى منه الرجوع اليه ابدا

قوله من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند انفسهم ... متعلق بمحذوف هو صفة لمصدر ود اي ودا كائنا من عند انفسهم ... ويجوز ان يتعلق بحسدا ... [illegible]

... قوله فاعفوا واصفحوا ... والعفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك لومه وتثريبه ... روي ان الصحابة استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ان يقتلوا هؤلاء اليهود الذين كفروا انفسهم ... فنزلت الآية ... حتى يأتي الله بامره ... [illegible]

... قوله بانواع العبادات ... ان الصلوة جامعة لجميع الطاعات القلبية والقالبية ... والقيام والركوع والسجود والقعود ... الاعضاء الظاهرة والباطنة ... وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ... قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم ...

قوله اي ثوابه ... وجدان اعمال الاعمال لا يرغب فيه فتعين ان المراد وجدان ثوابه

ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في
خرابها بالهدم او التعطيل اولئك اي المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا
خائفين ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا ان يجترؤا
على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا
ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين
بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن
تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة فيه فجوزه ابو حنيفة ومنع مالك
وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة
بضرب الجزية ولهم في الاخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد
بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم
ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما تولوا
ففي اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اي جهته التي امر بها
فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اي عالم مطلع بما
يفعل فيه ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده
عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر رضي الله عنهما انها نزلت في صلوة
المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا
تبينوا خطاءهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطاء لم يلزمه التدارك وقيل
هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا
نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة

بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرأ ابن عامر
بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا
ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ
ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا بل له ما في السموات و
الارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق السموات والارض
الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون عن
مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد
لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على
تغليب اولي العلم تحقيرا لشأنهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما ويجوز
ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة
والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك
ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات
والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله امن ريحانة الداعي السميع يؤرقني واصحابي
هجوع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد
عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق
منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق
بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير
وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا
قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله وقضى ربك او

او فعل كقوله فقضيهن سبع سموات والمعلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء
من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة اى احدث فيحدث
وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة
المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهى ان
اتخاذ الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغنى عن ذلك وقرا ابن عامر
فيكون بالنصب واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا
يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب
الاصغر والله سبحانه وتعالى هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى
الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد
وقال الذين لا يعلمون اى جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا
كما يكلم الملائكة او يوحى الينا بانك رسوله او تاتينا آية حجة على صدقك والاول
استكبار والثاني جحود لان ما اتاهم آيات الله استهانة به وعنادا كذلك قال الذين
من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان
ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد
وقرئ بتشديد الشين قد بينا الآيات لقوم يوقنون اى يطلبون اليقين او يوقنون
الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات
او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك بالحق متلبسا مؤيدا به
بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا او كابروا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا
بعد ان بلغت وقرا نافع ولا تسئل على انه نهى عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا تقدر

ويعقوب

ان تخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار
ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة فى اقناط الرسول
عليه السلام عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا منه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته
ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله تعالى عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى
الله هو الهدى اى هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه
ولئن اتبعت اهواءهم آراءهم الزائغة والملة ما شرعه لعباده على لسان انبيائه
من امللت الكتاب اذا امليته والهوى رأى يتبع الشهوة بعد الذى جاءك من العلم
اى الوحى او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولى ولا نصير يدفع عنك
عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب يريد به مؤمنى اهل الكتاب يتلونه حق
تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر فى معناه والعمل بمقتضاه وهو
حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنو اهل الكتاب
اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك
هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت
عليكم وانى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل
منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر
النعم والقيام بحقوقها والحذر من اضاعتها والخوف من الساعة واهوالها
كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة فى النصح وايذانا بانه فذلكة القصة
والمقصود من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه و
الابتلاء فى الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار

او فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات والمتعلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشئ

بالنسبة لمن يجهل العواقب حتى تتراءى ما وقع لابراهيم وحسن التقدمة لفظا
وأن تأخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعاني ولذلك
فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله التائبون العابدون وقوله ان
المسلمين الى آخر الآيتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما
فسرت بها في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سنته وبمناسك
الحج وبالكوكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله
بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنه الآيات التي بعدها وقرئ ابراهيم ربه
على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى واجعل هذا البلد آمنا ليرى هل
يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام فأتمهن فأداهن كملا وقام بهن حق
القيام لقوله وابراهيم الذي وفى وفي القراءة الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه
جميع ما دعاه قال اني جاعلك للناس اماما استئناف ان اضمرت ناصب اذ
كأنه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فأجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فيكون
الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته
بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان
والامام اسم من يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان
من ذريته مأمورا باتباعه قال ومن ذريتي عطف على الكاف اي وبعض
ذريتي كما تقول وزيدا في جواب سأكرمك والذرية نسل الرجل فعلية
او فعولة او فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر
وهي لغة قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد

يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله وعهد والظالم
لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من
الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد
اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا
مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار او امثالهم او موضع ثواب يثابون
بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل احد وامنا وموضع امن
لا يتعرض لاهله كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم او يأمن حاجه من
عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجئ اليه حتى يخرج و
هو مذهب ابي حنيفة واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة القول او عطف
على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا
على ان الخطاب لامة محمد عليه السلام وهو امر استحباب ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه
اثر قدمه والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت
وهو موضعه اليوم روي انه عليه السلام اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال افلا
نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي
الطواف لما روى جابر انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه
ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل
مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب
الى الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ
الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم

ق آخر سورة العنكبوت
اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس

وإسمعيل أمرناهما أن طهرا بيتي بأن طهراه ويجوز أن تكون مفسرة لتضمن العهد
معنى القول يريد طهراه من الأوثان والأنجاس وما لا يليق به أو أخلصاه للطائفين
حوله والعاكفين المقيمين عنده أو المعتكفين فيه والركع السجود أي المصلين جمع
راكع وساجد وإذ قال إبرهيم رب اجعل هذا يريد البلد أو المكان بلدا آمنا
ذا أمن كقوله في عيشة راضية أو آمنا أهله كقولك ليل نائم وارزق أهله
من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر أبدل من آمن من أهله بدل البعض
للتخصيص قال ومن كفر عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس
إبرهيم الرزق على الإمامة فنبه سبحانه على أن الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن
والكافر بخلاف الإمامة والتقدم في الدين أو مبتدأ تضمن معنى الشرط فأمتعه
قليلا خبره والكفر وإن لم يكن سبب التمتع لكنه سبب تقليله بأن يجعله مقصورا
بحظوظ الدنيا غير متوسل به إلى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم أضطره إلى
عذاب النار أي ألزه إليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم
وقليلا نصب على المصدر أو الظرف وقرئ بلفظ الأمر فيهما على أنه من دعاء إبرهيم
وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر فأمتعه من أمتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره
واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بإدغام الضاد وهو
ضعيف لأن حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس
المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب وإذ يرفع إبرهيم القواعد من
البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الأساس صفة غالبة من
القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها

البناء

البناء عليها فإنه ينقلها عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع ويحتمل أن يراد
بها سافات البناء فإن كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد
رفع مكانته وإظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس إلى حجه وفي إبهام القواعد وتبيينها
تفخيم لشأنها وإسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف
عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين أو على التناوب ربنا تقبل منا أي يقولان
ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما إنك أنت السميع لدعائنا العليم بنياتنا
ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من أسلم وجهه أو مستسلمين من أسلم إذا استسلم
وانقاد والمراد طلب الزيادة في الإخلاص والإذعان أو الثبات عليه وقرئ مسلمين
على أن المراد أنفسهما وهاجر أو أن التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا أمة
مسلمة لك أي واجعل بعض ذريتنا وإنما خصا الذرية بالدعاء لأنهم أحق بالشفقة
ولأنهم إذا صلحوا صلح بهم الأتباع وخصا بعضهم لما أعلما أن في ذريتهما ظلمة وعلما
أن الحكمة الإلهية لا تقتضي الاتفاق على الإخلاص والإقبال الكلي على الله فإنه مما
يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل أراد بالأمة أمة محمد
عليه السلام ويجوز أن يكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم قدم
على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات
ومن الأرض مثلهن وأرنا من رأى بمعنى أبصر أو عرف ولذلك لم يتجاوز
مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج أو مذابحنا والنسك في الأصل غاية
العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن
كثير ويعقوب أرنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه إجحاف لأن الكسرة منقولة

وهذا اصل السنة لا يجوز المعصية على الانبياء اصلا
والا يجوز الصغيرة سهوا او تركا للاولى

من الحقوق الشافعة ودليل على جواز الذنب عليهما استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما
قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا
وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى
الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى
ورؤيا امي يتلو عليهم آياتك يقرا عليهم ويبلغهم ما توحي اليه من دلائل التوحيد
والنبوة ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة ما يكمل نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم
عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له
ومن يرغب عن ملة ابراهيم استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة
الغراء الا من سفه نفسه الا من استمهنها واذلها
واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء
في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع
فنصب على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه وقوله ونأخذ بعده بذناب عيش
اجب الظهر ليس له سنام او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل
الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه في
الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد
في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيامة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب
عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له ربه
اسلم قال اسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه او تعليل له او منصوب باضمار
اذكر كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم فانه نال ما نال

بالمبادرة

بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله المؤدية الى المعرفة
الداعية الى الاسلام روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا
الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر ووصى بها ابراهيم بنيه التوصية هو التقدم الى الغير
بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله
كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تأويل الكلمة
او الجملة وقرأ نافع وابن عامر اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم
اي ووصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابراهيم يا بني على اضمار
القول عند البصريين [illegible]

بالمبادرة الى الايمان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله المؤدية الى المعرفة
الداعية الى الاسلام • روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا
الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر • ووصى بها ابراهيم بنيه التوصية هو التقدم الى الغير
بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله
كأن الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تأويل
الكلمة او الجملة وقرأ نافع وابن عامر واوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم
اي ووصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابراهيم يا بني على اضمار
القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره رجلان
من ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل
واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر
روبين وشمعون ولاوي ويهودا ويشسوخر وزبولون ودوني ونفتوني
وكودا واوشير وبنيامين ويوسف ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي
هو صفوة الاديان لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف
حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على خلاف تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات
على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع • وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا
على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت
شهيد • وروي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب
اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت و

من الحقوق الشاقة ودليل على جواز الذنب عليهم وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما
قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا
وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى
الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى
ورؤيا امي يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحي اليه من دلائل التوحيد
والنبوة ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة ما يكمل نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم
... الا تغلب على ما يريد الحكيم المحكم

قوله وافردهما بالذكر ...

له الا سفه

اصطفيناه في

بالانباء لا يرغب

اذ قال لربه

منصوب باضمار

قال البيضاوي كما قال فلم تدعون اليهودية عليه أو متصلة بمحذوف تقديره أكنتم غائبين
أم كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وإنما علمتموه من الوحي
وقرئ حضر بالكسر إذ قال لبنيه بدل من إذ حضر ما تعبدون من بعدي أي شيء
تعبدونه أراد به تقريرهم على التوحيد والإسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما
وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فإذا عرف خص العقلاء بمن إذا سئل عن تعيينه
وإن سئل عن وصفه قيل ما زيد أفقيه أم طبيب قالوا نعبد إلهك وإله
آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق المتفق على وجوده وألوهيته ووجوب عبادته وعد
إسمعيل من آبائه تغليباً للأب والجد أو لأنه كالأب لقوله عليه السلام عم الرجل صنو
أبيه كما قال في العباس رضي الله عنه هذا بقية آبائي وقرئ إله أبيك على أنه
جمع بالواو والنون كما قال فلما تبين أصواتنا بكين وفديننا بالأبينا أو مفرد
وإبراهيم وحده عطف بيان إلهاً واحداً بدل من إله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة
وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف
على المجرور والتأكيد أو نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل
نعبد أو مفعوله أو منهما ويحتمل أن يكون اعتراضاً تلك أمة قد خلت يعني إبراهيم
ويعقوب وبنيهما والأمة في الأصل المقصود وسمي بها الجماعة لأن الفرق تؤمها
لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل أجر عمله والمعنى أن انتسابكم إليهم لا يوجب انتفاعكم
بأعمالهم وإنما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه السلام لا يأتيني الناس بأعمالهم
وتأتوني بأنسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون
بحسناتهم وقالوا كونوا هوداً أو نصارى الضمير الغائب لأهل الكتاب وأو للتنويع

المعنى على أنه لا دكم ... الأنبياء الذين ذكرهم القرآن ... روي أن أهل الكتاب كانوا يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية ... آمنا به وما نزل إلينا ... [illegible]

والمعنى مقالتهم أحد هذين القولين قالت اليهود كونوا هوداً وقالت النصارى كونوا نصارى
تهتدوا جواب الأمر قل بل ملة إبراهيم أي بل نكون ملة إبراهيم أي أهل ملته أو بل
نتبع ملة إبراهيم وقرئت بالرفع أي ملته ملتنا أو عكسه أو نحن ملته بمعنى نحن أهل
ملته حنيفاً مائلاً عن الباطل إلى الحق حال من المضاف أو المضاف إليه كقوله ونزعنا
ما في صدورهم من غل إخواناً وما كان من المشركين تعريض بأهل الكتاب وغيرهم
فإنهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا آمنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فإن
آمنوا بمثل ما آمنتم به وما أنزل إلينا القرآن قدم ذكره لأنه أول بالإضافة
إلينا أو سبب للإيمان بغيره وما أنزل إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط
الصحف وهي وإن نزلت إلى إبراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين
تحت أحكامها فهي أيضاً منزلة إليهم كما أن القرآن منزل إلينا والأسباط جمع سبط
وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب أو أبناءه وذراريهم فإنهم حفدة إبراهيم
وإسحق وما أوتي موسى وعيسى التوراة والإنجيل أفردهما بحكم أبلغ لأن
أمرهما بالإضافة إلى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما وما أوتي
النبيون جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم منزلاً عليهم من ربهم لا نفرق بين
أحد منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض وأحد لوقوعه في سياق
النفي عام فساغ أن يضاف إليه بين ونحن له مسلمون مذعنون مخلصون
فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله فأتوا
بسورة من مثله إذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الإسلام وقيل الباء للآلة
دون التعدية والمعنى إن تحروا الإيمان بطريق يهدي إلى الحق مثل طريقكم فإن

وحدة المقصد لا ثاني تعدد الطرق او مزيدة للتاكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى
فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم او المثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به او بالذي آمنتم به وان
تولوا فانما هم في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا في شقاق
الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المخالفين في شق غير شق الآخر
فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من ناواهم
وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم
لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم
عليه صبغة الله اي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها
حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حجته
او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على
المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا
يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم
ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من
ملة ابرهيم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن
له عابدون تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي
دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان
يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابرهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا لئلا
يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا في الله في شأنه واصطفائه

نبيا من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا
لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من
عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كأنه الزمهم على كل مذهب
ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه
سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص
وكما ان لكم اعمالا ... نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار
وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا
بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة او ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء قل أانتم
اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابرهيم بقوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا
واحتج عليه بقوله وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون
عليه اتباعه في الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة
الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من
اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض
بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من
الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما
كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر
عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق
لهم وفي الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء

في الثاني سلال اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم
واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين
واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب ما وليهم
ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحالة التي عليها
الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلاة قل لله المشرق و
المغرب لا يختص به مكان دون مكان بخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما
العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما
ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى
وكذلك اشارة الى مفهوم الآية المتقدمة اي كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم
او جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا اي خيارا او عدولا مزكين
بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي تستوي اليه المساحة من الجوانب ثم
استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف
والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدل به على ان الاجماع
حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس و
يكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل اي لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وانزل
عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل
فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض
عن الآيات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم او بعدكم وروي ان الامم

يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة
للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون
علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل
عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم والشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول
كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون
الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها
وهي الكعبة فانه عليه السلام كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة
تألفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه
كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني
المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس
الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من
يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة آبائه او لنعلم الآن
من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه
ما رددناك الى التي كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه
لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما
قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى
ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسنده الى نفسه
لانهم خواصه او لتميز الثابت عن المتزلزل كقوله ليميز الله الخبيث من
الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء

عن الظلمة

والحرام المحرم الامحرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد
دون الكعبة لانه عليه السلام كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان
استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روى انه عليه السلام قدم المدينة
فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال
قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد سلمة بين ركعتين من الظهر
فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء
صفوفهم فسمى المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
خص الرسول بالخطاب تعظيماً له وايجاباً لرغبته ثم عم تصريحاً انه الحق
بعموم الحكم وتاكيداً لامر القبلة وتخصيصاً للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب
ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا
لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه وما الله بغافل عما يعملون
وعد ووعيد للفريقين وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية
برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم جواب القسم المضمر

للفصول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما فيه من معنى الاستفهام او مفعول الثاني
ممن ينقلب اى لنعلم من يتبع الرسول لمتميز ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى الا والضمير
لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او الردة او التحويل او
للقبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فتكون كان زائدة الا على الذين هدى الله الى حكمة الاحكام
الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم اى ثباتكم على الايمان وقيل
ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روى انه عليه السلام لما وجه الى الكعبة
قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس
لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ
محافظة على الفواصل وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر لرؤف بالقصر حيث وقع
قد نرى ربما نرى تقلب وجهك في السماء تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة
لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود
وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها
من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها
ترضيها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله وحكمته
فول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل لما
انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور ثم
استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالشق والحرام المحرم اى محرم فيه القتال او ممنوع

والاصل وان هي لكبيرة ... ثم تبيل اطلاق اللازم على الملزوم ... بمعنى الملزوم ... وذكر اللازم الارتباط ...

والقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط والمعنى ماتركوا قبلتك لشبهة

تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعناداً وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم

فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان تكون صاحبنا الذى ننتظره تقريراً له

وطمعاً فى رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحد بالبطلان ومخالفة الحق

وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس

لا ترجى توافقهم كما لا ترجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه

ولئن اتبعت اهوائهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اى

ولئن اتبعتهم مثلاً بعد ما بان لك من الحق وجاءك فيه من الوحى انك اذاً لمن

الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه الاتيان باللام الموطئة للقسم

والقسم المضمر وحرف التحقيق وهو انّ وتركيبه من جملة اسمية والاتيان باللام فى الخبر

وجعله من الظالمين ولم يقل انك ظالم لان فى الاندراج معهم ايهاماً بحصول انواع

الظلم والتقييد بمجئ العلم تعظيماً للحق المعلوم وتحريضاً على اقتفائه وتحذيراً عن متابعة

الهوى واستفظاعاً لصدور الذنب عن الانبياء الذين اتيناهم الكتاب يعنى علماءهم

يعرفونه

يعرفونه الضمير لرسول الله وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه

وقيل العلم او القرآن او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول

اى يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم

عن عمر انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله فقال انا اعلم به منى

بابنى قال ولم قال لانى لست اشك فى محمد انه نبى

فاما ولدى فلعل والدته قد خانت فقبل عمر رأسه وان فريقاً منهم

ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن الحق من ربك

كلام مستأنف والحق اما مبتدأ خبره من ربك واللام للعهد والاشارة

الى ما عليه الرسول او الحق الذى يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق

ما ثبت انه من الله كالذى انت عليه لا ما لم يثبت كالذى عليه اهل الكتاب

واما خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر

وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين

الشاكين فى انه من ربك او فى كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به

نهى الرسول عن الشك غير متوقع منه وليس بقصد واختيار

بل اما لتحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة

باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة او
لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو موليها
احد المفعولين محذوف اى هو موليها وجهه او الله موليها اياه وقرئ
ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد
جبراً لضعف العامل وقرأ ابن عامر هو مولاها اى هو مولى تلك الجهة
اى قد وليها فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة
الدارين او الفاضلات من الجهات اى هى المسامتة للكعبة اينما تكونوا
يأت بكم الله جميعا اى فى اى موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء
ومفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض
وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم الله
جميعا ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير
فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث خرجت ومن اى مكان
خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه
وان هذا الامر للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون وقرأ ابو عمرو بالياء
ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره

كرر هذا الحكم

كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل تعظيم الرسول
بابتغاء مرضاته وجرى العادة الالهية على ان يولى كل اهل ملة وصاحب دعوة
وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن
بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريباً وتقريراً مع
ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحرى ان يؤكد
امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا
والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت
فى التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا فى قبلتنا
والمشركين بانه يدعى ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس
اى لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول
الى الكعبة الا ميلاً الى دين قومه وحباً لبلده او بدا له فرجع الى قبلة آبائه
ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم
لانهم يسوقونه مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة فى نفى الحجة رأساً
كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب للعلم بان الظالم لا حجة له
وقرئ ألا الذين ظلموا منهم على انه استيناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم
فان مطاعنهم لا تضركم واخشونى فلا تخالفوا ما امرتكم به مصلحة لكم ولاتم نعمتى عليكم
ولعلكم تهتدون علة محذوف اى وامرتكم لاتمام النعمة عليكم وارادتى اهتداءكم او عطف على

او عطف على علة مقدرة مثل واخشونى لاحفظكم منهم ولاتم نعمتى عليكم او
لئلا يكون وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن على رضى الله عنه تمام النعمة الموت
على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله اى ولاتم نعمتى عليكم فى امر القبلة
او فى الآخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اى كما ذكرتكم بالارسال فاذكرونى
يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه باعتبار القصد
واخّره فى دعوة ابراهيم عليه السلام باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحى
وكرر الفعل ليدل على انه جنس آخر فاذكرونى بالطاعة اذكركم بالثواب
واشكروا لى ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر
يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر عن المعاصى وحظوظ النفس
والصلوة التى هى ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين
ان الله مع الصابرين بالنصرة واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله
اموات اى هم اموات بل احياء بل هم احياء ولكن لا تشعرون
ما حالهم وهو تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحسّ به
من الحيوانات وانما هى امر لا يدرك بالعقل بل بالوحى وعن الحسن انّ
الشهداء احياء عند ربهم تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح
كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدواً وعشياً فيصل اليهم الوجع والآية نزلت

فى شهداء بدر

فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها
مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين
وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم
بالقرب من الله ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من
يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشىء
من الخوف والجوع اى بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه
ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به
معانديهم فى الآخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم
ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شىء او الخوف
وعن الشافعى رضى الله عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص
من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات
موت الاولاد وعن النبى عليه السلام اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة
اقبضتم روح ولد عبدى فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم
فيقول الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى
ابنوا لعبدى بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم

او لمن تتاتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه السلام
كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل به وبالقلب
بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه
اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف
دل عليه اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلاة في الاصل الدعاء
ومن الله تعالى التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة
اللطف والاحسان وعن النبي عليه السلام من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته
واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله
واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا واستسلموا لقضاء الله
ان الصفا والمروة هما علمان للجبلين بمكة من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة
وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا
شرعاً على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه ان يطوف
بهما كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا
مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا
بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه
فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس رضي الله عنهم لقوله فلا جناح عليه
فانه يفهم منه التخيير

فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة رحمه الله
انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي رحمهما الله انه ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي
ومن تطوع خيراً اي فعل طاعة فرضا كان او نفلاً او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي
ان قلنا انه سنة وخيراً نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه
او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطّوع واصله يتطوع
فادغم مثل يطّوّف فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا يخفى عليه ان الذين يكتمون كاحبار اليهود
فليطوفوا بالبيت العتيق
ما انزلنا من البينات كالآيات الشاهدة على امر محمد عليه السلام والهدى وما يهدي الى وجوب اتباعه
والايمان به من بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب في التورية اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
اي الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه
واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه
من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة
وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب
من الكاتمين حتى مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم اللعن من الله ومن يعتد بلعنه
من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتاً وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفاً على محل
اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو وتلعنهم الملائكة خالدين فيها
اي في اللعنة او النار واضمارها قبل الذكر تفخيماً لشانها وتهويلاً او اكتفاء بدلالة اللعن عليها
لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة
والهكم اله واحد خطاب عام اي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد ويسمى الهاً
لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الهاً ولكن لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم
كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق
العبادة احد غيره وهما خبران آخران لقوله الهكم او لمبتدا محذوف وقيل لما سمعه المشركون تعجبوا

وقالوا ان كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض وانما جمع السموت
وافرد الارض لانها طبقات متفاضلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار
تعاقبهما كقوله تعالى جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي بنفعهم او بالذي
ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض
فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر في غالب الامر
وتأنيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين
وما انزل الله من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو
فاحيى به الارض بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر
وتكون النبات به وبث الحيوانات في الارض او على احيى فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون
بالحياة والبث النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي على الافراد
والسحاب المسخر بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما
حتى يأتي امر الله تعالى وقيل مسخر الرياح تقلبه في الجو بمشية الله واشتقاقه من السحب لان بعضه
يجر بعضا لايات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه عليه السلام
ويل لمن قرأ هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الايات على وجود الاله ووحدته
من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه
محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا يتحرك السموات او بعضها كالارض وان يتحرك
بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا
او على هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته
وتقتضيه مشيته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما
فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الاخر المنافي
لالهيته وان اختلفا لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
وفي الاية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا
من الاصنام

من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا
ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى
طاعته اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب
ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مرضاته
ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين آمنوا اشد حبا لله لانه
لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد لانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك
كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى
الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه يوم القيمة واجرى
المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى
وجواب لو محذوف اي لو يعلمون ان القوة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو
متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير لو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة
لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي عليه السلام
اي ولو ترى لرأيت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا
وان الله شديد العذاب على الاستيناف او اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل
من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب
اي رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف
على تبرأ او رأوا او الحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على الدين والاتباع
والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ وتقطعت على البناء للمفعول
وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اي يا ليت لنا كرة
الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ندمات وهي
ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون
فعدل عنه الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها الناس
كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس
وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل

كل ما في الارض طيباً يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا
خطوات الشيطان لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو
وحمزة والبزي وابو بكر حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خُطْوة وهو ما بين
قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها عليها وبفتحتين على انه جمع خَطْوة
وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة
لمن يغويه ولذلك سماه ولياً في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء بيان
لعداوته ووجوب التحرز من متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها
لرأيهم وتحقيراً لشانهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف
لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل
السوء يعم القبائح والفحشاء ما يجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه
والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات
وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأساً واما اتباع المجتهد
لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه
في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل عن الخطاب
معهم للنداء على ضلالتهم كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون
قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر
ما انزل الله من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيراً منا واعلم
فعلى هذا فيعم ما انزل الله التورية لانها ايضاً تدعو الى الاسلام اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً
ولا يهتدون الواو للحال او للعطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف
اي لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم
وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واتباع الغير في الدين اذا

علم بدليل

اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد
بل اتباع لما انزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على
حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا
كمثل بهائم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم
الى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما تقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق
عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس النداء ولا تفهم معناه
وقيل هو تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم
التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق
في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده
قوله الا دعاءً ونداءً لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل
المركب صم بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون اي بالفعل للاخلال بالنظر
يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة
واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا
طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا لله
على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة
وتقرون انه مولى النعم فان عبادته تعالى لا تتم الا بالشكر فان المعلق بفعل
العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري
وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة اكلها والانتفاع بها

وهي التي ماتت من غير ذكاة والحديث ألحق بها ما ابين من حي والسمك والجراد
اخرجهما العرف عنها او استثنى الشرع والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفاً
حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ
والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان
وسائر اجزائه كالتابع له **وما اهل به لغير الله** اى رفع الصوت عند ذبحه للصنم
والاهلال اصله رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللته لكن لما جرت العادة
ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رؤى سمى ذلك اهلالاً ثم قيل لرفع الصوت
وان كان لغيره **فمن اضطر غير باغ** بالاستيثار على مضطر آخر وقرأ عاصم
وابو عمرو وحمزة بكسر النون **ولا عاد** سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ
على الوالى ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصى بالسفر وهو
ظاهر مذهب الشافعى وقول احمد رحمهما الله تعالى **فلا اثم عليه** في تناوله **ان الله**
غفور لما فعل **رحيم** بالرخصة فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر
وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقاً
او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء
ما لم تضطروا اليها **ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به**
ثمناً قليلا عوضاً حقيراً **اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار**
اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار
كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر
يعنى الدية او في المآل اى لا ياكلون يوم القيمة الا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم

يقال

يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا **ولا يكلمهم**
الله يوم القيمة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى
من الله **ولا يزكيهم** ولا يثنى عليهم **ولهم عذاب اليم** مولم **اولئك الذين اشتروا**
الضلالة بالهدى في الدنيا **والعذاب بالمغفرة** في الآخرة بكتمان الحق للمطامع
والاغراض الدنيوية **فما اصبرهم على النار** تعجب من حالهم في الالتباس
بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها
كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر
او موصولة وما بعدها صلته والخبر محذوف **ذلك بان الله نزل الكتاب**
بالحق اى ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه
بالتكذيب والكتمان **وان الذين اختلفوا في الكتاب** اللام فيه اما للجنس
واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله تعالى وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة
اما الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في تأويلها او
خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اى حرفوا ما فيها واما الى القرآن
واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين
لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق **ليس البر ان تولوا وجوهكم**
قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضى والخطاب لاهل الكتاب

فانهم اكثروا الخوض فى امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى
قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينّه
الله واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اى ليس البر مقصوراً بامر القبلة
او ليس البر العظيم الذى يحسن ان تذهلوا بشأنه عن غيره امرها وقرأ حمزة
وحفص البرّ بالنصب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب
والنبيين اى ولكن البر الذى ينبغى ان يهتم به بر من آمن بالله او ولكن ذا البر من آمن
ويؤيده قراءة من قرأ ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس
او القرآن وقرأ نافع وابن عامر ولكن البرّ بالتخفيف ورفع البر وآتى المال
على حبه اى على حب المال كما قال عليه السلام لما سئل اى الصدقة افضل
قال ان تعطيه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر
وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور فى موضع الحال ذوى القربى
واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوى القربى
لان ايتاءهم افضل كما قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة
وعلى ذوى رحمك اثنتان صدقة وصلة والمساكين جمع المسكين وهو الذى
اسكنته الخلة واصله دائم السكون كالمسكير للدائم السكر وابن السبيل
المسافر سمى به لملازمته السبيل كما سمى القاطع ابن الطريق وقيل
الضيف

الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين الذى الجأهم الحاجة الى السؤال
وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه وفى الرقاب وفى تخليصها
بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلوة
المفروضة وآتى الزكوة يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكوة
المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها ومن الثانى اداؤها والحث عليها
ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقاً كانت فى المال
سوى الزكوة وفى الحديث نسخت الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم
اذا عاهدوا عطف على من آمن والصابرين فى البأساء والضراء نصب على
المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهرى
البأساء فى الاموال كالفقر والضراء فى الانفس كالمرض وحين البأس
وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا فى الدين واتباع الحق وطلب البر
واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل والآية كما ترى جامعة للكمالات
الانسانية باسرها دالة عليها صريحاً او ضمناً فانها بكثرتها وتشعبها
منحصرة فى ثلاثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس
وقد اشير الى الاول بقوله من آمن بالله الى والنبيين والى الثانى بقوله وآتى المال
الى وفى الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى آخرها ولذلك
وصف المستجمع لها بالصدق نظراً الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى

اعتباراً بمعاشرة الخلق ومعاملة مع الحق واليه اشار بقوله عليه السلام من عمل بهذه الآية
فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد
بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما
طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام
تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وامرهم ان يتباوأوا ولا تدل على
ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر
للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك
والشافعي رضي الله عنهما قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روى علي
رضي الله عنه ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول عليه السلام ونفاه سنة ولم يقده
وروي عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد
ولان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة
من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن سلم دلالة فليس له دعوى
لنسخ بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية فلا ينسخ ما
في القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده
وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب
وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه
وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذا
كل فعل جاء في القرآن فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفا
لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص
وقيل

وقيل عفى بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه
بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك
وقال عفا الله عنها فاذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه
ما في الآية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره
بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه
فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع
والمراد به وصية العافي بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف
والمعفو عنه بان يؤديها باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل
على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر باداءها على مطلق
العفو وللشافعي رحمه الله في المسئلة قولان ذلك اي الحكم المذكور
في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع
قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو
مطلقا وخيرت هذه الامة بينها وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا
للحكم على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك قبل بعد العفو
واخذ الدية فله عذاب اليم في الاخرة وقيل في الدنيا بان يقتل

لامحالة لقوله عليه السلام لا اعافي احداً قتل بعد اخذه الدية ولكم في القصاص
حيوة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشئ محل ضده
وعرّف القصاص ونكّر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم
نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل
فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة
بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون
ويصير ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص
وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا
لم يؤاخذ به في الاخرة ولكم في القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة
وان يكون احدهما خبراً والآخر صلة له او حالاً من الضمير المستكن فيه وقرئ
في القَصَص اي فيما قصّ عليكم من حكم القتل حيوة او في القرآن
حيوة القلوب يا اولي الالباب ذوي العقول الكاملة ناداهم للتأمل
في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس
لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له
او عن القصاص فتكفوا عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت
اي حضر اسبابه وظهرت اماراته ان ترك خيراً اي مالاً وقيل مالاً كثيراً

لما روي

لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم
فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيراً والخير هو المال الكثير وعن عائشة
رضي الله عنها ان رجلا اراد ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلاثة آلاف
فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى
ان ترك خيراً وان هذا الشئ يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين
والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تاويل ان يوصي
او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب
لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط
باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه
ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ بآية
المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية
لوارث وفيه نظر لان آية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث
انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد وتلقي الامة له
بالقبول لا يلحقه بالتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به
الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله تعالى يوصيكم الله او بايصاء المحتضر
لهم بتوفير ما اوصى به الله عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني

ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر يؤكد اى حق ذلك حقا فمن بدله
غيره من الاوصياء والشهود بعدما سمعه اى وصل اليه وتحقق عنده فانما اثمه
على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدله لانه هو الذى خان
وخالف الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق فمن خاف من موص اى توقع
وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وابو بكر موص مشددا
جنفا بالميل ميلا بالخطاء فى الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم
باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه فى هذا التبديل لانه تبديل باطل الى الحق بخلاف
الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل
من جنس ما يؤثم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم
يعنى الانبياء والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل
وتطييب على النفس والصوم فى اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس
وفى الشرع الامساك عن المفطرات بياض النهار فانها معظم ما تشتهيه
الانفس لعلكم تتقون المعاصى فان الصوم يكسر الشهوة التى هى مبدؤها
كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال باداءه
لاصالته وقدمه اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان
القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع
الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها
رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء وثلاثة ايام
من كل شهر او بما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب
عليكم

عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم فى عدد الايام لما روى
ان رمضان كتب على النصارى فوقع فى برد او حر شديد فحولوه الى
الربيع وزادوا عليه عشرين يوما كفارة لتحويله وقيل زادوا
ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم
ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان من
سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر اى فعليه صوم
عدة ايام المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط
والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب اى فليصم
عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه
ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضى الله عنه وعلى الذين
يطيقونه وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام
مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق
ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم فى ذلك فى اول الامر
لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ
وقرأ نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام

٩٥

وتفيعل بمعنى يطيقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه
الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا
وقد اوّل به القراءة المشهورة اى يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا
فزاد في الفدية فهو اى التطوع او الخير خير له وان تصوموا ايها المطيقون
او المطوّقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج تحته
المريض والمسافر خير لكم من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن التأخير للقضاء
ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف
دل عليه ما قبله اى اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر
علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان الذى انزل مبتدا خبره ما بعده
او خبر مبتدا محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف
المضاف اى كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار
صوموا او على انه مفعول وان تصوموا او بدل من اياما معدودات
والشهر من الشهرة ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه
الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في
ابن داية علما للغراب للعلمية والتانيث وقوله عليه السلام من صام رمضان
على حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من
حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر
حين ما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذى انزل فيه القرآن
اى ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى السماء الدنيا ثم

وجمع المساكين وقرأ ابن عامر برواية هشام مساكين
بغير اضافة الفدية الى الطعام والباقون بغير اضافة
وتوحيد مسكين وقرئ يطوقونه اى يكلفونه او
يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة
ويتطوقونه اى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام
ويطيقونه ويتطيقونه على ان اصلهما يطيقونه
ويتطيوقونه من فيعل وتفعيل
بمعنى يتطيقونه وعلى هذه القرآت يحتمل معنى ثانياً
وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم

ثم نزل منجماً إلى الأرض أو أنزل في شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام
وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت
التوراة لست مضين والإنجيل لثلاث عشرة والقرآن لأربع وعشرين والموصول
بصلته خبر المبتدأ أو صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن
الشرط وفيه إشعار بأن الإنزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه هدى للناس
وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن أي أنزل وهو هداية للناس
بإعجازه وآيات واضحات مما يهدي إلى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من
الحكم والأحكام فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافراً فليصم
فيه والأصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الأول للتعظيم
ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل من شهد
منكم هلال الشهر فليصمه على أنه مفعول به كقولك شهدت الجمعة أي صلاتها فيكون
ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر مخصصا له لأن المسافر والمريض
ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك أو لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر أي يريد أن ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك أباح الفطر للسفر والمرض
ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف
دل عليه ما سبق أي وشرع جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر والمرخص
بالقضاء ومراعاة عدة ما أفطر فيه والترخيص لتكملوا العدة إلى آخرها على سبيل
اللف فإن قوله ولتكملوا علة الأمر بمراعاة العدة ولتكبروا الله علة الأمر بالقضاء
وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير ولأفعال كل لفعله أو

معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم أو لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا ويجوز أن يعطف
على اليسر أي ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء
عليه ولذلك عدي بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الإهلال وما تحتمل
المصدر والخبر أي الذي هداكم إليه وعن عاصم ولتكملوا بالتشديد وإذا سألك عبادي
عني فإني قريب أي فقل لهم إني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم
واطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي أن أعرابيا قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت أجيب دعوة الداع إذا دعان
تقرير للقرب ووعد للداعي بالإجابة وليؤمنوا بي أمر بالثبات والمداومة عليه لعلهم
يرشدون راجين إصابة الرشد وهو إصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها و
اعلم أنه تعالى لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير و
الشكر عقبه بهذه الآية الدالة على أنه خبير بأحوالهم سميع لأقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم
على أعمالهم تأكيدا له وحثا عليه ثم بين أحكام الصوم فقال أحل لكم ليلة الصيام
الرفث إلى نسائكم روي أن المسلمين كانوا إذا أمسوا حل لهم الأكل والشرب و
الجماع إلى أن يصلوا العشاء أو يرقدوا ثم إن عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم
وأتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر إليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء
فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لأنه لا
يكاد يخلو من رفث وهو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه وعدي بإلى لتضمنه معنى الإفضاء
وإيثاره ههنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث هن لباس
لكم وأنتم لباس لهن استئناف يبين سبب الإحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة

اعتناقهن كثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل
واحد منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت
فكانت عليه لباسا او لان كل منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله انكم
كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب و
الاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه
وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على
جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة كنى به عن الجماع وابتغوا ما
كتب الله لكم واطلبوا ما قدره لكم واثبته في اللوح من الولد والمعنى ان المباشر
ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر
وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي كتبه الله
لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه
اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض
واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود
لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض
فان ما يبدو بعض الفجر وما روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين
ابيض واسود ولا يزالون يأكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت فلعله كان
قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما
في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على
جواز تأخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل

بيان آخر وقته واخراج الليل عنه فينفي صوم الوصال ولا تباشروهن وانتم عاكفون
في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة و
المراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها
ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص
بمسجد دون مسجد وان الوطء يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب
الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهى ان يقرب الحد
الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطى كما قال عليه السلام
ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه ومن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ
من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك
مثل ذلك التبيين يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي
ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي ولا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله
وبين نصب على الظرف او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي
او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام
لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة
الزور واليمين الكاذبة وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب
المعصية مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي
قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ
القيس فهم به فقرأ عليه السلام ان الذين يشترون بعهد الله ثمنا قليلا فارتدع
عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهو دليل على ان حكم القاضي لا
ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل

بحكم يكون الحكم بحسبه من بعض ما اقتضى [illegible] يسألونك عن الأهلة سأله
معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد
حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ قل هي مواقيت للناس والحج
انهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل أمره فأمره الله بأن يجيب بأن
الحكمة الظاهرة في ذلك أن يكون معالم للناس يوقتون بها أمورهم ومعالم للعبادات
الموقتة تعرف بها أوقاتها وخصوصا الحج فإن الوقت مراعى فيه أداء وقضاء
والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان أن
المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة
مقسومة والوقت الزمان المفروض لأمر وليس البر بأن تأتوا البيوت من
ظهورها ولكن البر من اتقى كانت الأنصار اذا أحرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا
من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب أو فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين
لهم أنه ليس ببر وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله أنهم
سألوا عن الأمرين أو أنه لما ذكر أنها مواقيت الحج وهذا أيضا من أفعالهم في الحج
ذكره للاستطراد أو أنهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال
عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقبه بذكره جوابا لما سألوه تنبيها على أن اللائق بهم
أن يسألوا أمثال ذلك ويهتموا بالعلم بها أو أن المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال
وتمثيلهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر أن
تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله وأتوا البيوت
من أبوابها اذ ليس في العدول بر وباشروا الأمور من وجوهها

واتقوا

واتقوا الله في تغيير أحكامه والاعتراض على أفعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى
والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه الذين يقاتلونكم
قيل كان ذلك قبل أن أمروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل
معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان
والرهابنة والنساء أو الكفرة كلهم فإنهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد
الأول ما روي أن المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية و
صالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء وخاف
المسلمون أن لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت
ولا تعتدوا بابتداء القتال أو بقتال المعاهد والمفاجأة به من غير دعوة والمثلة
وقتل من نهيتم عن قتله ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث
ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل أو حرم وأصل الثقف الحذق في ادراك الشيء
علما كان أو عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فإما تثقفوني
فاقتلوني فمن أثقف فليس الى خلود وأخرجوهم من حيث أخرجوكم أي مكة وقد
فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة أشد من القتل أي المحنة التي يفتتن
بها الانسان كالاخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها
وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه أشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام
فإن قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثم فإنهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة و
الكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم

قتلنا بنو أسد

كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فإن انتهوا عن القتال
والكفر فإن الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
شرك ويكون الدين لله خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب فإن انتهوا
عن الشرك فلا عدوان إلا على الظالمين أي فلا تعتدوا على المنتهين إذ لا يحسن أن
يظلم إلا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه أو أنكم إن تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الأمر
عليكم والفاء الأولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم
المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا
أن يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات
قصاص واحتجاج عليه أي كل حرمة وهو ما يجب أن يحافظ عليها يجري فيه
القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة
واقتلوهم إن قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
واتقوا الله في الانتصار ولا تعتدوا إلى ما لم يرخص لكم واعلموا أن الله مع المتقين
فيحرسهم ويصلح شأنهم وأنفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الإمساك ولا تلقوا
بأيديكم إلى التهلكة بالإسراف وتضييع وجه المعاش أو بالكف عن الغزو والإنفاق فيه
فإنه يقوي العدو ويسلطهم على إهلاككم ويؤيده ما روي عن أبي أيوب الأنصاري أنه
قال لما أعز الله الإسلام وكثر أهله رجعنا إلى أهالينا وأموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت
أو بالإمساك وحب المال فإنه يؤدي إلى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في
الأصل انتهاء الشيء في الفساد والإلقاء طرح الشيء وعدي بإلى لتضمن معنى الانتهاء

والباء

٩٩

والباء مزيدة والمراد بالأيدي الأنفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي
مصدر كالتضرة والتسرة أي لا توقعوا أنفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها
آخذة بأيديكم أو لا تلقوا بأيديكم أنفسكم إليها فحذف المفعول وأحسنوا أعمالكم و
أخلاقكم أو تفضلوا على المحاويج إن الله يحب المحسنين وأتموا الحج والعمرة لله
ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما
ويؤيده قراءة من قرأ وأقيموا الحج والعمرة وما روى جابر أنه قيل يا رسول الله
العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن أن تعتمر خير لك فمعارض بما روي أن رجلا
قال لعمر رضي الله عنه إني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي أهللت بهما جميعا فقال
هديت لسنة نبيك ولا يقال إنه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله أهللت بهما فجاز
أن يكون الوجوب بسبب إهلاله بهما لأنه رتب الإهلال على الوجدان وذلك يدل
على أنه سبب الإهلال دون العكس وقيل إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك أو
أن تفرد لكل منهما سفرا أو أن تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي أو أن تكون النفقة
حلالا فإن أحصرتم منعتم يقال حصره العدو وأحصره إذا حبسه ومنعه عن
المضي مثل صده وأصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي لقوله
فإذا أمنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر إلا حصر العدو
وكل منع من عدو أو مرض أو غيرهما عند أبي حنيفة لما روي عنه عليه السلام من كسر أو
عرج فقد حل فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مؤول بما إذا شرط الإحلال به لقوله عليه السلام
لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر
من الهدي فعليكم ما استيسر أو فالواجب ما استيسر أو فاهدوا ما استيسر والمعنى

الى الحرم والاداء ان تحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او
شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه السلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل
وعند ابي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امار فاذا جاء اليوم ظن
انه ذبح وتحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا
ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون
واقتصاره على الهدي دليل عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق
للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي
ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه كجراحة
وقمل ففدية اي فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس
الفدية واما قدرها فقد روي انه عليه السلام قال لكعب بن عجرة لعلك آذاك هوامك
قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين
او انسك شاة والفرق ثلاثة آصع فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال امن وسعة
فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه
بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى
ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران
يذبحه اذا احرم بالحج ولا يأكل منه وقال ابو حنيفة انه دم نسك فهو كالاضحية
فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلاثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل
التحلل وقال ابو حنيفة في اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة
وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثرين وسبعة اذا

رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب
ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب
وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان
يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة
العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة
العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به ينتهي الآحاد ويتم مراتبها
او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا
والتمتع عند ابي حنيفة اذ لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده فمن فعل
ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان
من الحرم على مسافة القصر عندنا فان من كان على اقل فهو مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء
الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله في
المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب
لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر معلومات معروفات
وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة
وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف على ان المراد بوقته وقت احرامه
او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره مطلقا وان مالكا كره العمرة في
بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه
وانما سمي شهرين وبعض الشهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا
للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام

فيرون عندنا وبالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي
ان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا
فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات ولا جدال
ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلاثة على قصد النهي للمبالغة وللدلالة
على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح
كلبس الحرير في الصلاة والتطريب بقراءة القران لانه خروج عن مقتضى الطبع
والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن
رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج
وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف
بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير
عقيب النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد
التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن
كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس
فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس
واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على
التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرؤا عن كل شيء سواه وهو
مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب
ليس عليكم جناح ان تبتغوا في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا
منه يريد الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية

يقيمونها

يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا
افضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله
افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به
كأذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتأنيث لان تنوين الجمع تنوين
المقابلة لا تنوين التمكين ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين
من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التأنيث اما ان يكون بالتاء المذكورة
وهي ليست تاء تأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما
في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها
بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه
او لان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان آدم و
حواء التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك
وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان
الافاضة لا تكون الا بعده وهي مأمور بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة للذكر المأمور
وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل
والدعاء وقيل بصلاة العشائين عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى
قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه
عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا
وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة و
وصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل

والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم كما علمكم او اذكروه
ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان
كنتم من قبله اي الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة
واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين
ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش
كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان
يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم الى الغني
الحليم كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام
وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد آدم من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة
من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه
ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم
فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا
ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا
مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم
او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله
ذكرا كذكركم آباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او
كذكركم قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل المذكور
بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا
اشد ذكرا لله منكم لآبائكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب

بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد الحث على الاكثار و
الارشاد اليه ربنا آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له
في الآخرة من خلاق نصيب حظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق
ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق
الخير وفي الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو و
المغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي
الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا
العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من
الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة للمراد بها اولئك اشارة الى
الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله
كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمى الدعاء كسبا
لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار
لمحة او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب
الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات كبروه في ادبار الصلوات وعند
رمي الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل فمن استعجل النفر
في يومين يوم القر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي
الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه في
في النفر حتى رمى في اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه
على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجل والتاخر التخيير بينهما والرد على اهل

للجاهلية فان نفع من اثم المتعجل ونفع من اثم المتاخر لمن اتقى اى الذى
ذكر من التخيير ومن الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله
حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منها واتقوا الله فى مجامع اموركم ليعبأ بكم و
اعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق و
من الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم فى نفسك والتعجب حيرة تعرض
الانسان لجهله بسبب المتعجب منه فى الحيوة الدنيا متعلق بالقول اى ما يقوله فى
امور الدنيا واسباب المعاش او فى معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة
واظهار الايمان او يعجبك اى قوله فى الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك
فى الاخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له فى الكلام
ويشهد الله على ما فى قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما فى قلبه موافق
لكلامه وهو الد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام
المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم
خصومة قيل نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفى وكان حسن المنظر
حلو المنطق يوالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعى الاسلام وقيل
فى المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب
وصار واليا سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله
الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله
ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع بشومه القطر فيهلك الحرث
والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل

له اتق الله اخذته العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذى يؤمر
باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم
كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهى فى الاصل مرادف النار وقيل
معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد
الفراش وقيل ما يوطأ للجنب ومن الناس من يشرى نفسه يبيعها ببذلها فى الجهاد او يأمر
بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها
نزلت فى صهيب بن سنان الرومى اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال انى شيخ
كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلونى وما انا عليه وخذوا مالى
فقبلوا منه واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشرى
وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين آمنوا ادخلوا
فى السلم كافة السلم بالفتح والكسر الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق فى الصلح
والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائى وكسره الباقون وكافة اسم للجملة
لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال
السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع والمعنى
استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا
فى الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمنى اهل الكتاب فانهم
بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او فى شرائع الله كلها بالايمان
بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او فى شعب الاسلام واحكامه
كلها فلا تخلوا بشىء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق
والتفريق

إنه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فإن زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم
البينات الآيات والحجج الشاهدة على أنه الحق فاعلموا أن الله عزيز لا يعجزه
الانتقام حكيم لا ينتقم إلا بحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء
بعده إلا إلا أن يأتيهم الله أي يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه
بقوله فإن الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما أظلك و
قرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الأبيض وإنما يأتيهم العذاب فيه لأنه
مظنة الرحمة فإذا جاء منه العذاب كان أفظع لأن الشر إذا جاء من حيث
لا يحتسب كان أصعب فكيف إذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فإنهم الواسطة
في إتيان أمره أو الآتون على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل أو الغمام
وقضي الأمر أتم أمر إهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه
وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الأمر عطفا على الملائكة وإلى الله ترجع الأمور
قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم على أنه من الرجع وقرأ الباقون على
البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب على أنه من الرجوع وقرئ أيضا بالتذكير
وبناء المفعول كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة أو آية في الكتب شاهدة
على الحق والصواب على يد الأنبياء وكم خبرية أو استفهامية مقررة ومحلها
النصب على المفعولية أو الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها
ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله أي آياته فإنها سبب الهدى الذي هو أجل النعم
بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس أو بالتحريف والتأويل الزائغ من بعد
ما جاءته من بعد ما وصلت إليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بأنهم

بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فإن الله
شديد العقاب فيعاقبه أشد عقوبة لأنه ارتكب أشد جريمة زين للذين
كفروا الحياة الدنيا حسنت في أعينهم وأشربت محبتها في قلوبهم حتى
تهالكوا عليها وأعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى إذ ما
من شيء إلا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان
والقوة الحيوانية وما خلقه الله فيها من الأمور البهية والأشياء الشهية
مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار
وصهيب أي يسترذلونهم ويستهزئون بهم على رفضهم الدنيا وإقبالهم
على العقبى ومن للابتداء كأنهم جعلوا مبدأ السخرية والذين اتقوا فوقهم
يوم القيامة لأنهم في عليين وهم في أسفل السافلين أو لأنهم في كرامة وهم
في مذلة أو لأنهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا
وإنما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على أنهم متقون
وأن استعلاءهم للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب
بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء أخرى كان
الناس أمة واحدة متفقين على الحق فيما بين آدم وإدريس أو نوح
أو بعد الطوفان أو متفقين على الجهالة والكفر في فترة إدريس أو نوح
فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين أي فاختلفوا فبعث الله تعالى
وإنما حذف لدلالة قوله تعالى فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد
الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر

والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون واللام في الكتاب يريد به
الجنس ولا يريد به كتابا معينا فان كلهم لم يكن لهم
كتاب يخصهم وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اى
ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس اى الله او النبي المبعوث او كتابه
فيما اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق او الكتاب
الا الذين اوتوه اى الكتاب المنزل لازالة الخلاف اى عكسوا الامر فجعلوا
ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا
بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا لما
اختلفوا فيه من الحق من للبيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره
او بارادته ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات
مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما يأتكم ولم يأتكم و
اصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعلت مقابلة لقد مثل الذين خلوا
من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء بيان له
على الاستئناف وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد
حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت
حبال الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى
لا يرجونه متى نصر الله استبطاء له لتأخره الا ان نصر الله قريب استئناف على

فان قلت هو جملة الا ان نصر الله قريب مقول الرسول [illegible]
[illegible]
[illegible] الا ان نصر الله قريب [illegible]
[illegible] الامر [illegible]

ارادة القول اى فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيها اشارة
الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات و
مكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت
النار بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون عن ابن عباس ان عمرو بن الجموح الانصاري
كان شيخا ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها
فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن
السبيل سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة
باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان
المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط
فان الله به عليم جوابه اى ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الآية
ما ينافيه فرض الزكاة لتنسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم
مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ
بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كأنهم
اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته
كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع
يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم
وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما
ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم
وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم تعرف عينها

اكبر عند الله مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة
المعدودة من كبائر قريش وافعل من يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
والفتنة اكبر من القتل اي ما ترتكبونه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه
من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام
عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك
اعبد الله حتى ادخل الجنة ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول
الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد
منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها
في احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى والمراد بها الاعمال النافعة
وقرئ حبطت بالفتح وهي لغة فيه في الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام
من الفوائد الدنيوية والآخرة بسقوط الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون كسائر الكفرة ان الذين آمنوا نزلت ايضا في السرية لما ظن بهم انهم
ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر
الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد فكانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك يرجون
رحمة الله ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما
والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا خطأ وقلة احتياط رحيم باجزال الاجر
والثواب يسألونك عن الخمر والميسر روي انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا في نفر من الصحابة
قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها

جاء بمهملة منسوبة الى حضرموت

يسألونك عن الشهر الحرام روي انه عليه السلام بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية
في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله
الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة
الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى فقالت قريش استحل محمد
الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على
اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم
العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
الغنيمة وهي اول غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه في
ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرئ
عن قتال بتكرير العامل قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ
بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام و
فيه خلاف والاولى منع دلالة الآية على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا فان
قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم وصد عن سبيل الله اي
الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات وكفر به اي بالله والمسجد
الحرام على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام كقول ابي دؤاد اكل امرئ تحسبين
امرأ ونار توقد بالليل نارا ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله
وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يتقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة
ولا على الهاء في به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار واخراج
اهله منه اهل المسجد وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون

اي يتفرقون

قوم وركعوا الآخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناساً منهم فشربوا وسكروا فأمّ احدهم
فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت ولا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقلّ من يشربها ثم دعا
عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا
فانشد سعد شعراً فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجّه فشكا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً
شافياً فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا
يا رب والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا
اشتد وغلا كأنه يخمر العقل كما سمي سكراً لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقاً
وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ
حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه دون السكر والميسر ايضاً مصدر كالموعد سمي
به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما
قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن
المأمور وارتكاب المحظور ... ومنافع للناس من
كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصاً تشجيع الجبان
وتوفير المروة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد التي
تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فان
المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك
لما مر ويسألونك ماذا ينفقون قيل سائله ايضاً عمرو بن الجموح سأل اولاً
عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد

ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال
خذي العفو مني تستديمي مودتي وروي ان رجلاً اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من
ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرره مراراً
فقال هاتها مغضباً فاخذها فحذفها حذفاً لو اصابه لشجّه ثم قال يأتي احدكم
بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك يبين الله
لكم الآيات اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف
في موضع النصب صفة لمصدر محذوف اي تبييناً مثل هذا التبيين وانما وحّد العلامة
والمخاطب جمع على تأويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الدلائل والاحكام في
الدنيا والآخرة في امور الدارين فتأخذون بالاصلح والانفع منهما وتجتنبون
عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسألونك عن اليتامى لما نزلت
ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم
فشق ذلك عليهم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي
مداخلتهم لاصلاحهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على
المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد
بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم
لافساد واصلاح اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء الله
اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة ولم يجوّز لكم
مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما تقتضيه الحكمة
ويتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ اي ولا تتزوجوهن وقرئ

بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون
لقوله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله
عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روى
انه عليه السلام بعث مرثدا الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق
وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا نتخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك
ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فنزلت
ولامة مؤمنة خير من مشركة اي ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عبيد
الله واماؤه ولو اعجبتكم بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير
ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه
ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب
في مواصلة المؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات
يدعون الى النار اي الكفر المؤدي الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم
والله اي واولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
تفخيما لشأنهم يدعو الى الجنة والمغفرة اي الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما
فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين
اياته للناس لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز
في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسألونك عن المحيض روى ان اهل الجاهلية
كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يؤاكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان
سأل ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء و

المبيت

والمبيت ولعله سبحانه وتعالى انما ذكر يسألونك بغير واو ثلثا ثم بها ثلثا لان السؤالات
الاول كانت في اوقات متفرقة والثلثة الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك
ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اي الحيض مستقذر يؤذي من يقربه نفرة منه
فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام انما امرتم ان
تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم
وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن و
لا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة
ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع
ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عياش يطهرن
اي يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن فأتوهن فانه يقتضي تأخر
جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها
قبل الغسل من حيث امركم الله اي المأتي الذي امركم به وحلله لكم ان الله يحب
التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار
كمجامعة الحائض والاتيان في غير المأتي نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن
بها تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف بالبذور فأتوا حرثكم اي فأتوهن كما
تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث امركم الله انى شئتم
من اي جهة شئتم روى ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها
في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا
لانفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل هو التسمية على الوطء

وحتى ينقطع حيضهن عند ابي حنيفة

واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه واعلموا أنكم ملاقوه فتزودوا مما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين في الإيمان بالكرامة والنعيم الدائم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل أمره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت في الصديق رضي الله عنه لما حلف أن لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضي الله عنها أو في عبد الله بن رواحة حلف أن لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين أخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشيء وللمعرض للأمر ومعنى الآية على الأول ولا تجعلوا الله حاجزاً لما حلفتم عليه من أنواع الخير فيكون المراد بالأيمان الأمور المحلوف عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وأن مع صلتها بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز أن تكون للتعليل ويتعلق أن بالفعل أو بعرضة أي ولا تجعلوا الله عرضة لأن تبروا لأجل أيمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضاً لأيمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وأن تبروا علة للنهي أي أنهاكم عنه إرادة بركم وتقواكم وإصلاحكم بين الناس فإن الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون براً متقياً ولا موثوقاً به في إصلاح ذات البين والله سميع لأيمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان أو تكلم به جاهلاً لمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التأكيد لقوله

ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما أو بأحدهما بما قصدتم من الأيمان وواطأت فيها قلوبكم ألسنتكم وقال أبو حنيفة اللغو أن يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما أخطأتم فيه من الأيمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها والله غفور حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصاً للتوبة للذين يؤلون من نسائهم أي يحلفون أن لا يجامعوهن والإيلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص أربعة أشهر مبتدأ ما قبله خبره أو فاعل الظرف على خلاف ما سبق والتربص الانتظار والتوقف أضيف إلى الظرف على الاتساع أي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه لا إيلاء إلا في أكثر من أربعة أشهر فإن فاؤوا أي رجعوا عن اليمين بالحنث فإن الله غفور رحيم للمولي إثم حنثه إذا كفر أو ما توخى بالإيلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وإن عزموا الطلاق وإن صمموا قصده فإن الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال أبو حنيفة الإيلاء في أربعة أشهر فما دونها وحكمه أن المولي إن فاء في المدة بالوطء إن قدر وبالوعد إن عجز صح الفيء ولزم الواطئ أن يكفر وإلا بانت عنه بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة بأحد الأمرين فإن أبى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الأقراء لما دلت عليه الآيات والأخبار أن حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر في معنى الأمر وتغيير العبارة للتأكيد والإشعار بأنه مما يجب أن يسارع إلى امتثاله وكأن المخاطب

والقرء الطهر عند الشافعي وبه قال الفقهاء السبعة وعند أبي حنيفة [illegible] فلا بد من ثلاث [illegible]
[illegible] انقضت عدتها عنده بحيض الطهر [illegible] الحيض لا تنقضي العدة [illegible] الثالثة

قصداً أن يمتثل الأمر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على
المبتدأ مزيد فضل تأكيد بأنفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فإن
نفوس النساء طوامح إلى الرجال فأمرن بأن يقمعنها ويحملنها على التربص ثلاثة
قروء نصب على الظرف أو المفعول به أي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو
يطلق للحيض لقوله عليه السلام دعي الصلاة أيام أقرائك وللطهر الفاصل بين الحيضتين
كقول الأعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا وأصله الانتقال من الطهر إلى
الحيض وهو المراد به في الآية لأنه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قالت الحنفية
لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن أي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون
في الحيض وأما قوله عليه السلام طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه
الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن
شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها
النساء وكان القياس أن يذكر بصيغة القلة التي هي الأقراء ولكنهم يتسعون في ذلك
فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات
الأقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن
من الولد والحيض استعجالاً في العدة وإبطالاً لحق الرجعة وفيه دليل على أن قولها
مقبول في ذلك إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس المراد منه تقييد نفي الحل
بإيمانهن بل التنبيه على أنه ينافي الإيمان وأن المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له أن
يفعل وبعولتهن أي أزواج المطلقات أحق بردهن إلى النكاح والرجعة
إليهن ولكن إذا كان الطلاق رجعياً للآية التي تتلوها فالضمير أخص

من المرجع

من المرجع إليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء
لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤولة أو مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به أو أقيم
مقام المضاف المحذوف أي وأهل بعولتهن وأفعل هاهنا بمعنى الفاعل في ذلك أي
في زمان التربص إن أرادوا إصلاحاً بالرجعة لا إضرار المرأة وليس المراد منه
شريطة قصد الإصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل
الذي عليهن بالمعروف أي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب
واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس وللرجال عليهن درجة زيادة في
الحق وفضل فيه لأن حقوقهم في أنفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك
الضرار ونحوها أو شرف وفضيلة لأنهم قوام عليهن في غرض الزواج ويخصون
بفضيلة الرعاية والإنفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الأحكام
حكيم يشرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان أي التطليق الرجعي اثنتان لما روي
أنه عليه السلام سئل أين الثالثة فقال عليه السلام أو تسريح بإحسان وقيل معناه
التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين
الطلقتين والثلاث بدعة فإمساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو
تقييد الأول أو تسريح بإحسان بالطلقة الثالثة أو بأن لا يراجعها حتى تبين
وعلى المعنى الأخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقب به تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم
أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً أي من الصدقات روي أن جميلة أخت
عبد الله بن أبي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالت لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما أعيب عليه في دين

ولا خُلق ولكني أكره الكفر في الاسلام ما أطيقه بغضاً اني رفعت جانب الخباء فرأيته
اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سواداً واقصرهم قامةً واقبحهم وجهاً فنزلت فاختلعت
منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم
الآمرون بهما عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو
يشوش النظم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ الا ان
يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله ترك اقامة
احكامه من مواجب الزوجية وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول و
ابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب
فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به
على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة في اعطائه تلك حدود
الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود
الله فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم
ان ظاهر الآية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق
الزوج اليها فضلاً عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه السلام ايما امرأة سألت زوجها
طلاقاً في غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي انه عليه السلام قال لجميلة
أتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه السلام اما الزائد
فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساده
وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ
الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله فسخاً احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه

الخلع

العسيلة كناية عن قليل الجماع اذ يكفي قليل الانتشار قال الجوهري شبهت تلك اللذة بالعسل وصغرت ...

للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقاً و
الاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها
متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع
دلالة على ان الطلاق يقع مجاناً تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين
فلا تحل له من بعد من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجاً غيره حتى تتزوج غيره
والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن
المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي ان امرأة رفاعة قالت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني
وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى
رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالآية مطلقة قيدتها
السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفاداً من لفظ الزوج
والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثاً والرغبة
فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة
وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا
جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل من المرأة والزوج الاول الى الآخر بالزواج
ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حدده الله وشرعه
من حقوق الزوجية وتفسير الظن هاهنا بالعلم غير سديد لان عواقب الامور غيب
تظن ولا تعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو
ينافي العلم وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون

ويعملون بمقتضى العلم وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن أي آخر عدتهن والأجل
يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الإنسان وللموت الذي به ينتهي قال كل حي مستكمل
مدة العمر ومود إذا انتهى أجله والبلوغ هو الوصول إلى الشيء وقد يقال للدنو
منه على الاتساع وهو المراد في الآية ليصح أن يرتب عليه فأمسكوهن بمعروف
أو سرحوهن بمعروف إذ لا إمساك بعد انقضاء الأجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار
أو خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو إعادة الحكم في بعض صوره
للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن إرادة الإضرار بهن كان
المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الأجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها
فنهي عنه بعد الأمر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة أو الحال بمعنى مضارين
لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل أو الإلجاء إلى الافتداء واللام متعلقة بالضرار
إذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا
آيات الله هزوا بالإعراض عنها والتهاون بالعمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد
في الأمر إنما أنت هازئ كأنه نهي عن الهزء وأراد به الأمر بضده وقيل
كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت ألعب فنزلت وعنه عليه السلام
ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والعتاق والنكاح واذكروا نعمة
الله عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم بالشكر والقيام بحقوقها
وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة القرآن والسنة أفردهما بالذكر إظهارا لشرفهما
يعظكم به بما أنزل عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم تأكيد وتهديد
وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن أي انقضت عدتهن وعن الشافعي رضي الله عنه

دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن
المخاطب به الأولياء لما روي أنها نزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته جملاء
أن ترجع إلى زوجها الأول بالاستئناف فيكون دليلا على أن المرأة لا تزوج
نفسها إذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض بإسناد النكاح إليهن
لأنه بسبب توقفه على إذنهن وقيل الأزواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة
ولا يتركونهن يتزوجن عدوانا وقسرا لأنه جواب قوله وإذا طلقتم وقيل
الأولياء والأزواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الأمر فإنه
إذا وجد بينهم وهم راضون كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق
ومنه عضلت الدجاجة إذا نشب بيضها فلم يخرج إذا تراضوا بينهم أي الخطاب
والنساء وهو ظرف لأن ينكحن أو لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع
وتستحسنه المروءة حال من الضمير المرفوع أو صفة مصدر محذوف أي تراضيا
كائنا بالمعروف وفيه دلالة على أن العضل عن التزوج من غير كفؤ غير منهي
ذلك إشارة إلى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تأويل القبيل أو كل واحد أو أن الكاف
لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين أو للرسول
صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله يا أيها النبي إذا طلقتم النساء للدلالة على أن حقيقة
المشار إليه أمر لا يكاد يتصوره كل أحد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله
واليوم الآخر لأنه المتعظ به والمنتفع ذلكم أي العمل بمقتضى ما ذكر أزكى لكم
أنفع وأطهر من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح
وأنتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن أولادهن أمر عبر عنه

بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من
امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات تعم المطلقات
وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة
الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم
اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع
كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا
عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له اي الذي يولد له يعني الوالد
فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي
لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن
واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي رضي الله عنه ومنعه ابو حنيفة رضي الله عنه
ما دامت زوجة او معتدة النكاح بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفي به
وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف
ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار
والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب اي لا يكلف كل منهما
الآخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير وابو عمرو و
يعقوب لا تضار بالرفع بدلا من قوله لا تكلف واصله على القرائتين تضارر
بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان
يكون بمعنى تضر والباء من صلته وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد
على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد

اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا
على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث
مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما
تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي اي مؤن المرضعة
من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله عليه السلام واجعله
الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد
وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب
ابي حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب
من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اي فصالا
صادرا عن التراضي منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة
والمشورة استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح
عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم
احدهما على ما يضر به لغرض وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي تسترضعوا
المراضع اولادكم يقال ارضعت المرأة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله
حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم
واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع للولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا
سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة
وقرأ ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اي
ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اي بالوجه المتعارف

المستحسن شرعاً وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم
لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاحسن والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة
في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير
حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً يتربصن بانفسهن
اربعة اشهر وعشراً اي وازواج الذين او والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجاً يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح
الياء اي يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور
والايام ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله قط ذهاباً الى الايام حتى انهم
يقولون صمت عشراً ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشراً ثم ان لبثتم الا يوماً
ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر
ان كان ذكراً ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه
العشر استظهاراً اذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم
اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعي رضي الله عنه
والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة
للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله واولات الاحمال اجلهن ان يضعن
حملهن وعن علي وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطاً فاذا بلغن
اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة او المسلمون جميعاً
فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليها للعدة بالمعروف
بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفوهن

فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم
فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له
حقيقة ولا مجازاً كقول السائل جئتك لأسلم عليك والكناية هي الدلالة على الشيء
بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة
بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة و
المراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافقة
ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه
تصريحاً ولا تعريضاً علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن
وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سراً استدراك عن
محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحاً
او جماعاً عبر بالسر عن الوطء لانه يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل
لا تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن
الا ان تقولوا قولاً معروفاً وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف
اي لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء
منقطع من سراً وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض و
هو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت
معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا
عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد او ولا تعزموا عقد عقدة
النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع

حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم
من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا واعلموا ان الله غفور لمن عزم و
لم يفعل خشية من الله حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من
مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم
يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفي ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن
اي تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا او وتفرضوا
والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء
لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق
من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهرا اذ لو كانت ممسوسة
فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق
الآية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في
الاخيرتين ومتعوهن عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة
في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويؤيده
قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي على كل من الذي له سعة والمقتر
الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه السلام لانصاري طلق امراته
المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة و
خمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الآية
يقتضي تخصيص ايجاب المتعة بالمفوضة التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي
في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرأ

حمزة وحفص وابن ذكوان بفتح الدال متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي
يستحسنه الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا
على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات
بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل
ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم اي فلهن او فالواجب
نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي ثمة تبعة المهر وان لا متعة
مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون اي المطلقات فلا ياخذن شيئا والصيغة
تحتمل التذكير والتانيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع
وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا
ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اي الزوج المالك
لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان
الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب اصحابنا الحنفية
وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المراة صغيرة وهو قول
قديم للشافعي وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على
وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الآخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا
اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل
المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم
رضي الله عنه انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا
احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض

لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم غيرها

أجداثهم وقبورهم رواية أخرى

ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات
بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد
والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها والصلوة الوسطى اي الوسطى
بينها او الفضلى منها خصوصا وهي صلوة العصر لقوله عليه السلام يوم الاحزاب
شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها
لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها في وسط
النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل العبادات احمزها
وقيل صلوة الفجر لانها بين صلوتي النهار والليل والواقعة في الحد المشترك
بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار
وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن عائشة رضي الله عنها
انه عليه السلام كان يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون صلوة من الاربع
خصت بالذكر مع العصر لانفرادها بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص والمدح وقوموا
لله في الصلوة قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين
وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او
ركبانا فصلوا راجلين او راكبين ورجال جمع راجل او رجل بمعناه كقائم و
قيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي وقال
ابو حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم وزال
خوفكم فاذكروا الله صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن كما علمكم ذكرا
مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه

وما مصدرية

116

وما مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قرأها بالنصب ابو عمرو وابن عامر
وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية
او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او ألزم الذين يتوفون وصية
ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرأ
الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او
الذين يتوفون اهل وصية او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع
بدلها متاعا الى الحول نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع
على قراءة من قرأها لانه بمعنى التمتيع غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا
القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين
يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى
وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان
متقدما في التلاوة فهو متأخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع
او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة فان خرجن عن منزل
الازواج فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن كالتطيب وترك الحداد
من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن
المتوفى والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين
الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم راعى مصالحهم وللمطلقات
متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة

يعني بمجاز المشارفة اي يحتضرون الوفاة لان الوصية قبل الوفاة

منحصر وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق
بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واوله غيره بما يعم التمتع
الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام
للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرر القصة كذلك اشارة الى ما سبق من
احكام الطلاق والعدة يبين الله لكم آياته وعد بانه سيبين لعباده من
الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لكي
تفهموها فتستعملون العقل فيها الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من
اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار
مثلا في التعجب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان قرية قبل
واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا
ان لا مفر من قضاء الله وقدره او قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد
ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف اى الوف
كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل متألفون جمع الف او آلف كقاعد
وقعود حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اى فقال لهم موتوا
فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله
ومشيئته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تخويفا وتهويلا ثم احياهم
قيل مر حزقيل على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب
ذلك فاوحى الله اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فقاموا يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة تشجيع المؤمنين على القتال

والتحريض

والتحريض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله لذو
فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم ليستبصروا
ولكن اكثر الناس لا يشكرون اى لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يريد بالشكر الاعتبار
والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار من الموت غير مخلص منه وان
المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب
واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء
من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي
صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي به يطلب ثوابه قرضا حسنا اقراضا
حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن
المجاهدة والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة
المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من
ذا الذي يقرض الله في معنى أيقرض الله احد وقرأ ابن كثير فيضعفه بالرفع والتشديد
وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة كثرة لا يقدرها الا الله وقيل
الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول
الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر و
جمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت
حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم وقرأ نافع والكسائي والبزي
وابو بكر ويبصط هنا وبصطة في الاعراف بالصاد فيهما واليه ترجعون فيجازيكم
على ما قدمتم الم تر الى الملأ من بني اسرائيل الملأ جماعة يجتمعون للتشاور ولا

واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اى من بعد وفاته ومن
للابتداء اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او شمويل ابعث لنا ملكا
نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه
عن رأيه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اى ابعثه لنا مقدرين
القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم
ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع
جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع
عنده تقريرا وتثبيتا وقرأ نافع عسيتم هنا وفي القتال بكسر السين قالوا وما
لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اى اى غرض
لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان
والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا
يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا
ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما
كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر
والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان
الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من
الطول تعسف يدفعه منع صرفه روي ان نبيهم عليه السلام لما دعا الله ان يملكهم اتى
بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له
الملك علينا من اين يكون له ذلك ويستاهل ونحن احق بالملك منه ولم يؤت

سعة من المال والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له
يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من
اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد لاوي بن
يعقوب والملك في اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق قال ان الله
اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء
والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا
بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه
وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب
واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل
القائم يمد يده فينال رأسه وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه
من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك
من النسيب وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه اصطفى طالوت
وملكه عليهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه
لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ومن قرأه
بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التأنيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد
به صندوق التورية وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في
ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اى في اتيانه سكون لكم و
طمأنينة او للتابوت اى مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التورية وكان موسى عليه السلام
اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من

ذ برجد او ياقوت لها راس وذنب كراس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف
التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر
وقيل صور الانبياء عليهم السلام من آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير
قلبه مقر العلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل
هرون رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما
ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء
عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله تعالى بعد موسى عليه السلام فنزلت به الملائكة
وهم ينظرون اليه وقيل كان مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم
الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك الله طالوت فاصابهم ببلاء
حتى هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما
الملائكة الى طالوت ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان
يكون من تمام كلام النبي عليه السلام وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فلما
فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه
ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي الا
الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه مما اختاره ثمانون الفا وكان الوقت
قيظا فسلكوا مفازة فسالوا ان يجري الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم
بنهر معاملكم معاملة المختبر فمن شرب منه فليس مني فليس من اشياعي او ليس
بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه

ماكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي
ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي الا من اغترف غرفة بيده استثناء
من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم
الصابئون على الخبر في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة
في القليل دون الكثير فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب
منه ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب
الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه
والقليل كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل ثلاثة آلاف وقيل الفا روي
ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه
واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة فلما
جاوزه هو والذين آمنوا معه اي القليل الذين لم يخالفوه قالوا اي بعضهم لبعض
لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم
ملاقوا الله اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا
انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه و
في قالوا للكثير المنخزلين عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم
تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه
وتيسيره وكم تحتمل الاستفهام والخبر ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة
من الناس من فأوت راسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها
فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت

وجنوده اى ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين التجاوا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا
اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب
المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا فهزموهم باذن الله فكسروهم بنصره
او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان ايشى
في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى
الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد
كلمه في الطريق ثلاثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته
ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتيه الله الملك اى ملك بنى اسرائيل
ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام
الدواب والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن
الله ذو فضل على العالمين ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين
على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض او لفسدت الارض بشؤمهم
تلك آيات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان
التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه
المطابق الذي لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما
اخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة
قصصها في السورة او المعلومة للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق
فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من

مداحض جمع دحض ... بمعنى الزلق

بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط

والمراد عمل الدرع شهاب

الدافع المسلمون والمدفوع الكفار

١٢٠

كلم الله تفضيل له وهو موسى وقيل موسى ومحمد عليهما السلام كلم الله موسى ليلة
الحيرة وفي الطور ومحمدا ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون
بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل
كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله على العامة والحجج المتكاثرة
والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية
الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شأنه كأنه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن
التعيين وقيل ابراهيم عليه السلام خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل
ادريس لقوله ورفعناه مكانا عليا وقيل اولو العزم من الرسل وآتينا
عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود
والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة
ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين
من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم
في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه التزام
دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا
كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل
من يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز
تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان
الحوادث بيد الله تعالى تابعة لمشيئته خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا
يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم ما اوجب عليكم انفاقه من قبل ان يأتي

على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فانه خص بالدعوة العامة

كالقرآن المتلو والاخبار عن المغيبات

يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون
على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه إذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه
أو تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه أخلاؤكم أو يسامحوكم به
ولا شفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولاً حتى تتكلوا على شفعاء تشفع
لكم في حط ما في ذممكم وإنما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لأنها في التقدير
جواب هل فيه بيع أو خلة أو شفاعة وقد فتحها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب
على الأصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون للزكاة هم الذين ظلموا
أنفسهم أو وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون
موضعه تغليظاً وتهديداً كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وإيذاناً بأن
ترك الزكاة من صفات الكفار لقوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة
الله لا إله إلا هو مبتدأ وخبر والمعنى أنه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة
خلاف في أنه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود أو يصح أن يوجد الحي الذي
يصح أن يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والإمكان
القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالأمر إذا حفظه
لا تأخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان
أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال تعرض للحيوان
من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف
الحواس الظاهرة عن الإحساس رأساً وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة
عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتأكيد لكونه حياً فإن من أخذه

نعاس أو نوم كان مؤوف الحياة قاصراً في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه
وفي الجمل التي بعده له ما في السموات وما في الأرض تقرير لقيوميته واحتجاج على
تفرده في الألوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلاً في حقيقتهما أو خارجاً
عنهما متمكناً فيهما فهو أبلغ من قوله له السموات والأرض وما فيهن من ذا
الذي يشفع عنده إلا بإذنه بيان لكبرياء شأنه وأنه لا أحد يساويه أو يدانيه
يستقل بأن يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلاً أن يعاوقه عناداً أو مناصبة
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم أو بالعكس لأنك مستقبل المستقبل
ومستدبر الماضي أو أمور الدنيا وأمور الآخرة أو عكسه أو ما يحسونه وما يعقلونه
أو ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والأرض لأن فيهم العقلاء أو
لما دل عليه من ذا من الملائكة والأنبياء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته إلا
بما شاء أن يعلموا وعطفه على ما قبله لأن مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال
على وحدانيته وسع كرسيه السموات والأرض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله
وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات
بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه أو ملكه
من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسياً محيط
بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع والأرضون السبع مع الكرسي إلا
كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله
الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الأصل لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد
القاعد وكأنه منسوب إلى الكرس وهو الملبد ولا يؤوده ولا يثقله مأخوذ من الأود

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها اولادك واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها وتذاكر الصحابة رضوان الله عليهم افضل ما في القرآن فقال لهم علي اين انتم عن آية الكرسي ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وفي حديث من قرأ آية الكرسي عند منامه بعث الله ملكا يحرسه حتى يصبح وقال جبرائيل عم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عفريتا من الجن يكيدك فاطرده بتلاوة آية الكرسي بعث الله سبعين الفا من الملائكة يستغفرون له ويدعون له فاذا رجع الى منزله ودخل بيته فقرأ آية الكرسي نفى الله عنه الفقر من بين عينيه

وهو لا يؤوده حفظهما اي حفظ السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول وهو العلي المتعال عن الانداد والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الآية مشتملة على امهات المسائل الالهية فانها دالة على ان الله تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح و لا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له العالم بالاشياء كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤوده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه السلام ان اعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله تعالى ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه امنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله لا اكراه في الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان

طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل البعثة ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان قلبت عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لتمسك الحق من النظر الصحيح والرأي القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين آمنوا محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن يخرجهم من الظلمات من ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل او منهما او استينافا مبين او مقرر للولاية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما يخرجونهم من النور الى الظلمات من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبب لا يأبى تعلقه بالله تعالى وارادته اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير و

ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم. الم تر الى الذي حاج ابرهيم
في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته. ان آتيه الله الملك لان آتاه اي ابطره
ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكراً له على طريقة العكس كقولك
عاديتني لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك. وهو حجة على
من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة. اذ قال ابرهيم ظرف لحاج او
بدل من آتاه على الوجه الثاني. ربي الذي يحيي ويميت بخلق الحيوة
والموت في الاجساد. وقرأ حمزة رب بحذف الياء. قال انا احيي واميت
بالعفو عن القتل والقتل. قال ابرهيم فان الله يأتي بالشمس من المغرب
اعرض ابرهيم عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر
فيه على نحو هذا التمويه دفعاً للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي
الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى.
ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابرهيم بذلك
وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول. وقيل لما كسر ابرهيم الاصنام
سجنه اياماً ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه وحاجه فيه.
فبهت الذي كفر فصار مبهوتاً. وقرئ فبهت اي فغلب ابرهيم الكافر. والله
لا يهدي القوم الظالمين. الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية. و
قيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة. او طريق الجنة يوم القيامة.
او كالذي مر على قرية تقديره او ارأيت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر
عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته

اكثر

اكثر من ان تحصى بخلاف مدعي الربوبية. وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام
الم تر الى الذي حاج او الذي مر. وقيل انه عطف محمول على المعنى كانه قيل
الم تر كالذي حاج او كالذي مر. وقيل انه من كلام ابرهيم ذكره جواباً
لمعارضته. وتقديره او ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله الذي مر. وهو عزير
او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود. والقرية بيت
المقدس حين خربه بختنصر. وقيل القرية التي خرج منها الالوف
وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع. وهي خاوية على عروشها
خالية ساقطة حيطانها على سقوفها. قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافاً
بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاماً لقدرة المحيي ان كان القائل
مؤمناً واستبعاداً ان كان كافراً. وانى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى
او على الحال بمعنى كيف. فاماته الله مائة عام. فالبثه ميتاً مائة عام او
اماته الله فلبث ميتاً مائة عام. ثم بعثه بالاحياء. قال كم لبثت القائل هو
الله او ملك او نبي. وان كان كافراً لانه آمن بعد البعث او شارف الايمان.
وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى
الشمس يوماً ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب.
قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور
الزمان. واشتقاقه من السنة. والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء
سكت ان قدرت واواً. وقيل اصله لم يتسنن من الحمأ المسنون فابدلت
النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي. وانما افرد الضمير لان الطعام

وقرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب لم يتسن بغير الهاء في الوصل

والشرابان جنس واحد. قيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا
او لبنا وكان الكل على حاله. وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه او
انظر اليه سالما فى مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا
الطعام والشراب من التغير. والاول ادل على الحال واوفق لما بعده
ولنجعلك آية للناس اى وفعلنا ذلك لنجعلك آية. روى انه اتى قومه
على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرأ التورية من الحفظ ولم يحفظها
احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله. وقيل لما رجع الى منزله
كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة
وانظر الى العظام يعنى عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم كيف
ننشزها كيف نحييها او نرفع بعضها على بعض ونركبه عليه وكيف منصوب
بننشزها والجملة حال من العظام اى انظر اليها محياة. وقرأ ابن كثير
ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها
من نشر بمعنى انشر. ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره
ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شئ قدير فحذف الاول لدلالة
الثانى عليه او ما قبله اى فلما تبين له ما اشكل عليه وقرأ حمزة والكسائى قال
اعلم على الامر والآمر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على طريق التبكيت ٢٨
واذ قال ابرهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى انما سأل ذلك ليصير علمه
عيانا. وقيل لما قال نمرود انا احيى واميت قال له ان احياء الله برد الروح
الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر

ان الله على كل شئ قدير قال اعلم

ثم

ثم سأل ربه اذ نوبه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم
تؤمن بانى قادر على الاحياء باعادة التركيب والحياة قال له ذلك وقد علم انه اعرف
الناس فى الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبى
اى بلى آمنت ولكن سألت لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحى
والاستدلال قال فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة
ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحياة الابدية
انما يتأتى باماتة حب [illegible]
بها الديك وخسة [illegible]
الى الهواء الوسيم [illegible]
الحيوان والطير [illegible]
فتاملها وتعرف [illegible] فصرهن
بالكسر وهما لغتان [illegible]
وخف كانت [illegible]
مشدودة الراء [illegible]
ايضا ثم اجعل [illegible]
الجبال التى بحضرتك [illegible]
الى بجنب وقع [illegible]
ساعيات مسرعات [illegible] يقطعهن
ويقطعها فيبدأ ريشها وتخلط سائر اجزائها ويفرقها على الجبال ثم يناديها

[illegible]
فرع يسلا فى رسوم
[illegible]

والشراب الجنس الواحد . قيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا
او لبنا وكان الكل على حاله وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه او
انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا
الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده
ولنجعلك آية للناس اي وفعلنا ذلك لنجعلك آية . روي انه اتى قومه
على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرأ التوراة من الحفظ ولم يحفظها
احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله
كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة
[illegible] او الاموات الذين تعجب من احيائهم كيف
[illegible] بعضها الى بعض وتركيبه عليه وكيف ننشز
[illegible] طام اي انظر اليها محياة وقرأ ابن كثير
[illegible] رها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها
[illegible] ها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر
[illegible] انه على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة
[illegible] له ما اشكل عليه وقرأ حمزة والكسائي قال
[illegible] نفسه خاطبها به على طريق التبكيت ٢٨
[illegible] تحيي الموتى انما سأل ذلك ليصير علمه
[illegible] وابت قال الان احياه الله برد الروح
[illegible] لم يقدر ان يقتل ثم ما انتقل الى تقرير آخر

وقرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب لم يتسن بغير الهاء في الوصل

ثم سأل ربه اذ ثوبه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم
تؤمن باني قادر على الاحياء بالتركيب العجيب قال له ذلك وقد علم انه اعرف
الناس في الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
اي بلى آمنت ولكن سألت لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحي
والاستدلال قال فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة
ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحياة الابدية
انما يتاتى باماتة حب الشهوات والزخارف الذي هو صفة الطاوس والصولة المشهور
بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بها الغراب والترفع والمسارعة
الى الهوى الموسوم بها الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص
الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك
لتتاملها وتعرف شأنها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن
بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد
وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها
مشددة الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع
ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على
الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة وقرأ ابو بكر جزؤا بضم
الزاي حيث وقع ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا
ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها
ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن

فيفعل ذلك فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثاً ثم أقبلن فانضممن إلى رؤوسهن
وفيه إشارة إلى أن من أراد إحياء نفسه بالحياة الأبدية فعليه أن يقبل على القوى
البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات
متى دعاهن بداعية العقل أو الشرع وكفى لك شاهداً على فضل إبراهيم عليه السلام ويمن
الضراعة في الدعاء وحسن الأدب في السؤال أنه تعالى أراه ما أراد أن يريه في
الحال على أيسر الوجوه وأراه عزيراً بعد أن أماته مائة عام واعلم أن الله
عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره مثل الذين
ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم
كمثل باذر حبة على حذف المضاف أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة
أسند الإنبات إلى الحبة لما كانت من الأسباب كما يسند إلى الأرض والماء
والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى والمعنى أنه يخرج منها ساق يتشعب منها
سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه
وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الأراضي المغلة والله يضاعف تلك
المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلى حسب حال المنفق من إخلاصه وتعبه ومن أجل ذلك
تفاوتت الأعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من
الزيادة عليم بنية المنفق وقدر إنفاقه الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله
ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى نزلت في عثمان رضي الله عنه فإنه
جهز جيش العسرة بألف بعير بأقتابها وأحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فإنه أتى النبي عليه السلام
بأربعة آلاف درهم صدقة والمن أن يعتد بإحسانه على من أحسن إليه والأذى

تشبيه مركب بالمركب

أن يتطاول عليه بسبب ما أنعم عليه وثم للتفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى
لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء
فيه وقد تضمن ما أسند إليه معنى الشرط إيهاماً بأنهم أهل لذلك وإن لم يفعلوا فكيف
بهم إذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل إلحاحه أو نيل
مغفرة من الله تعالى بالرد الجميل أو عفو من السائل بأن يعذره ويغتفر رده
خير من صدقة يتبعها أذى خبر عنهما وإنما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها
بالصفة والله غني عن إنفاق بمن وإيذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي
بالعقوبة يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى لا تحبطوا
أجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم
الآخر كإبطال المنافق الذي يرائي بإنفاقه ولا يريد به رضاء الله ولا ثواب الآخرة
أو مماثلين الذي ينفق رئاء فالكاف في محل النصب على المصدر أو الحال ورئاء
نصب على المفعول له أو الحال بمعنى مرائياً أو المصدر أي إنفاق رئاء فمثله
كمثل المرائي في إنفاقه كمثل صفوان كمثل حجر أملس عليه تراب فأصابه وابل
مطر عظيم القطر فتركه صلداً أملس نقياً من التراب لا يقدرون على شيء
مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق
باعتبار المعنى لأن المراد به الجنس أو الجمع كما في قوله وإن الذي حانت بفلج دماؤهم
والله لا يهدي القوم الكافرين إلى الخير والرشاد وفيه تعريض بأن الرئاء والمن
والأذى على الإنفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن أن يتجنب عنها ومثل الذين
ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم وتثبيتاً بعض أنفسهم

بالإضافة
انفاق رياء

على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه
ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء
مبتدأ من اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية
النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء
في الزكاة كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى
ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلثتها لغات فيها
اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع
وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد
بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد في قوله من كل زوجين اثنين وقيل
اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل او فطل يكفيها
لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى
ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم
اليها من احوالها ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم
الكثيرة والقليلة الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون بصير
تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون له
جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة
منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات
ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع
واصابه الكبر اي كبر السن فان الفاقة والعالة في الشيخوخة اصعب والواو

الحال

للحال او للعطف حملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر
وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت
عطف على اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من
الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة
ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء في الحسرة والاسف فاذا كان يوم القيمة
واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم به
من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه
الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين
الله لكم الايات لعلكم تتفكرون اي تتفكرون فيها فتعتبرون بها يا ايها الذين
آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده ومما اخرجنا لكم من الارض
اي ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم
ذكره ولا تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا الردي منه اي من المال وتخصيصه
بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تأمموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون
حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه ويكون الضمير للخبيث و
الجملة حال منه ولستم بآخذيه اي وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم لرداءته
الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ
تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس رضي الله عنه
كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم
وانما يامركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر

في الانفاق والوعد في الاصل شائع في الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وبضمتين
وبفتحتين ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمي البخيل
فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة منه اي يعدكم في الانفاق مغفرة
لذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا او في الآخرة والله واسع
اي واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان
العمل من يشاء مفعول اول أخر للاهتمام بالمفعول الثاني ومن يؤت الحكمة
بناه للمفعول لانه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر اي ومن يؤته الله فقد اوتي خيرا
كثيرا اي اي خير كثير اذ حيز له خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بما قص
من الآيات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله في قلبه من العلوم
بالقوة الا اولوا الالباب ذووا العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون
الى متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق
او باطل او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية فان الله
يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون
فيها او يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور من انصار من ينصرهم
من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وان
تخفوها وتؤتوها الفقراء اي تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء
خير لكم وهذا في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره افضل
لنفي التهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها

بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا
ويكفر عنكم من سيئاتكم قرأه ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء اي والله يكفر
او الاخفاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب
بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتدأة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اي
ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة والكسائي به مجزوما على محل الفاء وما بعده وقرئ
بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير ترغيب
في الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك
الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث
ولكن الله يهدي من يشاء صريح بان الهداية من الله وبمشيئته وانها تخص
بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو
لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء
وجه الله حال وكأنه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا ابتغاء
وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اي وليس نفقتكم الا ابتغاء وجهه
فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا
من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تأكيد للشرطية السابقة
او ما يخلف المنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا
روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون
عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب
فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون ثواب نفقتكم

للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به
ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب قيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من
فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة
وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل
بحالهم اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من
الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول او لكل احد لا يسألون الناس الحافا
الحاحا وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني
من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل
هو نفي للامرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر فانه
كنوع من السؤال او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب
في الانفاق وخصوصا على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار
سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر الصديق
رضي الله عنه تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر
وعشرة بالعلانية وقيل في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم
ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله
والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين
ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين
ولذلك جوز الوقف على وعلانية الذين ياكلون الربا اي الآخذون له
وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربا شائع في المطعومات وهو زيادة

في الاجل

في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان يباع
احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت
الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما
يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما
يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير
اتساق كخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان
الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون
اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكل الربا او بيقوم او بيتخبط فيكون
نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله اربى
في بطونهم ما اكلوا من الربا فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا
اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى
الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة
كانهم جعلوا الربا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين
بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوي درهما بدرهمين فلعل مساس
الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربا
انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضته النص فمن جاءه موعظة من ربه
فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربا فانتهى فاتعظ وتبع النهي
فله ما سلف تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف
ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على رأي سيبويه اذ

الطرف غير معتمد على ما قبله. وأمره إلى الله يجازيه على انتهائه إذ كان عن قبول الموعظة
وصدق النية، وقيل يحكم في شأنه ولا اعتراض لكم عليه. ومن عاد إلى تحليل
الربا إذ الكلام فيه. فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون لأنهم كفروا به. يمحق
الله الربا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه. ويربي الصدقات يضاعف
ثوابها ويبارك فيما أخرجت منه، وعنه عليه السلام إن الله تعالى يقبل الصدقة ويربيها
كما يربي أحدكم مهره، وعنه عليه السلام ما نقصت زكاة من مال قط. والله لا يحب
لا يرتضي ولا يحب محبته للتوابين. كل كفار مصر على تحليل المحرمات. أثيم منهمك في
ارتكابه. إن الذين آمنوا بالله ورسله وبما جاءهم منه. وعملوا الصالحات
وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة عطفهما على ما يعمهما لإنافتهما على سائر الأعمال الصالحة
لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون من آت ولا على فائت. يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا واتركوا بقايا ما شرطتم
على الناس من الربا. إن كنتم مؤمنين بقلوبكم فإن دليله امتثال ما أمرتم به. روي
أنه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربا فنزلت
فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله أي فاعلموا بها من أذن بالشيء
إذا علم به، وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابن عياش فآذنوا أي فأعلموا بها غيركم
من الأذن وهو الاستماع فإنه من طرق العلم، وتنكير حرب للتعظيم، وذلك يقتضي
أن يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء إلى أمر الله كالباغي ولا يقتضي كفره. روي
أنها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله. وإن تبتم من الارتباء
واعتقاد حله فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون بأخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل

والنقصان

والنقصان، ويفهم منه أنهم إن لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو سديد على ما
قلناه إذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء. وإن كان ذو عسرة فنظرة فالحكم
نظرة أو فعليكم نظرة أو فليكن نظرة وهي الإنظار. وقرئ فناظره على الخبر أي
فالمستحق ناظره بمعنى منتظره أو صاحب نظرته على طريق النسب، وعلى الأمر أي فسامحه
بالنظرة. إلى ميسرة يسار، وقرأ نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة،
وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة كقوله: وأخلفوك عد الأمر الذي
وعدوا. وأن تصدقوا بالإبراء، وقرأ عاصم بتخفيف الصاد. خير لكم أكثر ثوابا
من الإنظار أو خير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه، وقيل المراد
بالتصدق الإنظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم
صدقة. إن كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والأجر الجزيل. واتقوا
يوما ترجعون فيه إلى الله يوم القيامة أو يوم الموت، فتأهبوا لمصيركم إليه،
وقرأ أبو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم. ثم توفى كل نفس ما كسبت
جزاء ما عملت من خير أو شر. وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب. وعن ابن
عباس رضي الله عنهما آخر آية نزل بها جبرئيل عليه السلام وقال ضعها في رأس
المائتين والثمانين من البقرة، وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أحدا و
عشرين يوما، وقيل أحدا وثمانين، وقيل سبعة أيام، وقيل ثلاث ساعات.
يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إذا داين بعضكم بعضا، تقول داينته
إذا عاملته نسيئة معطيا أو آخذا. وفائدة ذكر الدين أن لا يتوهم من التداين
المجازاة، ويعلم تنوعه إلى المؤجل والحال، وأنه الباعث على الكتبة، ويكون مرجع ضمير

فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه
لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس ان المراد به
السلم وقال لما حرم الله تعالى الربا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل
من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب
فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد
من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه من كتبة الوثائق او لا يأب ان ينفع
الناس بكتابته كما نفعه بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة
المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تاكيدا ويجوز ان تتعلق الكاف بالامر
فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق
وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق
الله ربه اي المملي او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق
او مما املى عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا
او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة
فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل
عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار
ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان
من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب
عامة العلماء وقال ابو حنيفة تقبل شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا
رجلين فان لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد او فالمستشهد

رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند
ابي حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احديهما
فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار العدد اي لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة
بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال
سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وكانه قيل
ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة
ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو
ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة
او التحمل وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا
ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب
وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن
كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا
الى اجله الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه
اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها
وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم
وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى الا ترتابوا واقرب في
ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة
حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة
والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها

يدا بيد الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوه لبعده عن التنازع والنسيان
ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة
كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ورفعها الباقون
على انها الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم هذا
التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه الآية للاستحباب عند اكثر الائمة
وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد
يحتمل البنائين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما
عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار
بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله و
الشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار او ما نهيتم عنه فانه فسوق بكم
خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله
احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر لفظ الله في الجمل الثلث لاستقلالها
فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه
ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر اي مسافرين ولم تجدوا
كاتبا فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ
رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك
لانه عليه السلام رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير اخذه
لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالكتب في السفر الذي هو
مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وابو عمرو

فرهن

١٣١

فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فان امن بعضكم
بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد
الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ
الذي ايتمن بقلب الهمزة ياء والذتمن بادغام الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة
عن الهمزة في حكمها فلا تدغم وليتق الله ربه في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات
ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديونون والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها
فانه آثم قلبه اي يأثم قلبه او قلبه يأثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان
الكتمان مقترفه ونظيره العين زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء
وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق
سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد
لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله
يوم القيمة وهو حجة على منكري الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء
مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما
ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستئناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن
جزم بغير فاء جعلهما بدلا منه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله متى تأتنا
تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا
تدغم الا في مثله والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة
آمن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه

والاعتداد به او بانه جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي
ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدأ فيكون الضمير
للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم
اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ
حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في وحدان
الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد
من رسله اي يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا
على معناه كقوله وكل أتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي
كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي
الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك
ربنا اغفر غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو
اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما تسعه قدرتها فضلا
ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها لقوله
يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه
لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر
بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه
اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف
الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا

قال الشيخ اكمل الدين في الانوار روي ان الاصر في بني اسرائيل كانت عشرة اشياء كانت الطيبات محرمة عليهم بالذنوب
وكان الواجب عليهم خمسين صلوة في اليوم والليلة وكانت زكوتهم ربع المال ولم يكن تطهيرهم من الجنابة والحدث بغير الماء
ولم يكن صلوتهم جائزة في غير المسجد وكان يحرم عليهم الاكل والشرب للصوم بعد النوم ويحرم الجماع بعد العتمة والنوم كالاكل
وكان علامة قبول القربان احراقا بنار نزل من السماء وثواب حسناتهم كانت بواحدة ومن اذنب منهم ذنبا بالليل كتب على باب
داره قبل الصباح انتهى كلامه
وانت خبير بان قطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة وحرمة مال الغنيمة
وتحريم العروق في اللحم
وتحريم يوم السبت زوائد على ما ذكر من العشرة

النسيان او خطاء من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا تمتنع المؤاخذة بهما
عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطاء
فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد
التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة
فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطاء والنسيان ربنا ولا تحمل
علينا اصرا كما حملته عبئا ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف
الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا
حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة لاصرا
والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين
صلوة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي
لا تفي بها الطاقة البشرية ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا وامح
ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف
بنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من
حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روي انه عليه السلام
لما دعا بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز
الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء
الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة
البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي

اذ يقال السورة التي تذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي يذكر فيها
البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن
تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهور وكان حقها ان يوقف عليها
لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج
فان الميم في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور
في باب الوقف ولذلك لم يحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء
الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم
روي انه عليه السلام قال ان اسم الله الاعظم في ثلث سور في البقرة الله لا اله الا
هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت
الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القرآن نجوما بالحق بالعدل
او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو في موضع الحال
مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى
واشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما
اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العرب
من قبل من قبل تنزيل القرآن هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون
بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس

الكتب

الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكره بعد ذكر الكتب الثلثة ليعم
ما عداها كانه قال وانزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل او الزبور او الفرقان كرر
ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا
منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين الحق والباطل او المعجزات ان الذين كفروا بآيات
الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب
لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم و
الفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة
الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى
عليه شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا
او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى
الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي
يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية و
الاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي
صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على
مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا
حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم
واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات احكمت عبارتها بان
حفظت من الاحتمال هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات

فافردها على تاويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة اية واحدة واخر متشابهات
محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها
فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم
المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها
والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله الر كتاب
احكمت اياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا
متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع
اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته
لان معناه ان القياس ان يعرف لا ان في معناه المعرف او عن اخر من فاما الذين
في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون
بظاهره او بتاويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم
بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تاويله وطلب
ان يأولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او
كل واحدة منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل
وما يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم اي الذين
ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله بعلمه
كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او
بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون امنا به
استيناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدا كل من عند

ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة
الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو تجرد العقل
عن غواشي الحس واتصال الاية بما قبلها من حيث انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله
وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب عن قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون
هو اباه بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره في
الرحم والمصور لا يكون اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل
استيناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال
عليه السلام قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان
شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق
والايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل
انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات
على الحق او مغفرة للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال
من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم
او جزاء لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم
من الطلبتين ما يتعلق بالاخرة فانها المقصد والمال ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية
تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد
الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين
كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركو العرب لن تغني عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من عذابه

وأولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى أهل وقودها كدأب آل فرعون متصل
بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استئناف
مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب وهو مصدر دأب في العمل
اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشأن والذين من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل استئناف
كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استئناف بتفسير حالهم او خبر
ان ابتدأت بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف
للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون
يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه السلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان
ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا
لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير
وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائي بالياء
فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد تمام ما
يقال لهم او استئناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان
لكم آية الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر
فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المؤمنين
مثلي عدد المشركين وكان قريبا من الفين او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر
وذلك كان بعد ما قللهم في اعينهم حتى اجترءوا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم
كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلي
المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله به في

تمام

في قوله وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ
بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل
من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا رأي العين رؤية ظاهرة
معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك اي التقليل و
التكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة آية
ايضا يحتملهما ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول لعبرة لاولي الابصار لعظة
لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اي المشتهيات
سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله احببت
حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء
او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله تعالى او لانه
من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية في معرض الذم وفرق
الجبائي بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للمشتهيات والقنطار المال الكثير
وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في انه فعلال او فنعال و
المقنطرة مأخوذة منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة
وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر
والغنم ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اي المرجع
وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية
قل أؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا

عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها استئناف لبيان ما هو خير من ذلكم ويجوز
ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وأزواج
مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قرأه عاصم في رواية أبي بكر في
جميع القرآن بضم الراء ما خلا الحرف الثاني في المائدة وهو قوله رضوانه سبل السلام
وهما لغتان والله بصير بالعباد أي بأعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء أو بأحوال
الذين اتقوا فلذلك أعد لهم جنات وقد نبه بهذه الآية على نعم الله فأدناها
متاع الدنيا وأعلاها رضوان الله لقوله ورضوان من الله أكبر وأوسطها الجنة
ونعيمها الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار
صفة للمتقين أو للعباد أو مدح منصوبا أو مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الإيمان
دليل على أنه كاف في استحقاق المغفرة أو الاستعداد لها الصابرين والصادقين
والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار حصر لمقامات السالك على أحسن
ترتيب فإن معاملته مع الله إما توسل وإما طلب والتوسل إما بالنفس وهو منعها
عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما وإما بالبدن وهو إما قولي وهو
الصدق وإما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة وإما بالمال وهو الإنفاق
في سبيل الخير وأما الطلب فبالاستغفار لأن المغفرة أعظم المطالب بل الجامع لها
وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحد منها وكمالهم فيها أو لتغاير الموصوفين
بها وتخصيص الأسحار لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة لأن العبادة حينئذ أشق
والنفس أصفى والروع أجمع للمتهجدين قيل إنهم كانوا يصلون إلى السحر ثم يستغفرون
بالأسحار فيدعون شهد الله أنه لا إله إلا هو بيّن وحدانيته بنصب الدلائل الدالة

عليها

١٣٦

عليها وإنزال الآيات الناطقة بها والملائكة بالإقرار وأولو العلم بالإيمان بها
والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط
مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وإنما جاز إفراده بها ولم
يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة أو من
هو والعامل فيها معنى الجملة أي تفرد قائما أو أحقه لأنها حال مؤكدة أو على المدح أو الصفة
للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به إذا جعلته صفة أو حالا عن
الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو أو الخبر لمحذوف لا إله إلا هو
كرره للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد إقامة الحجة و
ليبني عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم أنه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته
على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير أو الصفة لفاعل شهد وقد روي
في فضلها أنه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله إن لعبدي هذا عندي
عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة وهي دليل على فضل علم أصول الدين
وشرف أهله إن الدين عند الله الإسلام جملة مستأنفة مؤكدة للأولى أي لا دين مرضي
عند الله سوى الإسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ الكسائي
بالفتح على أنه بدل الكل إن فسر الإسلام بالإيمان أو بما يتضمنه وبدل الاشتمال إن فسر بالشريعة
وقرئ إنه بالكسر وأن بالفتح على وقوع الفعل على الثاني واعتراض ما بينهما أو إجراء شهد
مجرى قال تارة وعلم أخرى لتضمنه معناهما وما اختلف الذين أوتوا الكتاب من اليهود و
النصارى أو من أرباب الكتب المتقدمة في دين الإسلام فقال قوم إنه حق وقال قوم إنه مخصوص بالعرب
ونفاه آخرون مطلقا أو في التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله

وقيل هم قوم انه مخصوص بالعرب موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في
أمر عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم أي بعد ما علموا حقيقة الأمر أو تمكنوا من العلم
بها بالآيات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الأمر
ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم فإن حاجوك في
الدين وجادلوك فيه بعد ما أقمت الحجج فقل أسلمت وجهي لله أخلصت نفسي
وجملتي له لا أشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت إليه الآيات
والرسل وإنما عبر بالوجه عن النفس لأنه أشرف الأعضاء الظاهرة ومظهر القوى و
الحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل أو مفعول معه وقل
للذين أوتوا الكتاب والأميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب أأسلمتم كما أسلمت
لما وضحت لكم الحجة أم أنتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل أنتم منتهون وفيه تعيير
لهم بالبلادة أو المعاندة فإن أسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا أنفسهم بأن أخرجوها
من الضلال وإن تولوا فإنما عليك البلاغ أي فلم يضروك إذ ما عليك إلا أن تبلغ و
قد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد إن الذين يكفرون بآيات الله
ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم
بعذاب أليم هم أهل الكتاب الذين في عصره قتل أولوهم الأنبياء وأتباعهم وهم رضوا به
وقصدوا قتل النبي والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرأ
حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه إدخال الفاء في خبر إن كليت ولعل ولذلك قيل
الخبر أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق
أنه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب ألم تر إلى الذين

أوتوا

أوتوا نصيبا من الكتاب أي التوراة أو جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض أو للبيان
وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي محمد
عليه السلام وكتاب الله القرآن أو التوراة لما روي أنه عليه السلام دخل مدراسهم فقال له
نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت فقال على دين إبراهيم فقالا إن إبراهيم
كان يهوديا فقال هلموا إلى التوراة فإنها بيننا وبينكم فأبيا فنزلت وقيل نزلت
في الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه
دليل على أن الأدلة السمعية حجة في الأصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد
لتوليهم مع علمهم بأن الرجوع إليه واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الإعراض
والجملة حال من فريق وإنما ساغ لتخصصه بالصفة ذلك إشارة إلى التولي
والإعراض بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات بسبب تسهيلهم أمر
العقاب على أنفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم
ما كانوا يفترون من أن النار لن تمسهم إلا أياما قلائل أو أن آباءهم الأنبياء
يشفعون لهم أو أنه تعالى وعد يعقوب عليه السلام أن لا يعذب أولاده إلا تحلة القسم
فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم
لن تمسنا النار إلا أياما روي أن أول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفار
راية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الأشهاد ثم يأمر بهم إلى النار ووفيت
كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على أن العبادة لا تحبط وأن المؤمن
لا يخلد في النار لأن توفية إيمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها فإذن
هي بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لأنه في معنى كل إنسان

قل اللهم الميم عوض عن يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخول[ها]
عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امّنا بخير فخفف
بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف
فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي
الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منها ما تشاء من تشاء وتسترد فالملك
الاول عام والاخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم
الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا او في الاخرة او فيهما بالنصر والادبار
والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي
بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب
في الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روي انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة
اربعين ذراعا واخذوا فيه يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا
سلمان الى رسول الله يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق
اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال
اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي

منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي منها قصور صنعاء واخبرني جبريل

ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم
انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق
فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار
وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء
بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحياة

وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك
ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما
في الاخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات
من موادها واماتتها او انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن
من الكافر والكافر من المؤمن وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما
حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية
من دون المؤمنين اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة
الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء اي من ولايته في شيء
يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعاديين لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني
صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من
جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا وتخافوا
وقرا يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت
المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش
جانبا ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه
وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي عنه في القبح وذكر النفس ليعلم
ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في
صدوركم او تبدوه يعلمه الله اي انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها
او تبدوها ويعلم ما في السموات وما في الارض فيعلم سركم وعلانيتكم والله على كل شيء تدبير

قل اللهم الميم عوض عن يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخول يا
عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف
بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف
فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده يمنع الوصفية تؤتي
الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منها ما تشاء من تشاء وتسترد فالملك
الاول عام والاخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم
الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا او في الاخرة او فيهما بالنصر والادبار
والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي
بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب
في الخطاب ولان الكلام وقع فيه اذ روي انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة
اربعين ذراعا واخذوا فيه يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا
سلمان الى رسول الله يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق
اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال
اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي
... ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي منها قصور صنعاء واخبرني جبريل

ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم
انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق
فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار
وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء
بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحياة و

منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي منها قصور صنعاء واخبرني جبريل

وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك
ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما
في الاخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات
من موادها واماتتها او انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن
من الكافر والكافر من المؤمن وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما
حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية
من دون المؤمنين اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة
الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء اي من ولايته في شيء
يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعاديين لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني
صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من
جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا وتخافوا
وقرا يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت
المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش
جانبا ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه
وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم يشعر بتناهي المنهي عنه في القبح وذكر النفس ليعلم
ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في
صدوركم او تبدوه يعلمه الله اي انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها
او تبدوها ويعلم ما في السموات وما في الارض فيعلم سركم وعلانيتكم والله على كل شيء قدير

فيقدر على عقوبتكم او المراد تحذيرهم عما نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذركم الله
نفسه وكأنه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي يحيط بالمعلومات كلها
وقدرة ذاتية تعم المقدورات بأسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو
مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت
من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود اي تتمنى كل نفس
يوم تجد صحائف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك
اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت ثانية او خبر لما
عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود
وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن
واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره للتوكيد والتذكير والله رؤف
بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه
لذو مغفرة وذو عقاب فيرجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم
ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى
الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه
فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته و
الحرص على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي يرض عنكم ويكشف
الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه
عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه

بطاعته واتباع نبيه روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل
نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده
عليه السلام انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا
الله والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين
لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي
كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم
ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية
ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب
ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسمعيل
واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران موسى وهارون
ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان
بن اليعازر بن ابي يود بن زربابل بن سالتان بن يوحنا بن اوشيا بن اموص
بن منشكن بن حازقا بن احاز بن يوثام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا
بن رحبعم بن سليمان بن داود بن ايشى بن عوبد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عمياد
بن رام بن حصروم بن فارص بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانمائة
سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية
واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع
على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء
وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول و

العمل او سميع بقول امراة عمران عليم بنيتها اذ قالت امراة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى
ينتصب به اذ وقيل بنصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى وكانت
لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون فظن ان المراد زوجته ويرده
كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى
ابنى خالة من الاب روى انها كانت عاقرا عجوزا فبينا هى فى ظل شجرة اذ رأت طائرا
يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا ان رزقتنى ولدا
ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا
النذر مشروعا فى عهدهم فى الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا
محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشىء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل
منى انك انت السميع العليم لقولى ونيتى فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها
انثى الضمير لما فى بطنها وتأنيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تأنيثها
علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تأويل مؤنث كالنفس والحبلة
وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره
والله اعلم بما وضعت اى بالشىء الذى وضعت وهو استئناف من الله تعظيما لموضوعها
وتجهيلا لها بشأنها وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على انه من
كلامها تسلية لنفسها اى ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ وضعت على
خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله والله اعلم اى وليس الذكر والانثى
سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس وانى سميتها مريم عطف على ما قبلها من
مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها

الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر

ويصلحها

١٤٠

ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم فى لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل
على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة وانى اعيذها بك وذريتها اجيرها بحفظك
من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمى بالحجارة وعن النبى صلى الله عليه وسلم
ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها
ومعناه ان الشيطان يطمع فى اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان
الله عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها فرضى بها فى النذر مكان الذكر
بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها
عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روى ان حنة لما ولدتها لفتها فى خرقة
وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا
فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى ماثان كانت رؤس بنى اسرائيل
وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندى خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين
فانطلقوا الى النهر فالقوا فيه اقلامهم فطفى قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز
ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اى بذى قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل
كتقضى وتعجل اى فاخذها فى اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا
مجاز عن تربيتها بما يصلحها فى جميع احوالها وكفلها زكريا شدد الفاء حمزة والكسائى
وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم فى رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله
وزكريا مفعول اى جعله كافلا لها وضامنا بمصالحها وخفف الباقون ومدوا
زكرياء مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اى الغرفة التى بنيت لها او المسجد
او اشرف مواضعه ومقدمها سمى به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت فى اشرف

موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها
غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس
قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الآتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك
وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه
قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها
ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق
تفضلا وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله تعالى روي ان فاطمة رضي الله عنها
اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمي
يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله
ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل
ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها
هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان
لما رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها
لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر
من الشيخ فسأل وقال هب لي من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة
انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي
كان جبريل وحده وقرأ حمزة والكسائي فناداه بالامالة والتذكير وهو قائم يصلي
في المحراب اي قائم في الصلوة ويصلي صفة قائم او خبر او حال آخر او حال عن الضمير
في قائم ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول

ثمرة رجع رسول الله عليه السلام مصاحبا لتلك الهدية الى فاطمة شيخ زاده

او لان الندا نوع منه وقرأ حمزة والكسائي يبشرك بيحيى اسم اعجمي وان جعل
عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى
بذلك لانه وجد بامره دون اب فشابه البديعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله
سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا
للناس كلهم في انه ما هم بمعصية وحصورا مبالغا في حبس النفس عن الشهوات
والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا
من الصالحين ناشئا منهم او كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة قال رب انى
يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة او استعظاما وتعجبا او استفهاما عن
كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع
وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع
لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء اي يفعل ما يشاء من
العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه و
زوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء وهو خلق الولد او كذلك الله مبتدأ وخبر اي
الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر
كذلك الله يفعل ما يشاء بيان قال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله
بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام
ان لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة
لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكأنه قال آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر
واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا اشارة بنحو يد او رأس واصله التحرك ومنه

حال مقدرة من يحيى شيخ زاده

الآن من العجز والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ
رُمُزا كخدم جمع رامز ورُمْزا كرسل جمع رموز على أنه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله
متى ما تلتقي فردين ترجف روانف أليتيك وتستطارا واذكر ربك كثيرا أيام الحبسة وهو
مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الأمر بالكثرة يدل على أنه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي
من الزوال إلى الغروب وقيل من العصر أو الغروب إلى ذهاب صدر الليل والإبكار
من طلوع الفجر إلى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر وأسحار وإذ قالت الملائكة يا
مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن أنكر
الكرامة زعم أن ذلك كانت معجزة زكريا أو إرهاصا لنبوة عيسى فإن الإجماع على أنه
لم يستنبئ امرأة لقوله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا وقيل ألهموها والاصطفاء الأول
تقبلها من أمها ولم يقبل قبلها أنثى وتفريغها للعبادة وإغناؤها برزق الجنة عن
الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وإرسال الملائكة إليها و
تخصيصها بالكرامة السنية كالولد من غير أب وتبرئتها مما قذفته اليهود بإنطاق
الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع
الراكعين أمرت بالصلاة في الجماعة بذكر أركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم
السجود على الركوع إما لكونه كذلك في شريعتهم أو للتنبيه على أن الواو لا توجب الترتيب
أو ليقترن اركعي بالراكعين للإيذان بأن من ليس في صلاتهم ركوع ليسوا مصلين
وقيل المراد بالقنوت إدامة الطاعة كقوله أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما
وبالسجود الصلاة كقوله وأدبار السجود وبالركوع الخشوع والإخبات ذلك من
أنباء الغيب نوحيه إليك أي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها إلا بالوحي

وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا بالأقلام التي
كانوا يكتبون بها التوراة تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم
بمنكريه فإن طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة
فيه عندهم فبقي أن يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل أيهم يكفل
مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم أي يلقونها ليعلموا أو يقولوا
أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون تنافسا في كفالتها إذ قالت الملائكة بدل من
إذ قالت الأولى وما بينهما اعتراض أو من إذ يختصمون على أن وقوع الاختصام
والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم إن الله يبشرك بكلمة
منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقبه وهو من الألقاب المشرفة وأصله بالعبرية مشيحا
ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لأنه مسح بالبركة أو بما
طهره من الذنوب أو مسح الأرض ولم يقم في موضع أو مسحه جبريل ومن العيس وهو
بياض تعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كان صفة تميز تميز الأسماء نظمت
في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر إفراد المبتدأ فإنه اسم جنس مضاف ويحتمل أن يراد
أن الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة فإن الاسم علامة المسمى والمميز له
من سواه ويجوز أن يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وإنما قيل
ابن مريم والخطاب لها تنبيها على أنه يولد من غير أب إذ الأولاد تنسب إلى الآباء
ولا تنسب إلى الأم إلا إذا فقد الأب وجيها في الدنيا والآخرة حال مقدرة من كلمة وهي
وإن كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة
وفي الآخرة الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل إشارة إلى علو درجته

في الجنة او رفعه الى السماء وصحبة للملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال
كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي في
مضجعه قيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشادا
الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قالت
رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب او استبعاد عادي او استفهام عن انه يكون
بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبريل او الله وجبريل حكى لها
قول الله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء
مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة
والتوراة والانجيل كلام مبتدا ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم
لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف على يبشرك او وجيها ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية
من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم
او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق فكانه قال وناطقا باني
قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم
اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من اية او رفع على
هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير وقرا نافع اني بالكسر
فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك المماثل فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا بامر الله
نبه به على ان احياءه من الله لا منه وقرا نافع هنا وفي المائدة طائرا بالالف والهمز
وابرئ الاكمه والابرص الاكمه الذي ولد اعمى او الممسوح العين روي انه ربما كان
يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما يداوي

الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لتوهم الالوهية فان الاحياء
ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات
من احوالكم التي لا تشكون فيها ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان
فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي
من التوراة عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي و
جئتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضماره او مردود على قوله اني قد جئتكم باية او معطوف
على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة
موسى كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه
كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتوراة كما لا يعود نسخ القران بعضه
ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وجئتكم
باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
اي جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهي قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها
فيما بين الرسل الفارقة بين النبي والساحر او جئتكم باية من ربكم او جئتكم باية بعد اخرى
مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله
فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات الباهرة والايات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة
واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله
ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان
بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود
له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل امنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم

الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصاري الى الله ملتجئا
الى الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة
اي من الذين يضيفون انفسهم الى الله في نصرتي وقيل الى ههنا بمعنى مع او في او اللام
قال الحواريون حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات
للحضريات لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسى لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا
ملوكا يلبسون البيض استنصرهم عيسى من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب
اي يبيضونها نحن انصار الله اي انصار دينه آمنا بالله واشهد بانا مسلمون
لتشهد لنا يوم القيامة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا آمنا بما انزلت و
اتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الشاهدين بوحدانيتك او مع
الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس
ومكروا اي الذين احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر
الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في
الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج
والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب
اذ قال الله يا عيسى ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى
اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او
قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما او مميتك
عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم
رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى ورافعك الى محل كرامتي ومقر ملائكتي

ومطهرك

ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وقصدهم وجاعل الذين اتبعوك
فوق الذين كفروا الى يوم القيامة يغلبونهم بالحجة او السيف في غالب الامر ومتبعوه
من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم
ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطب
على الغائبين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا
فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له وقرأ حفص فيوفيهم
والله لا يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ
خبره نتلوه عليك من الآيات وقوله من الآيات حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه
حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه
والذكر الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه يريد به القرآن وقيل
اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ان شأنه الغريب كشأن آدم خلقه من تراب
جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم من التراب بلا اب
وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من
التراب ثم قال له كن فيكون اي انشأه بشرا لقوله ثم انشأناه خلقا آخر او قدر
تكوينه من التراب كن ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال
ماضية الحق من ربك خبر محذوف اي هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره
اي الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين خطاب للنبي عليه السلام على طريقة التهييج
لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك

يريد ان الفوقية رتبية لا مكانية شهاب

فهو التفات من الغيبة الى الخطاب شهاب

اي قوله ذلك شهاب

وتفسير الذكر الحكيم باللوح لاشتماله عليه شهاب

التهييج والتحريك

من العلم اى من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأى والعزم ندع ابناءنا
وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اى يدع كل منا ومنكم نفسه
واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس
لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اى نتباهل بان نلعن
الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم ابهلت الناقة
اذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روى
انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا
رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل فى امر صاحبكم
والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا
فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن
وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فأمنوا فقال
اسقفهم يا معشر النصارى انى لأرى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا
من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله صلعم وبذلوا له الجزية
الفى حلة حمراء وثلثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذى نفسى بيده
لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل
الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتاهم
من اهل بيته ان هذا اى ما قص من نبأ عيسى ومريم لهو القصص الحق
بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكر فى شان عيسى ومريم حق دون
ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلت فيه لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر

واصلها

واصلها ان تدخل المبتدأ وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق
تأكيدا للرد على النصارى فى تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه
يساويه فى القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه فى الالوهية فان تولوا فان
الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولى عن
الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدى الى فساد
النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد به
وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها
الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها الا نعبد الا الله ان نوحده بالعبادة ونخلص
فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له فى استحقاق العبادة ولا نراه اهلا
لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن الله و
لا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم
بعضنا بشر مثلنا روى انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون
فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا
بانا مسلمون اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون
بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى فى هذه القصة من
المبالغة فى الارشاد وحسن التدرج فى الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاقب
عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما
رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها

وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم
بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد
ذلك ايضا عليهم وعلم ان الآيات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا
بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية
والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابرهيم وزعم كل
فريق انه منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى ان اليهودية
والنصرانية حدثت بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى وكان ابرهيم
قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون
المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به
علم ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدأ
وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان
حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التورية والانجيل عنادا او
تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر له في كتابكم من دين
ابرهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله أانتم
على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرأ نافع وابو عمرو ها انتم
حيث وقع بالمد من غير همز وورش اقل مدا وقنبل بالهمز من غير الف بعد الهاء
والباقون بالمد والهمز والبزي يقصر المد على اصله والله يعلم ما حاججتم
فيه وانتم جاهلون به ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرره
من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما منقادا لله

وانتم لا تعلمون

وليس

وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين
تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على
ملة ابرهيم ان اولى الناس بابرهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو
القرب للذين اتبعوه من امته وهذا النبي والذين آمنوا لموافقتهم له في اكثر ما
شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا
على ابرهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة
من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا
الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال و
لا يعود وباله الا عليهم او يضاعف به عذابهم او ما يضلون الا امثالهم
وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون
بآيات الله بما نطقت التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وانتم تشهدون انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين
او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف و
ابراز الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبّسون بالتشديد
وتلبَسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبي
زور وتكتمون الحق نبوة محمد عم ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه
وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار
اي اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون واكفروا
به آخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة

كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل
عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة
آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر
من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا
في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه
يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم
او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم
قل ان الهدى هدى الله يهدي به من يشاء الى الايمان او يثبته عليه ان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى
ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى
المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل
على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقرأ ابن
كثير أان يؤتى على الاستفهام للتقريع وهو مؤيد للوجه الاول اي ألان يؤتى احد دبرتم
وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى
على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا
حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع لان المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

بحق وابطال لما ادعوا بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده
اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه
ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء
استودعه قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب
فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة وقرأ حمزة وابو بكر
وابو عمرو يؤده اليك ولا يؤده اليك باسكان الهاء وقالون باختلاس كسرة الهاء وكذا
روي عن حفص والباقون باشباع الكسرة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك
على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى
ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين
سبيل اي ليس علينا في شأن من ليسوا من اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا
عتاب وذم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون
وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة وقيل
عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم
دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها
كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى
البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده
واتقى فان الله يحب المتقين استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير
المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى
ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي

ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول
والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه
ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم
او بشيء اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله
وآياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة
فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات
نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم
ولهم عذاب اليم على ما فعلوه قيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا
نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل
نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل
في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودي
وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي يلوون السنتهم بالكتاب
يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ
يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن
قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله
يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو
من عند الله تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون
ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل
العبد فعل الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب

على الله

على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس
كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي
والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير
الله وان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول
الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن
اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والـ
رباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم
والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له
فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس
بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير
بما تدرسون على الناس ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر
وعاصم وحمزة ويعقوب عطفا على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان
اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر باتخاذ الملائكة والنبيين
اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى
عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال وقرأ ابو عمرو
على اصله في الاختلاس والكون ايامركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد
اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له واذ اخذ
الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم

لتؤمنن به ولتنصرنه قيل إنه على ظاهره وإذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأمم به أولى
وقيل معناه أنه تعالى أخذ الميثاق من النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر
الأمم وقيل إضافة الميثاق إلى النبيين إضافة إلى الفاعل والمعنى وإذ أخذ الله
الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم وقيل المراد أولاد النبيين على حذف المضاف
وهم بنو إسرائيل أو سماهم نبيين تهكما لأنهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لأنا
أهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لأن أخذ الميثاق بمعنى
الاستحلاف وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل
الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على أن ما مصدرية أي لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب ثم مجيء
رسول مصدق أخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه أو موصولة والمعنى أخذه للذي
آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم أو لمن أجل ما آتيتكم
على أن أصله لمن ما بالإدغام فحذف إحدى الميمات الثلاث استثقالا وقرأ نافع آتيناكم بالنون
والتفخيم قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري أي عهدي سمي به لأنه يؤصر أي يشد
وقرئ بالضم وهو إما لغة فيه كعبر وعبر أو جمع إصار وهو ما يشد به قالوا أقررنا
قال فاشهدوا أي فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة
وأنا معكم من الشاهدين وأنا أيضا على إقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد
وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالإقرار والشهادة فأولئك
هم الفاسقون المتمردون من الكفرة أفغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة
والهمزة متوسطة بينهما للإنكار أو محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون
وتقديم المفعول لأنه المقصود بالإنكار والفعل بلفظ الغيبة عند أبي عمرو وعاصم

في رواية

في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم وله أسلم من في
السموات والأرض طوعا وكرها أي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف و
معاينة ما يلجئ إلى الإسلام كنتق الجبل وإدراك الغرق والإشراف على الموت أو مختارين
كالملائكة والمؤمنين أو مسخرين كالكفرة فإنهم لا يقدرون أن يمتنعوا عما قضي عليهم وإليه
يرجعون وقرئ بالياء على أن الضمير لمن قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على
إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون
من ربهم أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يخبر عن نفسه ومتابعيه بالإيمان والقرآن
كما هو منزل عليه بتوسط تبليغه إليهم وأيضا المنسوب إلى واحد من الجمع قد ينسب
إليهم أو بأن يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك إجلالا له والنزول كما يعدى بإلى لأنه ينتهي
إلى الرسل يعدى بعلى لأنه من فوق وإنما قدم المنزل عليه على سائرهم لأنه المعرف له والعيار
عليه لا نفرق بين أحد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون
منقادون أو مخلصون في العبادة ومن يبتغ غير الإسلام دينا أي غير
التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين الواقعين
في الخسران والمعنى أن المعرض عن الإسلام والطالب لغيره فاقد للنفع
واقع في الخسران بإبطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به
على أن الإيمان هو الإسلام إذ لو كان غيره لم يقبل والجواب أنه ينفي قبول
كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين أيضا للأعمال كيف يهدي الله
قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد
لأن يهديهم الله فإن الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد

من الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على
ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن من الصالحين او حال باضمار قد
من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان
والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع
الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز
لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيوسون
عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا
يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او
العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم
ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا او
يجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم
يتفضل عليه قيل انها نزلت في الحرث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه
ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب
ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى عليه السلام والانجيل
بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن او كفروا بمحمد بعدما آمنوا به قبل
مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق
او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد صلى الله عليه وسلم ريب
المنون او نرجع اليه وننافقه بالاظهار لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون

فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شانهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين
من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل
الفاء فيه واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا
وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع
قبول الفدية ادخل الفاء هنا للاشعار به وملء الشيء ما يملؤه وذهبا نصب على
التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول
على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او
معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا
ولو افتدى به من العذاب في الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين
ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في
حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة في التحذير واقناط لان
من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب
ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال
الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا مما
تحبون اي من المال او مما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في
طاعة الله والمهجة في سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله
ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال
رابح او رايح واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس
كان يحبها فقال هذا في سبيل الله فحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة

فقال زيد إنما أردت أن أتصدق به فقال عليه السلام إن الله تعالى قد قبلها منك
وذلك يدل على أن إنفاق أحب الأموال على أقرب الأقارب أفضل وأن الآية تعم الإنفاق
الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على أن من للتبعيض ويحتمل التبيين و
ما تنفقوا من شيء من أي شيء محبوب أو غيره ومن لبيان ما فإن الله به عليم فيجازيكم
بحسبه كل الطعام أي المطعومات والمراد أكلها كان حلا لبني إسرائيل حلالا لهم
وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الله
تعالى لا هن حل لهم إلا ما حرم إسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الإبل وألبانها
قيل كان به عرق النسا فنذر إن شفي لم يأكل أحب الطعام إليه وكان ذلك أحبه
إليه وقيل فعل ذلك للتداوي بإشارة الأطباء واحتج به من جوز للنبي أن
يجتهد وللمانع أن يقول ذلك بإذن من الله فهو كتحريمه ابتداء من قبل أن تنزل
التوراة أي من قبل إنزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم في قوله فبظلم من الذين
هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتان
بادئ قالوا لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعده حتى
انتهى الأمر إلينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى
الرسول موافقة إبراهيم بتحليله لحوم الإبل وألبانها قل فأتوا بالتوراة فاتلوها
إن كنتم صادقين أمر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من أنه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم
ما لم يكن محرما روي أنه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التوراة وفيه
دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب ابتدعه على الله بزعمه أنه حرم ذلك قبل
نزول التوراة على بني إسرائيل ومن تقدمهم من بعد ذلك من بعد ما لزمهم الحجة فأولئك

هم الظالمون الذين لا ينصفون من أنفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح لهم قل صدق
الله تعريض بكذبهم أي ثبت أن الله صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون فاتبعوا
ملة إبراهيم حنيفا أي ملة الإسلام التي هي في الأصل ملة إبراهيم أو مثل ملته حتى
تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم إلى التحريف والمكابرة لتسوية الأغراض الدنيوية
وألزمتكم تحريم طيبات أحلها الله لإبراهيم ومن تبعه وما كان من المشركين فيه إشارة
إلى أن اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الإفراط
والتفريط وتعريض بشرك اليهود إن أول بيت وضع للناس أي وضع للعبادة
وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه أنه قرئ على البناء للفاعل
للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط وأمر راتب وراتم
ولازب ولازم وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه إذا زحمه أو
من بكه إذا دقه فإنها تبك أعناق الجبابرة روي أنه عليه السلام سئل عن أول
بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال أربعون
سنة وقيل أول من بناه إبراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم
قريش وقيل هو أول بيت بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم بناه إبراهيم
وقيل كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة
فلما أهبط آدم أمر بأن يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان إلى السماء الرابعة
تطوف به ملائكة السماوات وهو لا يلائم ظاهر الآية وقيل المراد أنه أول
بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه
وطاف حوله حال من المستكن في الظرف وهدى للعالمين لأنه قبلتهم ومتعبدهم

ولانه فيه آيات عجيبة كما قال فيه ايات بينات كانحراف الطيور عن موازاة
البيت على مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض
لها وان كل جبار قصده بسوء قهر كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى
مقام ابرهيم مبتدأ محذوف خبره اي منها مقام ابرهيم او بدل من آيات بدل
البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالآيات اثر القدم في الصخرة الصماء
وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون
سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة ويؤيده انه قرئ آية
بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر
ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان آمنا جملة ابتدائية او
شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله اي ومنها امن
من دخله او فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات
الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء
وقرة عيني في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الاثر مدى الدهر والامن
من العذاب يوم القيمة قال عليه السلام من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعند ابي ح
من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما والتجأ الى الحرم لم يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج ولله
على الناس حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم في
رواية حفص بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس مخصص له
وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول
الشافعي رضي الله عنه انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه
وقال مالك رح

انها

انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو ح انها بمجموع
الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيله ومن كفر
فان الله غني عن العالمين وضع كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتغليظا
على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او
نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الاية من وجوه الدلالة على وجوبه
بصيغة الخبر وابرازه في الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله
في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد
وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع
مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من التكليف الشاق جامع بين كسر
النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روي
انه لما نزل صدر الاية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال
ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن
كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله اي باياته السمعية والعقلية الدالة
على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب
بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل
فهم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال ان الله شهيد مطلع على
اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا اهل الكتاب لم
تصدون عن سبيل الله من آمن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع
ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب

العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين و
يحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب
ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو اي باغين طالبين
لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير
صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل
امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول
عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون
وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد
ولما كان في هذه الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه
قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا
الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا
يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود
ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك
اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح
واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
وقال أتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم
امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا
السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع الرسول عليه السلام
وانما خاطبهم الله بنفسه بعدما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم

واشعارا

١٥٣

واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم
آيات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية
الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه
في مجامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب و
الاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه
هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه
الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تأكيد
للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما
في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على
حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد
يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك
النفي واعتصموا بحبل الله بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله
المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب النجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل
سبب السلامة عن التردي والوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا
مجتمعين عليه ولا تفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او ولا تتفرقوا
تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا
نعمت الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى التآلف وزوال
الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم

بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج
اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة
حتى اطفاها الله بالاسلام والف بينهم برسوله عليه السلام وكنتم على شفا حفرة من النار
مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار
فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وتانيثه لتانيث ما اضيف
اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله
شفو فقلبت الواو الفا في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله
لكم آياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم
امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي
له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها
والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى
لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او
للتبيين بمعنى وكونوا امة يامرون كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف
والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون
المخصوصون بكمال الفلاح روي انه عليه السلام سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف
وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا
على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان

١٥٤

العاصي يجب عليه ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما
وجوب الآخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا
في التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات الآيات
والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق في
الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة ولقوله عليه السلام من اجتهد
واصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا
واختلفوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم
من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور
وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة
وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت
وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ
والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله بعد ايمانهم
به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعدما اقروا به حين اشهدهم على انفسهم او
تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والآيات فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم
تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة
الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق
عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم
ذكرهم لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها
خالدون اخرجه مخرج الاستئناف للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم

فيها خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة
بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلماً للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق
عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال
ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعده
كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله وكان الله
غفوراً رحيماً وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت
للناس اظهرت لهم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استئناف بين به كونهم
خير امة او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن
به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امروا بالمعروف ونهوا
عن المنكر ايماناً بالله وتصديقاً به واظهاراً لدينه واستدل بهذه الآية على ان الاجماع
حجة لانها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما
للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو آمن اهل الكتاب ايماناً
كما ينبغي لكان خيراً لهم لكان الايمان خيراً لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام
واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان
على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضرراً يسيراً كطعن وتهديد وان يقاتلوكم
يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد
ينصرهم عليكم او يدفع باسكم عنهم نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم
لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان
وقرئ لا ينصروا عطفاً على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيداً

بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني
قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك
بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس
استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين
او ملتبسين بذمة الله او كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين او بدين الاسلام واتباع
سبيل المؤمنين وباؤا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة
فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود في غالب الامر فقراء مساكين
ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون
بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء
ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود
الله فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر
وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم
وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضاً
ليسوا سواء في المساوي والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة قائمة استئناف لبيان
نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا
منهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة
في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلاة العشاء
لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه عليه السلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون
الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون

بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات
صفات أخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير
متعبدين في الليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته
مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات وأولئك من الصالحين اي الموصوفون
بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وما يفعلوا من خير
فلن يكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا
وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ حفص وحمزة والكسائي وما يفعلوا من
خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بأن
التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين
كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغناء
فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون ما ينفق
الكفرة قربة او مفاخرة او سمعة او المنافقون رياء وخوفا في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح
فيها صر برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به
او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر
والمعاصي فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في
ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة
وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز
ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اي ما ظلم المنفقين بضياع
نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن اي ولكن

ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشأن لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله ولكن
من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يعرفه
الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار
والناس دثار من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو
صفة بطانة اي بطانة كائنة من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون لكم في الفساد
والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدي الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على
تضمين معنى المنع او النقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية
قد بدت البغضاء من افواههم اي في كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما تخفي
صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم والجمل الاربع
جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز ان تكون الثلاث الاول صفات لبطانة ها انتم
اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم و
لا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت
زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره
ما بعده وتكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتاب كله وهو حال من لا يحبونكم
والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون
بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا
نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تأسفا وتحسرا حيث
لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف
قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم

اوله وما كنت ممن يدخل العشق قلبه

من البغضاء والحنق ويحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما
يخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي
اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة
يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم
من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على مشاق التكاليف
وتتقوا موالاتهم او ما حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظ الموعود
للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال
جريا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم
من ضاره يضيره ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط اي محيط علمه فيجازيكم
بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم عالم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اي
واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة عائشة تبوئ المؤمنين تنزلهم
او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن لهم وقد
يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله في مقعد صدق وقوله قبل
ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روي ان المشركين نزلوا باحد
يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة
ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف
وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء
والصبيان بالحجارة واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه

رأيت

السلام رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة
ورأيت كأني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة
وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا
وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله
ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة واصبح
بشعب احد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى
صفوفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا اذ
همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو
حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا روي انه عليه السلام
خرج في زهاء الف رجل ووعدهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابي
في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم
الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم
الله فمضوا مع رسول الله والله وليهما [illegible] وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي فليتوكلوا
عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم
التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير
وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح
فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون ما انعم عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم
فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سبب له اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل
بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة

فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول لم ينزل الملائكة ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة
آلاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين
من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف من
الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد
للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى
حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا
من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق
للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان يأتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف
من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ ولا تأخير مسومين معلمين من التسويم الذي هو
اظهار سيماء الشيء لقوله عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين
من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله
وما جعل امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن
اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة
في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر
العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا بمن تأخر عنهم العزيز الذي لا يغالب في اقضيته
الحكيم الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين
كفروا متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض
واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم
او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب واو للتنويع دون الترديد فينقلبوا

منقطعي الآمال

فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الآمال ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم
عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان
اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد مأمور لانذارهم
وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شيء باضمار ان اي ليس لك من الامر او
من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم
وان يكون او بمعنى الا ان اي ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم
فتسر به او يعذبهم فتتشفى منهم روي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته
فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل
هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب
بظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا فله الامر كله لا لك يغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله
غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا
مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربي
الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير
وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح
واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه
على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى
في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم

الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها السموات والارض اى عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء في حالتي الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اى لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبي عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته وعن النبي عليه السلام ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فتكون الاشارة اليهم والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اى ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة

وهم يعلمون حال من يصروا اى ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفته على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله تعالى وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها الله في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا رأوا مثلكم في سالف القرن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اى انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل

منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم
في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم
يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم
بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي
قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرأ
حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف
والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم
منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا
يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر
الرسول وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء
اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة
يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر
والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة
محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة
وانما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز
الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه
ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريق البرهان وقيل
معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم
ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف

منهم من الثبات والصبر على الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما
يظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة
وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا ليطهرهم
ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم
والمحق نقص الشيء قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا وفيه دليل على ان الجهاد فرض كفاية
والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت
النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو
للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي الحرب فانها
من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا
مع الرسول مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل
ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رأيتموه وانتم تنظرون اي فقد رأيتموه
معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب
وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما
محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل افان مات
او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت
او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة
لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته
روي انه لما رمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر وكسر رباعيته

وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى
انه قتل النبي عليه السلام فقال قد قتلت محمداً وصرخ صارخ الا ان محمداً قد قتل فانكفأ
الناس وجعل الرسول عليه السلام يدعو الي عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه
حتى كشفوا عنه وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا اماناً من ابي سفيان
وقال ناس من المنافقين لو كان نبياً لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر
عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة
بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرأ اليك منه وشد بسيفه
فقاتل حتى قتل ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً بارتداده بل يضر نفسه و
سيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه وما كان لنفس ان
تموت الا باذن الله الا بمشيئته او باذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى ان
لكل نفس اجلاً مسمى في علمه وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام
عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول بالحفظ
وتأخير الاجل كتاباً مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتاباً مؤجلاً صفة له اي مؤقتاً
لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض لمن شغلتهم الغنائم
يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما رأى الرماة
ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم
ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا
نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وكأين اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت
بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن

ووجهه انه قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كيئن ثم حذفت الياء الثانية
للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفاً كما ابدلت من طائي من نبي بيان له قاتل معه ربيون
كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة
وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون
او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون
بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا لما اصابهم
في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي او بعضهم وما ضعفوا
عن العدو او في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون
لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون
من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف
بقتله عليه السلام والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم
الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم
الكافرين اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا
القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضماً لها واضافة لما اصابهم
الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو
ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبراً لان ان
قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ الى الله النصر
والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعاراً

بفضل وانه المعتد به عنده يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم
على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا
الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه
وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم
فانه يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم
وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا
الرعب يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من
غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام
ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم
ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم ... سلطانا اي آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل
عليهم به سلطان وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط
لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم
فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياهم
بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا
جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم
اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف
رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف
الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخرون لا نخالف امر
الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله

وعصيتم

وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا
محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من
يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى
حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد
عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل
عليهم بالعفو او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة
اذ تصعدون متعلق بصرفكم او بقوله ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب
والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا يقف احد لاحد
ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر
فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم
ولا ما اصابكم عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من
الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول او فجازاكم غما بسبب غم
اذقتموه رسول الله بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على
نفع فائت ولا ضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة
وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم
في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم
كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم
باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم
الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف

يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه والامنة الامن نصب على المفعول و
نعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من
المخاطبين بمعنى ذوى امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرى امنة بسكون الميم كانها
المرة من الامن يغشى طائفة منكم اى النعاس وقرا حمزة والكسائى بالتاء ردا على الامنة
والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم
في الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية
صفة اخرى لطائفة او حال او استئناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على
المصدر اى يظنون بالله غير الظن الحق الذى يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو
الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها يقولون اى لرسول الله وهو بدل من يظنون
هل لنا من الامر من شىء هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل
اخبر ابن ابى بقتل بنى الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا
فلم يبق لنا من الامر شىء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شىء قل ان الامر
كله لله اى الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرا ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء
يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اى يقولون مظهرين انهم مسترشدون
طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اى فى انفسهم او اذا خلا بعضهم الى
بعض وهو بدل من يخفون او استئناف على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شىء كما
وعد محمد عليه السلام او زعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير
لم نبرح كما كان راى ابن ابى وغيره ما قتلنا هاهنا لما غلبنا او لما قتل من قتل منا

١٦٣

فى هذه المعركة قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اى لخرج
الذين قدر الله عليهم القتل وكتب فى اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفع الاقامة بالمدينة
ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها فى سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلى الله
ما فى صدوركم وليمتحن ما فى صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو
علة فعل محذوف اى وفعل ذلك ليبتلى او عطف على محذوف اى لبرز لنفاذ القضاء
او لمصالح جمة وللابتلاء او على لكيلا تحزنوا وليمحص ما فى قلوبكم وليكشفه ويميزه
او يخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها وفيه
وعد ووعيد وتنبيه على انه غنى عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين و
اظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان
ببعض ما كسبوا يعنى ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب فى انهزامهم ان الشيطان
طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة
فمنعوا التاييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب
ذنوب تقدمت لهم فان المعاصى يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب
سلفت منهم فكرهوا القتال قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم
واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كى يتوب يا ايها
الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعنى المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم و
معنى اخوتهم اتفاقهم فى النسب او المذهب اذا ضربوا فى الارض اذا سافروا فيها وابعدوا
للتجارة وغيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى
جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان

اى الاخوان الذين قتلوا فى احد

يعنى ان ذكر اخوانهم ... لو كنتم عندنا ما متم وما قتلتم يدل على ...

يسقط من يده احيانا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والأمنة الأمن نصب على المفعول و
نعاسا بدل منها او هو المفعول وأمنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من
المخاطبين بمعنى ذوي أمنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ أمنة بسكون الميم كأنها
المرة من الامن يغشى طائفة منكم اي النعاس وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة
والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد أهمتهم أنفسهم اوقعتهم انفسهم
في الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية
... او استئناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على
... الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو
... لرسول الله وهو بدل من يظنون
... النصر والظفر نصيب قط وقيل
... تدبير انفسنا وتصريفها باختيار
... لنا من الامر شيء قل ان الامر
... الغالبون او القضاء له
... كله بالرفع على الابتداء
... مظهرين انهم مسترشدون
... او اذا خلا بعضهم الى
لو كان لنا من الامر شيء كما
... او لو كان لنا اختيار وتدبير
... غلبنا او لما قتل من قتل منا

في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج
الذين قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفع الاقامة بالمدينة
ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله
ما في صدوركم ليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو
علة فعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف اي لبرز لنفاذ القضاء
او لمصالح جمة وللابتلاء او على لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه
او يخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها وفيه
وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين و
اظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان
ببعض ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان
طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة
فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب
ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب
سلفت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم
واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها
الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم
ومعنى اخوتهم اتفاقهم في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا
للتجارة وغيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى
جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان

اى انهم لم يكونوا مخاطبين ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم متعلق بقالوا على ان
اللام لام العاقبة مثلها فى ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم فى
النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة فى قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل
عليه النهى من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهى اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء
كونكم مثلهم حسرة فى قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيى ويميت رد على قولهم
اى هو المؤثر فى الحيوة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيى المسافر والغازى
ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ
ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء على انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم فى سبيل الله
او متم اى متم فى سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائى بكسر الميم من مات يمات لمغفرة
من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر و
الغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك فى سبيل الله فما تنالون من المغفرة
والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وقرأ حفص بالياء
ولئن متم او قتلتم على اى وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذى
توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفى جزاءكم ويعظم
ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائى متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اى فبرحمة
وما مزيدة للتأكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه
على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيء
الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا
اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم فى الامر

اى فى امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم
وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شىء بعد الشورى
فتوكل على الله فى امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت
على التكلم اى فاذا عزمت لك على شىء وعينته لك فتوكل على ولا تشاور فيه احدا
ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم
بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذى ينصركم
من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضى
للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله
فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان
لنبى ان يغل وما صح لنبى ان يخون فى الغنائم فان النبوة تنافى الخيانة يقال غل شيئا
من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه فى خفية والمراد منه اما براءة الرسول عما
اتهم به اذ روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا
نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة فى النهى
للرسول على ما روى انه بعث طلائع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع
فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع
وابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان
يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة يأت بالذى غله
يحمله على عنقه كما جاء فى الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت

ولذا استعمل فى السرقة ثم خص فى اللغة بالسرقة من الغنم شهاب الدين

والحديث الذى اشار اليه ما رواه الشيخان والذى نفس محمد بيده لا يغل احدكم شيئا الا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه شهاب الدين

تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم توفى كل ما كسبت لكنه عمم
الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله
فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في
عقاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصي
ومأواه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة
الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت
في الثواب والعقاب او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم
ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم
على من آمن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم
بها وقرئ لمن من الله على انه خبر محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا
من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين
على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم لانه عليه السلام
كان من اشرف قبائل العرب بطونا يتلو عليهم آياته اي القرآن بعد ما كانوا جهالا
لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد والاعمال
ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان
هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة والمعنى وان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول
في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقريع
والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم
كذا وقلتم ولما ظرف قلتم المضاف الى اصابتكم اي حين اصابكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم

الهمزة لانكار التسوية بين الامين المطيع والخائن الفاسق

منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين قلتم من اين
هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اي مما اقترفته انفسكم من
مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار
الخروج من المدينة وعن علي رضي الله عنه باختياركم الفداء يوم بدر ان الله على كل
شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم
التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كائن بقضائه
او تخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا
وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على
نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر
عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا
الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو
ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه
لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم
وانما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم وكلامهم
هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم
لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان
واضافة القول الى الافواه تاكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق وبما يخلو
به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين

جملة مستانفة او حال من ضمير اقرب شهاب

قالوا رفع بدلاً من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلاً من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا حال مقدرة بقد اي قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل وقرأ هشام ما قتّلوا بالتشديد في التاء قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اي ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سبباً للهلاك والقعود سبباً للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرأ هشام بالياء وبالتاء ايضا كالباقين على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتّلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين من خلفهم زماناً او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حيوة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب

والآية

والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وما روى ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحاً وعرضاً قال هم احياء يوم القيامة وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون كرره للتاكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثواباً لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائي بالكسر على انه استئناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغ حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم

حتى لا يفوت لهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال
لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق
عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد او لانه انضم
اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه
روي انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عليه السلام
ان شاء الله فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب
في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل
بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله
ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم
في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا
فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون
حسبنا الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به
نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به
يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو
دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله الايمان
يزيد وينقص قال نعم يزيد وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة
من جملة الايمان وكذا ان لم تجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر
الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى
المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه

اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان
وزيادة وفضل ربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا
وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي
هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم
بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجرأة
على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوؤهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه
وفضل وفيه تحسير المتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به انما ذلكم الشيطان
يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفته
وما بعده خبر ويجوز ان تكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول
الشيطان يعني ابليس عليه اللعنة يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول عليه
او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على
الاول والى الاولياء على الثاني وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ان
كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او
قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم
لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها
انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر وقرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاي حيث
وقع ما خلا قوله في الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه فتح الياء وضم الزاي فيه
الباقون كذلك في الكل يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة نصيبا من الثواب في الآخرة

بالياء على أن الذين فاعل وأن مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وحمزة وعاصم والإملاء الإمهال وإطالة العمر وقيل
تخليتهم وشأنهم من أملى لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء إنما نملي لهم ليزدادوا إثما استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام
لام الإرادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ إنما بالفتح هنا وبكسر الأولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا أن إملاءنا لهم
للازدياد في الإثم بل للتوبة والدخول في الإيمان وأنما نملي لهم خير اعتراض معناه أن إملاءنا لهم خير إن انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب
مهين على هذا يجوز أن يكون حالا من الواو أي ليزدادوا إثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث
من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص

وهو يريد في تماديهم طغيانهم ليتهم على الكفر وفي ذكر الإرادة إشعار بأن كفرهم
بلغ الغاية حتى أراد أرحم الراحمين أن لا يكون لهم حظ من رحمته وأن مسارعتهم
في الكفر لأنه تعالى لم يرد لهم أن يكون لهم حظ في الآخرة ولهم عذاب عظيم
مع الحرمان عن الثواب إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم
عذاب أليم تكرير للتأكيد أو تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين أو ارتد
من الأعراب ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم خطاب للرسول
أو لكل من يحسب والذين مفعول وأنما نملي لهم بدل منه وإنما اقتصر على مفعول واحد
لأن التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله أم تحسب أن أكثرهم يسمعون
أو المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب أن الإملاء
خير لأنفسهم أو ولا تحسبن حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم وما مصدرية
وكان حقها أن تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الإمام فاتبع وقرأ ابن
كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي ويعقوب بالنجاة ونيل المراد والفوز العظيم
بالجنة وعن النبي عليه السلام من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته
وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه وما الحياة
الدنيا أي لذاتها وزخارفها إلا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به على
المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب بها الآخرة فهي
له متاع بلاغ والغرور مصدر أو جمع غار لتبلون أي والله لتختبرن في أموالكم
بتكليف الإنفاق وما يصيبها من الآفات وأنفسكم بالجهاد والقتل والأسر والجراح
وما يرد عليها من المخاوف والأمراض والمتاعب ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب

بالوحي إلى نبيه بأحوالكم أو بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها
ولا يذعن لها إلا الخلص المخلصون منكم كبذل الأموال والأنفس
في سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم
وقرأ حمزة والكسائي حتى يميز هنا وفي الأنفال بضم الياء و
فتح الميم وكسر الياء وتشديدها والباقون بفتح الياء وسكون
الياء وكسر الميم وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله
يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي أحدكم علم الغيب
فيطلع على ما في القلوب من كفر وإيمان ولكنه يجتبي لرسالته من
يشاء فيوحي إليه ويخبره ببعض المغيبات أو ينصب له ما يدل عليها
فآمنوا بالله ورسله بصفة الإخلاص أو بأن تعلموه وحده مطلعا
على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون إلا ما علمهم الله ولا يقولون
إلا ما أوحي إليهم روي أن الكفرة قالوا إن كان محمد صادقا فليخبرنا
من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي أنه عليه السلام
قال عرضت علي أمتي وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون
إنه يزعم أنه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا
فنزلت وإن تؤمنوا حق الإيمان وتتقوا النفاق فلكم أجر عظيم
لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله
هو خيرا لهم القراءات فيه على ما سبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا
ليتطابق مفعولاه أي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو
خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء إن جعل الفاعل ضمير الرسول
أو من يحسب وإن جعله الموصول كان المفعول الأول محذوفا
لدلالة يبخلون عليه أي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم
بل هو شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيامة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا
به إلزام الطوق وعنه عليه السلام ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله
إلا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيامة ولله ميراث السموات
والأرض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله
أو أنه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم
وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع والإعطاء
خبير فيجازيكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي
بالتاء على الالتفات وهو أبلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين
قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا
الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي أنه عليه السلام كتب مع
أبي بكر رضي الله عنه إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام
وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء إن الله فقير حين سأل القرض فلطمه أبو بكر رضي الله عنه وقال
لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه إلى رسول الله عليه السلام وجحد ما قاله فنزلت والمعنى أنه لم يخف عليه وأنه أعد لهم العقاب عليه
سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق أي سنكتبه في صحائف الكتبة أو سنحفظه في علمنا لا نهمله لأنه كلمة عظيمة إذ هو كفر بالله واستهزاء
بالقرآن والرسول عليه السلام ولذلك نظمه مع قتل الأنبياء وفيه تنبيه على أنه ليس أول جريمة ارتكبوه وأن من اجترأ على قتل الأنبياء
لم يستبعد منه أمثال هذا القول وقرأ حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء ونقول ذوقوا عذاب الحريق أي وننتقم
منهم بأن نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق إدراك المطعوم وعلى الاتساع يستعمل لإدراك سائر المحسوسات والحالات

وذكر ههنا لأن العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الإنسان إليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر
ذكر الأكل مع المال ذلك إشارة إلى العذاب بما قدمت أيديكم من قتل الأنبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالأيدي عن الأنفس لأن أكثر أعمالها بهن
وأن الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث أن نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي إثابة المحسن ومعاقبة المسيء
الذين قالوا هم كعب بن الأشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهودا إن الله عهد إلينا أمرنا في التوراة وأوصانا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا
بقربان تأكله النار بأن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لأنبياء بني إسرائيل وهو أن يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار
سماوية فتأكله أي تحيله إلى طبعها بالإحراق وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم لأن أكل النار القربان لم يوجب الإيمان إلا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات
شرع في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين تكذيب وإلزام بأن رسلا جاؤوهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات أخر

موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب
للتصديق هو الإتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الإيمان
لأجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات أخر واجترؤوا
على قتله فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤوا بالبينات
والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول عليه السلام
من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب
المقصور على الحكم من زبرت الشيء إذا حسنته والكتاب
في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والأحكام ولذلك جاء الكتاب
والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ
والزواجر من زبرته إذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر
وهشام وبالكتاب بإعادة الجار للدلالة على أنها مغايرة
للبينات بالذات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد
للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين
وعدمه كقوله ولا ذاكر الله إلا قليلا وإنما توفون أجوركم
تعطون جزاء أعمالكم خيرا كان أو شرا تاما وافيا يوم القيامة
يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بأنه قد يكون
قبلها بعض الأجور ويؤيده قوله عليه السلام القبر روضة
من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران فمن زحزح
عن النار بعد عنها والزحزحة في الأصل تكرير الزح وهو
الجذب بعجلة وأدخل الجنة فقد فاز

١٦٨

من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن في الدين وإغراء
الكفرة على المسلمين أخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا أنفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا
للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وإن تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة أمر الله فإن
ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الأمور من معزومات الأمور التي يجب العزم عليها
أو مما عزم الله عليه أي أمر به وبالغ فيه والعزم في الأصل ثبات الرأي على الشيء نحو إمضائه
وإذ أخذ الله أي اذكر وقت أخذه ميثاق الذين أوتوا الكتاب يريد العلماء لتبيننه
للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية ابن
عياش بالياء لأنهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله وإذ أخذ الله
ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه أي الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا
إليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله
نصب عينيه وإلقاؤه بين عينيه واشتروا به وأخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا
وأغراضها فبئس ما يشترون يختارون لأنفسهم وعن النبي عليه السلام من كتم علما
عن أهله ألجم بلجام من نار وعن علي رضي الله عنه ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ
على أهل العلم أن يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم
يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب للرسول ومن ضم الباء جعل
الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الأول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله
فلا تحسبنهم تأكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس
وكتمان الحق ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق وإظهار الحق
والإخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب أي فائزين بالنجاة منه وقرأ

نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر لا يحسبن بالياء وفتح الباء في الاول وضمها
في الثاني على ان الذين فاعله ومفعولا لا يحسبن محذوف فلا يدل عليهما مفعولا
مؤكده وهو يحسبنهم الثاني وكانه قيل لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا
يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تاكيد للفعل
وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه عليه السلام سأل
اليهود عن شيء مما في التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه
وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم
راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون
بنفاقهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ولله
ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم
وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار لآيات لاولي الالباب لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال
علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق
في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الآية لان مناط الاستدلال
هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل و
النهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك
بتبدل اوضاعها وعن النبي عليه السلام ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون
الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين
وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه السلام من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر

١٦٩

ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلث حسب طاقتهم لقوله عليه السلام
لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي
ايماء فهو حجة للشافعي رحمه الله في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا
بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو
افضل العبادات كما قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود
من الخلق وعنه عليه السلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى
السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له
وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا
على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق
على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى
ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكمة عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ
لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال
الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث
وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما
يقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض
حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته غاية
الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ
منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني
افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر

المبالغة على أن ظلمهم سبب لإدخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها
ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لأن النصرة دفع بقهر ربنا إننا سمعنا مناديا
ينادي للإيمان أوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة
ليست في إيقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي وإطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه
والمراد به الرسول وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بإلى واللام
لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص أن آمنوا بربكم فآمنا أي بأن آمنوا فامتثلنا
ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فإنها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا فإنها
مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الأبرار مخصوصين بصحبتهم
معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على أنهم محبون لقاء الله ومن أحب لقاء الله
أحب الله لقاءه والأبرار جمع بر أو بار كأرباب وأصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا
على رسلك أي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما أظهروا امتثال ما أمروا
به سألوا ما وعدوا عليه لا خوفا من إخلاف الوعد بل مخافة أن لا يكونوا من الموعودين
لسوء عاقبة أو قصور في الامتثال أو تعبدا واستكانة ويجوز أن يتعلق على بمحذوف
تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك أو محمولا عليهم وقيل معناه على ألسنة رسلك
ولا تخزنا يوم القيامة بأن تعصمنا عما يقتضيه إنك لا تخلف الميعاد بإثابة المؤمن
وإجابة الداعي وعن ابن عباس الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة
في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شأنها وفي الآثار من حزبه
أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم إلى طلبتهم
وهو أخص من أجاب ويعدى بنفسه وباللام أني لا أضيع عمل عامل منكم

أي بأني لا أضيع وقرئ بالكسر على إرادة القول من ذكر أو أنثى بيان عامل بعضكم
من بعض لأن الذكر من الأنثى والأنثى من الذكر أو لأنهما من أصل واحد
أو لفرط الاتصال والاتحاد أو للاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة
بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي أن أم سلمة قالت يا رسول
الله إني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا
إلخ تفصيل لأعمال العمال وما أعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم
والمعنى فالذين هاجروا الشرك أو الأوطان والعشائر للدين وأخرجوا من ديارهم
وأوذوا في سبيلي بسبب إيمانهم بالله ومن أجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد
وقرأ حمزة والكسائي بالعكس لأن الواو لا توجب ترتيبا والثاني أفضل وكأن
المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا
للتكثير لأكفرن عنهم سيئاتهم لأمحونها ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار
ثوابا من عند الله أي أثيبهم بذلك إثابة من عند الله تفضلا منه وهو مصدر
مؤكد والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين
كفروا في البلاد الخطاب للنبي صلعم والمراد أمته أو تثبيته على ما كان عليه كقوله
ولا تطع المكذبين أو لكل أحد والنهي في المعنى للمخاطب وإنما جعل للتقلب تنزيلا
للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر إلى ما الكفرة عليه من السعة والحظ
ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم
روي أن بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون
إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل

خبر مبتدأ محذوف أي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته في جنب ما أعد الله
للمؤمنين قال عليه السلام ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر
بم يرجع ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد أي ما مهدوا لأنفسهم لكن الذين اتقوا ربهم
لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل
ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال أبو الشعر الضبي وكنا إذا الجبار بالجيش
ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل
فيها الظرف وقيل إنه مصدر مؤكد والتقدير أنزلوها نزلا وما عند الله
لكثرته ودوامه خير للأبرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وإن من أهل
الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام وأصحابه وقيل في أربعين من نجران
واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فأسلموا وقيل
في أصحمة النجاشي لما نعاه جبريل إلى رسول الله صلعم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون
انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وإنما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه
وبين إن بالظرف وما أنزل إليكم من القرآن وما أنزل إليهم من الكتابين
خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله
ثمنا قليلا كما يفعل المحرفون من أحبارهم أولئك لهم أجرهم عند ربهم ما خص
بهم من الأجر ووعدوه في قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين إن الله سريع الحساب
لعلمه بالأعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد
أن الأجر الموعود سريع الوصول فإن سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا أيها
الذين آمنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا

غالبوا

وغالبوا أعداء الله في الصبر على شدائد الحروب وأعدى عدوكم في الصبر على
مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الأمر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا أبدانكم
وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وأنفسكم على الطاعة كما قال عليه السلام
من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة وعنه من رابط يوما وليلة في سبيل الله
كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته إلا لحاجة واتقوا
الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح أو اتقوا القبائح لعلكم
تفلحون بنيل المقامات الثلاث المترتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة
النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات
المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أمانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرأ
السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم
الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم وخلق منها زوجها عطف على خلقكم
أي خلقكم من شخص واحد وخلق منها أمكم حواء من ضلع من أضلاعه أو محذوف
تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم
من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما
والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى
بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها إذ الحكمة تقتضي أن يكون أكثر وذكر

بها

كثيراً مرتباً على الحكم وتمهيداً للامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة
القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها او لان المراد به
تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات
التي بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدا تقديره هو خالق وباث واتقوا
الله الذي تساءلون به اي يسأل بعضكم بعضاً فيقول اسألك بالله واصله تتساءلون
فادغمت التاء الثانية في السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها والارحام
فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفاً على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه
كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي
مما يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه
عليه السلام الرحم معلقة بالعرش تقول الا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله
ان الله كان عليكم رقيباً حافظاً مطلعاً وآتوا اليتامى اموالهم اي اذا بلغوا واليتامى
جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما لانه
لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على يتمى
كأسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كأسرى وأسارى والاشتقاق
يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ ووروده في الآية
اما للبلغ على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثاً على ان يدفع اليهم اموالهم
اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان أونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم
صغاراً او لغير البالغ والحكم مقيد فكأنه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ما روي
ان رجلاً من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه

نزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير ولا تتبدلوا
الخبيث بالطيب لا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث
وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل لا تأخذوا الرفيع
من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تأكلوا
اموالهم الى اموالكم ولا تأكلوها مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوهما معاً ولا
تسووا بينهما وهذا حلال وذا حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله فليأكل
بالمعروف انه الضمير للاكل كان حوباً كبيراً ذنباً عظيماً وقرئ حَوباً وهو مصدر
حاب يحوب حوباً وحاباً كقال قولاً وقالاً وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا
ما طاب لكم من النساء اي ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن
فتزوجوا ما طاب من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها
ضناً بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم
ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضاً ان لا تعدلوا بين النساء
فانكحوا مقداراً يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج من الذنوب
كلها على ما روي انه تعالى لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون
من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا
يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا
ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهاباً الى الصفة او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان
عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اي ان
خفتم ان تجوروا مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة هي ثنتين ثنتين و

وثلث وربع معدولة ومنع صرفها للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت
اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير
منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء
من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين
درهمين وثلثة ثلثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون
التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد وان خفتم الا تعدلوا
بين هذه الاعداد ايضا فواحدة فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع و
قرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبره تقديره فيكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة
او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري لخفة مؤنتهن
وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اي التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسري ادنى
الا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار
وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال
الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن
على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا فلعل قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز
العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وآتوا النساء صدقاتهن
مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون
الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في
ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض
ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضع اللفظ ونصبها

اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات
اي آتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن
فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه
مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل
للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور مولياتهم فان طبن لكم عن شيء منه
نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى او يجري مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة
فيها كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذاك وقيل للايتاء ونفسا تمييز
لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن نفس لكن جعل
العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمنه معنى التجافي والتجاوز وقال
منه بعثا لهن على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة
والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غصص اقيمتا مقام
مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه
الانسان والمريء ما تحمد عاقبته روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من
زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم نهي للاولياء عن
ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف المال الى الاولياء
لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل
نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي امرأته واولاده ثم ينظر
الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم
وهو اوفق لقوله التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول

يؤول بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما وسمي ما به القيام قياما للمبالغة
قرأ نافع وابن عامر قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به
وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا
فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة
تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره
احدهما لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح
الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد
وعند ابي حنيفة رحمه الله بان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا النكاح
حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله ع اذا
استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ما له وما عليه واقيمت عليه الحدود وثماني
عشرة عند ابي حنيفة رحمه الله وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح
للنكاح عنده فان آنستم منهم رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم
بمعنى احسستم فادفعوا اليهم اموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية
ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكانه قيل وابتلوا
اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد
منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال ابو حنيفة
اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز
بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس منه الرشد ولا تأكلوها
اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم

كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف
بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر
بان الولي له حق في مال الصبي وعنه عليه السلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما
افآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا
التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان يأخذوا وينفقوا
على انفسهم اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها
فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لا
يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك رحمه الله خلافا لابي حنيفة
وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب
مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد
بهم المتوارثين بالقرابة مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا
نصب على انه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا
نصيبا او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان
الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روي ان اوس بن صامت الانصاري
خلف زوجته ام كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة
وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال
ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كجة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله
فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا

ولم يبيّن حتى يتبيّن فنزل يوصيكم الله فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين
والباقي ابني العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن الخطاب وإذا حضر
القسمة أولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فأعطوهم
شيئاً من المقسوم تطييباً لقلوبهم وتصدقاً عليهم وهو أمر ندب للبلّغ من الورثة
وقيل أمر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك أو ما دل عليه القسمة وقولوا
لهم قولاً معروفاً وهو أن تدعوا لهم وتستقلوا ما أعطيتموهم ولا تمنوا
عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم أمر
للأوصياء بأن يخشوا الله ويتقوه في أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون
أن يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم أو للحاضرين المريض عند الإيصاء
بأن يخشوا ربهم أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولادهم
فلا يتركوه أن يضرّ بهم بصرف المال عنهم أو للورثة بالشفقة على من حضر القسمة
من ضعفاء الأقارب واليتامى والمساكين متصورين أنهم لو كانوا أولادهم بقوا
خلفهم ضعافاً مثلهم هل يجوّزون حرمانهم أو للموصين بأن ينظروا للورثة فلا
يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم
وصفتهم أنهم لو شارفوا أن يخلفوا ذرية ضعافاً خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب
الأمر عليه إشارة إلى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وأن يحب لأولاد
غيره ما يحب لأولاده وتهديد للمخالف بحال أولاده فليتقوا الله وليقولوا قولاً
سديداً أمرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعدما أمرهم بها مراعاة للمبدأ
والمنتهى إذ لا ينفع الأول دون الثاني ثم أمرهم أن يقولوا لليتامى مثل ما يقولون

لأولادهم

لأولادهم بالشفقة وحسن الأدب أو للمريض ما يصدّه عن الإسراف في الوصية
وتضييع الورثة ويذكّره التوبة وكلمة الشهادة أو لحاضري القسمة عذراً جميلاً
ووعداً حسناً أو أن يقولوا في الوصية ما لا يؤدي إلى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة
إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ظالمين أو على وجه الظلم إنما يأكلون في
بطونهم ملء بطونهم ناراً ما يجر إلى النار ويؤول إليها وعن أبي بردة رضي
الله عنه أنه قال يبعث الله قوماً من قبورهم تتأجج أفواههم ناراً فقيل من هم فقال
ألم تر أن الله يقول إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً
وسيصلون سعيراً سيدخلون ناراً وأي نار وقرأ ابن عامر وابن عياش
عن عاصم بضم الياء مخففاً وقرئ به مشدداً يقال صلي النار قاسى حرها وصليته
شويته وأصليته وصليته ألقيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت
النار إذا ألهبتها يوصيكم الله يأمركم ويعهد إليكم في أولادكم في شأن ميراثهم
وهو إجمال تفصيله للذكر مثل حظ الأنثيين أي يعدّ كل ذكر بأنثيين حيث اجتمع
الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لأن القصد
إلى بيان فضله والتنبيه على أن التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد
اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به فإن كن نساء أي إن كان الأولاد
نساء خلّصاً ليس معهن ذكر فأنث الضمير باعتبار الخبر أو على تأويل المولودات فوق
اثنتين خبر ثان أو صفة لنساء أي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك
المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وإن كانت واحدة فلها النصف أي وإن كانت
المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة واختلف في الاثنتين فقال

ابن عباس رضي الله عنهما حكمهما حكم الواحدة لأنه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون
حكمهما حكم ما فوقهما لأنه تعالى لما بين أن حظ الذكر مثل حظ الأنثيين إذا كان معه
أنثى وهو الثلثان اقتضى ذلك أن فرضهما الثلثان ثم لما أوهم ذلك أن يزاد النصيب
بزيادة العدد رد ذلك بقوله فإن كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك أن البنت
الواحدة لما استحقت الثلث مع أخيها فبالحري أن تستحقه مع أخت مثلها وأن البنتين
أمس رحما من الأختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولأبويه
ولأبوي الميت لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق
كل منهما السدس والتفصيل بعد الإجمال تأكيدا السدس مما ترك إن كان له ولد ذكر
أو أنثى غير أن الأب يأخذ السدس مع الأنثى بالفرضية وما بقي من ذوي الفروض أيضا
بالعصوبة فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فقط فلأمه الثلث مما ترك وإنما لم يذكر
حصة الأب لأنه لما فرض أن الوارث أبواه فقط وعين نصيب الأم علم أن الباقي
للأب وكأنه قال فلهما ما ترك أثلاثا وعلى هذا ينبغي أن يكون لها حيث كان معهما أحد الزوجين
ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما فإنه يفضي إلى
تفضيل الأنثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع
فإن كان له إخوة فلأمه السدس بإطلاقه يدل على أن الإخوة يردونها من
الثلث إلى السدس وإن كانوا لا يرثون مع الأب وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم يأخذون
السدس الذي حجبوا عنه الأم والجمهور على أن المراد بالإخوة عدد ممن له إخوة من
غير اعتبار التثليث سواء كان من الإخوة أو الأخوات وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يحجب الأم
من الثلث ما دون الثلاثة ولا الأخوات الخلص أخذا بالظاهر وفيه بحث في الكشاف بلا

قوله فإن مسألة الزوج ... وأما في مسألة الزوجة ... لأن المسألة الأولى من ستة والمسألة الثانية من اثني عشر

قوله والجمهور ... الواحد ... مطلقا ذكورا أو إناثا أو مختلطين من أي جهة كانوا من الأبوين أو من أحدهما

بكسر الهمزة

للكسرة ... بكسرة اللام ... الميم

بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها من بعد وصية يوصي بها أو دين متعلق بما تقدمه
من قسمة المواريث كلها أي هذه الأنصباء للورثة من بعد ما كان من وصية
أو دين وإنما قال بأو التي للإباحة دون الواو للدلالة على أنهما متساويان في الوجوب
متقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهي متأخرة في الحكم
لأنها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب إليها الجميع والدين إنما يكون على
الندور وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بفتح الصاد آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون
أيهم أقرب لكم نفعا أي لا تعلمون من أنفع لكم ممن يرثكم من أصولكم وفروعكم في
عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا إلى تفضيل بعض وحرمانه
روي أن أحد المتوالدين إذا كان أرفع درجة من الآخر في الجنة سأل أن يرفع إليه
فيرفع بشفاعته أو من مورثيكم منهم أمن أوصى منهم فعرضكم للثواب بإمضاء
وصيته أم من لم يوص فوفر عليكم ماله وهو اعتراض مؤكد لأمر القسمة أو تنفيذ الوصية
فريضة من الله مصدر مؤكد أو مصدر يوصيكم الله لأنه في معنى يأمركم ويفرض عليكم
إن الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك أزواجكم
إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن
أي ولد وارث من بطنها أو من صلب بنيها أو بني بنيها وإن سفل ذكرا كان أو أنثى
منكم أو من غيركم من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن
لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها
أو دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل
وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه إلا أولاد الأم والمعتق والمعتقة

... ضعف ما للمرأة ...

قوله في قسمة المواريث ...

قوله ... فريضة ...

احترازا عن الولد المحروم كالقاتل والكافر ...

ويستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل اي الميت
يورث اي يورث منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبره
وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولداً ولا والداً او مفعول له والمراد
بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث
ويورث من اورث وكلالة يحتمل المعاني الثلاثة وعلى الاول خبر او حال و
على الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال
قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية
لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك
فلان من قرابتي او امرأة عطف على رجل وله اي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم
المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت اي من الام ويدل عليه
قراءة ابي وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر في آخر السورة
ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدره
ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما السدس
فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر والانثى
في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الآية انهم لا يرثون ذلك مع
الام او الجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع
من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اي غير مضار لورثته بالزيادة
على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه
وهو حال عن فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى

على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم وصية من الله
مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده انه قرئ غير مضار وصية
بالاضافة اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصية
منه بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار و
غيره حليم لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى
والوصايا والمواريث حدود الله شرائعه التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها
ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز
العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب
مهين توحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله
بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائداً به غداً وكذلك خالداً و
ليسا صفتين لجنات وناراً والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له واللاتي
يأتين الفاحشة من نسائكم اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها و
رهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن
اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن فان شهدوا
فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن في البيوت واجعلوها سجناً عليهن حتى يتوفاهن
الموت يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن
في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان
يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء
بقوله الزانية والزاني او يجعل الله لهن سبيلاً كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح

وقوله اللذان يأتيانها مبتداء وما بعده خبره والفاء زائدة فيه لتضمن معنى الشرط عناية

ولا يجوز زيادة المدة على الالف شهاب

فهو تغليب شهاب

المغنى عن السفاح واللذان يأتيانها منكم يعني الزانية والزاني وقرأ ابن كثير واللذانّ
بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين فآذوهما
بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما فاقطعوا
عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر ان الله كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض
وترك المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس
ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية والزاني في الزناة انما
التوبة على الله اي ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل
توبته للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل و
لذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ثم يتوبون من قريب من
زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه السلام ان الله يقبل
توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحياة قريب لقوله قل متاع الدنيا قليل او
قبل ان يشربوا في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبون
في اي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين السوء
فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على
وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون
وهم كفار سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات
على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة
هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين

يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تاكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعده لهم
لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى
تاء يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى
ثوبه على امرأته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها
وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تأخذوهن
على سبيل الارث فتتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائي كرها بالضم
في مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض
ما آتيتموهن عطف على ان ترثوا ولا لتأكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزويج واصل العضل
التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء
من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها
ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان يأتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة
وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره ولا تعضلوهن للافتداء
الا وقت ان يأتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة الا لان يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وابو بكر
بفاحشة مبينة هنا وفي الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها وعاشروهن بالمعروف
بالانصاف في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه
خيرا كثيرا اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو
بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه
والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج تطليق امرأة وتزوج اخرى وآتيتم احداهن اي احدى الزوجات جمع الضمير

بالمعروف

اشارة الى الجواب المحذوف

لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تأخذوا منه شيئا اي من القنطار أتأخذونه
بهتانا واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ اي أتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك
قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المأثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد جديدة
بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة
فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك
فسر هنا بالظلم وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر والحال انه
وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة
والممازجة او ما اوثق الله عليهم في شأنهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه
النبي صلعم بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم
ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة
المفعول من المصدر [illegible] الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم
للنهي فكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة
في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل
آبائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوا وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مؤاخذة
عليه لا انه مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اي ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه
لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروءات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي وساء سبيلا
سبيل من يراه ويفعله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت
ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله
حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت

وبناتكم تتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم من الاوجه الثلاثة وكذلك الباقيات
والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات
الاخ والاخت تتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله الرضاعة
منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمرضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة وولد
الفحل لقوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناء اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاع
من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم
من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاع لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات
المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لانه
يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقته التاء لانه صار اسما واللاتي بصلتها صفة
لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها
بالربائب كانت ابتدائية وان علقتها بالامهات امتنع ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة
لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله بعضهم من بعض على معنى
ان امهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول عليه السلام فرق بينهما فقال في رجل تزوج امرأة وطلقها
قبل ان يدخل بها انه لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء الا ما
روي عن علي رضي الله عنه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة للنسائين لان عاملهما مختلف
فائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم او
بصدده قوي الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور
العلماء وقد روي عن علي رضي الله عنه انه جعله شرطا والامهات والربائب يتناولن القريبة والبعيدة وقوله
دخلتم بهن اي دخلتم معهن الستر وهي كناية عن [illegible] فيه اللمس ونحوه كالوطء بشبهة او ملك يمين

وهو عند أبي حنيفة رحمه الله لمس المنكوحة ونحوه كالدخول فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا
جناح عليكم تصريح بعد إشعار دفعا للقياس وحلائل أبنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة
لحلها أو لحلولها مع الزوج الذين من أصلابكم احتراز عن المتبنين لا عن أبناء الأولاد وأن تجمعوا
بين الأختين في موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر أن الحرمة غير مقصورة على النكاح فإن
المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي حرمتهما
آية وأحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله أو ما ملكت فرجح علي التحريم وعثمان التحليل وقول
علي أظهر لأن آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه السلام ما اجتمع الحلال والحرام إلا غلب الحرام
إلا ما قد سلف استثناء من لازم المعنى أو منقطع معناه لكن ما قد سلف مغفور لقوله إن الله
كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء ذوات الأزواج أحصنهن التزويج أو الأزواج
وقرأ الكسائي في جميع القرآن غير هذا الحرف بكسر الصاد لأنهن أحصن فروجهن إلا ما ملكت
أيمانكم يريد ما ملكت أيمانهم من اللاتي سبين ولهن أزواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح
مرتفع بالسبي لقول أبي سعيد رضي الله عنه أصبنا سبايا يوم أوطاس ولهن أزواج فكرهنا
أن نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهن وإياه عنى
الفرزدق بقوله وذات حليل أنكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق وقال
أبو حنيفة رضي الله عنه لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي و
إطلاق الآية والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد أي كتب الله عليكم
تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع أي هذه فرائض الله تعالى عليكم
وكتب الله بلفظ الفعل وأحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرأ
حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت

ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات
كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها أن تبتغوا بأموالكم محصنين
غير مسافحين مفعول له والمعنى أحل لكم ما وراء ذلكم إرادة أن تبتغوا النساء بأموالكم
بالصرف في مهورهن أو أثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز أن
لا يقدر مفعول تبتغوا وكأنه قيل إرادة أن تصرفوا أموالكم محصنين غير مسافحين
أو بدل مما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على أن المهر لا بد أن يكون
مالا ولا حجة فيه والإحصان العفة فإنها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب
والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فإنه الغرض منه فما استمتعتم به منهن
فمن تمتعتم به من المنكوحات أو فما استمتعتم به منهن من جماع أو عقد عليهن فآتوهن
أجورهن مهورهن فإن المهور في مقابلة الاستمتاع فريضة حال من الأجور بمعنى
مفروضة أو صفة مصدر محذوف أي إيتاء مفروضا أو مصدر مؤكد ولا جناح عليكم
فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى أو يحط عنه بالتراضي أو فيما تراضيا
به من نفقة أو مقام أو فراق وقيل نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلاثة
أيام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روي أنه عليه السلام أباحها ثم أصبح يقول يا أيها الناس
إني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ألا إن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة وهي
النكاح المؤقت بوقت معلوم سمي به إذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة أو تمتيعها
بما تعطى وجوزها ابن عباس رضي الله عنهما ثم رجع عنه إن الله كان عليما بالمصالح حكيما
فيما شرع من الأحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء وأصل الطول الفضل
والزيادة أن ينكح المحصنات المؤمنات في موضع النصب بطولا أو بفعل مقدر صفة له

لا يعد من لم ينكح منكم ان ينكح نكاح المحصنات او من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح
المحصنات يعني الحرائر لقوله فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات يعني الاماء المؤمنات
وظاهر الآية حجة للشافعي رضي الله عنه في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة و
منع نكاح الامة الكتابية مطلقاً واول ابو حنيفة رحمه الله طول المحصنات بان يملك فراشهن
على ان النكاح هو الوطء وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه في قوله
المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضاً على التقييد وجوز نكاح الامة لمن
قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذراً عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور
في نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم
فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم في الايمان فرب امة
تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تأنيسهم
بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه بعضكم من بعض انتم وارقاؤكم
متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن
يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقاً لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد
بانفسهن حتى يحتج به الحنفية وآتوهن اجورهن اي ادوا اليهن مهورهن
باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر
للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك المهر للامة ذهاباً الى الظاهر
بالمعروف بغير مطل وضرار ونقصان محصنات عفائف غير مسافحات غير مجاهرات
بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر فاذا احصن بالتزويج وقرأ
ابو بكر وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والصاد والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد فان اتين

فاحشة

فان اتين بفاحشة زناً فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحرائر من العذاب
من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد
نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك اي نكاح الاماء لمن خشي
العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار
لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد
وهذا شرط آخر لنكاح الاماء وان تصبروا خير لكم اي وصبركم عن نكاح الاماء خير
لكم قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه والله غفور رحيم
بان رخص لكم يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفي عليكم من
مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام مزيدة لتاكيد معنى الاستقبال
اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس
والوفود شهود وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اي يريد الخير لاجله
ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طرقهم
ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على
التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد
ان يتوب عليكم كرره للتاكيد والمبالغة ويريد الذين يتبعون الشهوات
يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره
فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات
من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت ان تميلوا عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات
واستحلال المحرمات ميلاً عظيماً بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها

يريد الله أن يخفف عنكم فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص
لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر
عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمان
آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلث
وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك ان الله
لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين
آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار الا ان
تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اي ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي
عنه او اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراضي
المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير لانها اغلب
واوفق لذوي المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي
المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون تجارة
بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة ولا
تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روي
ان عمرو بن العاص تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي عليه السلام او بارتكاب ما
يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل
المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية
بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم
ريثما تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله

ان الله كان بكم رحيما اي امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم
يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة
الى القتل او ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا
بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها
للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون
من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث
انه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس
نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب
ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل
ما علم حرمته بقاطع وعن النبي عليه السلام انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي
حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربا والفرار عن الزحف وعقوق
الوالدين وعن ابن عباس الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل اراد
ههنا انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب
وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث
النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه
اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب
على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى
عاتب نبيه في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذ عليها

وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرأ نافع هنا
وفي الحج بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم
على بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه
ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له وانه تشهى
لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر
وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع الحظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال
للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال و
النساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني
كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم
على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقصان
كالمكتسب واسألوا الله من فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من
خزائنه التي لا تنفد وهو يدل على ان المنهي عنه هو الحسد او لا تتمنوا واسألوا الله من
فضله بما يقربه ويسوقه اليكم وقرأ ابن كثير والكسائي وسلوا الله من فضله
وسلهم فسل الذين وشبهه اذا كان امرا مواجها به وقبل السين واو او فاء بغير همزة
وحمزة في الوقف على اصله والباقون بالهمزة ان الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه
كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله
يغزو الرجال ولا تغزو النساء وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت
ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون اي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها
ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا وراثا

مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون
استئناف مفسر للموالي وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين
او ولكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة
كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدأ وخبر والذين عقدت ايمانكم موالي
الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال الحليف فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض وعن ابي حنيفة رح لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث
او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم او
منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم
جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت
عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة
الاخرى ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء
يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبي وكسبي فقال بما فضل الله
بعضهم على بعض بسبب تفضيل الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة
في الاعمال الصالحات والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر
والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم
في الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي
ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير
فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت
فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات قانتات مطيعات

قانتات مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج
ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه [الصلاة والسلام] خير النساء امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها
اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الاية وقيل لاسرارهم بما حفظ
الله بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق
له او بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن
وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل
والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي
تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن
واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون
كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايتة اي لا تبايتوهن واضربوهن يعني ضربا غير مبرح
ولا شائن والامور الثلاثة مترتبة ينبغي ان يتدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن
سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان
لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر
عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم
احق بالعفو عن ازواجكم او انه متعال ومتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه وان خفتم
شقاق بينهما خلافا بين المراة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل
عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة
اهل الدار او الفاعل كقولهم نهارك صائم فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها
الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسطا

يصلح

وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن
الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز
وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب
لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين
وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق
الله بينهما الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع
الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح
يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح
وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته
فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف
يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا
من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى
وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل الذي
له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص والجار الجنب البعيد
او الذي لا قرابة له وعنه عليه [الصلاة والسلام] الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق
القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد
وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف
وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المراة وابن السبيل المسافر
او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا

يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا يلتفت إليهم فخوراً يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل بدل من قوله من كان أو نصب على الذم أو رفع عليه أي هم الذين أو مبتدأ خبره
محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل وقرأ حمزة والكسائي
ههنا وفي الحديد بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الغنى
والعلم فهم أحقاء بكل ملامة وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً وضع الظاهر فيه موضع المضمر
إشعاراً بأن من هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافراً لنعمة الله فله عذاب يهينه كما أهان
النعمة بالبخل والإخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للأنصار تنصحاً
لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه
والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس عطف على الذين يبخلون أو الكافرين وإنما شاركهم
في الذم والوعيد لأن البخل والسرف الذي هو الإنفاق لا على ما ينبغي من حيث إنهما طرفا
إفراط وتفريط سواء في القبح واستجلاب الذم أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله
ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالإنفاق مراضيه وثوابه
وهم مشركو مكة وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً تنبيه على أن
الشيطان قرينهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين
والمراد إبليس وأعوانه الداخلة والخارجة ويجوز أن يكون وعيداً لهم بأن يقرن بهم
الشيطان في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله
أي وما الذي عليهم أو أي تبعة تحيق بهم بالإيمان والإنفاق في سبيل الله وهو
توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على
الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم إلى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه

تنبيه على أن المدعو إلى أمر لا ضرر فيه ينبغي أن يجيب إليه احتياطاً فكيف إذا تضمن المنافع وإنما
قدم الإيمان ههنا وأخره في الآية الأخرى لأن القصد بذكره إلى التخصيص ههنا والتعليل ثم
وكان الله بهم عليماً وعيد لهم إن الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الأجر ولا يزيد في العقاب
أصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من أجزاء الهباء وإن يك مثقال الذرة
حسنة وأنث الضمير لتأنيث الخبر أو لإضافة المثقال إلى المؤنث وحذف النون من غير قياس
تشبيهاً بحروف العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها
يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه
ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائداً على ما وعد في مقابلة العمل أجراً عظيماً
عطاء جزيلاً وإنما سماه أجراً لأنه تابع للأجر مزيد عليه فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد
فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم إذا جئنا من كل أمة بشهيد يعني نبيهم يشهد
على فساد عقائدهم وقبح أعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الأمر
وتعظيم الشأن وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيداً تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك
بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء إشارة إلى الكفرة المستفهم عن
حالهم وقيل إلى المؤمنين لقوله لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيداً يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض بيان لحالهم
حينئذ أي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الأمر أو الكفرة والعصاة في ذلك الوقت
أن يدفنوا فتسوى بهم الأرض كالموتى أو لم يبعثوا أو لم يخلقوا وكانوا هم والأرض
سواء ولا يكتمون الله حديثاً ولا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم وقيل
الواو للحال أي يودون أن تسوى بهم الأرض وحالهم أنهم لا يكتمون من الله حديثاً

ولا يكتمونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله
على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد عليهم الامر فيتمنون ان تسوى بهم الارض
وقرأ نافع وابن عامر تسّوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي
تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا
الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لا تقوموا اليها وانتم سكارى من
نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلوتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف
صنع مأدبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا
وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت
وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان
الصلوة وانما المراد النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ
سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى
على الصفة بالجماعة ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب
على الحال والجنب الذي اصابه الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه
تجري مجرى المصدر الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم
الاحوال اي ولا تقربوا الصلوة جنبا في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم تجد
الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا غير عابري سبيل
وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابري سبيل
بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رحمه الله وقال ابو حنيفة
لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان

القربان حال الجنابة وفي الآية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه
ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى مرضا يخاف معه من استعمال الماء
فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه او على سفر لا تجدونه فيه
او جاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط
المطمئن من الارض او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل
الشافعي على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرأ
حمزة والكسائي هنا وفي المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة
فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع منه كالمفقود ووجه هذا التقسيم
ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر
والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه ما
يحدث بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال
الجنب وبيان العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين
جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم
وايديكم اي فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب
المتيمم يده على حجر صلد ومسح اجزأه وقال اصحابنا لا بد ان يعلق باليد شيء من
التراب لقوله تعالى في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من
لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم للعضو الى
المنكب وما روي انه عليه السلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على
ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر

عليكم ورخص لكم ألم تر إلى الذين أوتوا من رؤية البصر أي ألم تنظر إليهم أو القلب
وعدي بإلى لتضمن معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التوراة لأن
المراد أحبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى أو يستبدلونها
به بعد تمكنهم منه أو حصوله لهم بإنكار نبوة محمد عليه وقيل يأخذون الرشى
ويحرفون التوراة ويريدون أن تضلوا أيها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله
أعلم منكم بأعدائكم وقد أخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم وكفى
بالله وليا يلي أمركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء
تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الإسنادي بالاتصال الإضافي من الذين هادوا
بيان للذين أوتوا نصيبا فإنه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض أو بيان لأعدائكم أو
صلة لنصيرا أي ينصركم من الذين هادوا أو خبر محذوف صفته يحرفون
الكلم عن مواضعه أي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم أي يميلونه عن مواضعه التي
وضعه الله فيها بإزالته عنها وإثبات غيره فيها أو يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما
أنزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون
سمعنا قولك وعصينا أمرك واسمع غير مسمع أي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم أو موت
أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه أو اسمع كلاما غير مسمع
إياك لأن أذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به أو اسمع غير مسمع مكروها من قولهم أسمعه
فلان إذا سبه وإنما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك أو نفهم كلامك ليا بألسنتهم
فتلا بها وصرفا للكلام إلى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون
به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا أسمعت مكروها أو فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء

والتوقير

والتوقير إلى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا
سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم وأقوم
لكان قولهم ذلك خيرا لهم وأعدل وإنما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة أن
عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم وأبعدهم عن الهدى
بسبب كفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا أي إلا إيمانا قليلا لا يعبأ به وهو الإيمان ببعض الآيات
والرسل ويجوز أن يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه أو إلا قليلا منهم
آمنوا أو سيؤمنون يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من
قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها من قبل أن نمحو تخطيط صورها ونجعلها
على هيئة أدبارها يعني الأقفاء أو ننكسها إلى ورائها في الدنيا أو في الآخرة وأصل
الطمس إزالة الأعلام المائلة وقد يطلق بمعنى الطلس في إزالة الصورة ولمطلق القلب
والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل أن نغير وجوها فنسلب وجاهتها وإقبالها ونكسوها
الصغار والإدبار أو نردها إلى حيث جاءت منه وهي أذرعات الشام يعني إجلاء
بني النضير ويقرب منه قول من قال المراد بالوجوه الرؤساء أو من قبل أن
نطمس وجوها بأن نعمي الأبصار عن الاعتبار ونصم الأسماع عن الإصغاء
إلى الحق بالطبع ونردها عن الهداية إلى الضلالة أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت
أو نخزيهم بالمسخ كما أخزينا به أصحاب السبت أو نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان
داود والضمير لأصحاب الوجوه أو للذين على طريقة الالتفات أو للوجوه إن أريد
به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الأول يدل على أن المراد به ليس مسخ الصورة في
الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال إنه بعد منتظر أو كان

او كان وعيدهم مشروطا بعدم ايمانهم وقد امن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع شيء
او وعيده او ما حكم به وقضاه مفعولا نافذا وكائنا لا محالة فيعم ما اوعدتم به
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك اي ما دون الشرك
صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا وعلقه المعتزلة بالفعلين على
معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو
من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم ايات الوعيد بالمحافظة اولى منه
نقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشية ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح
بعدها فالاية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان
صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر
دونه الاثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على
القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق الم تر الى الذين يزكون انفسهم يعني اهل
الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفالهم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم
ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى
نفسه واثنى عليها بل الله يزكي من يشاء تنبيه على ان تزكيته هي المعتد بها دون تزكية
غيره فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبح وقد ذمهم وزكى المرتضين
من عباده المؤمنين واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا ولا يظلمون بالذم
او العقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي
في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم

انهم

انهم ابناء الله وازكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا او بالافتراء اثما مبينا لا يخفى كونه
مأثما من بين اثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت و
الطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعوهم
اليه محمد صلعم وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى
مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم
اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت
اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه
فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره ويقولون للذين كفروا
لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين امنوا سبيلا اقوم دينا وارشد
اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة
او غيرها ام لهم نصيب من الملك سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو
كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة
وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا فقراء
اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية
وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذن اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز
فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا على النصب ام يحسدون الناس بل
ايحسدون رسول الله واصحابه او العرب او الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكانما
حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما
شر الرذائل وكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما اتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب

والنصرة والاعزاز او جعل النبي الموعود منهم فقد آتينا آل ابراهيم الذين هم اسلاف
محمد وابناء عمه الكتاب والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه
الله مثل ما آتاهم فمنهم فمن اليهود من آمن به بمحمد او بما ذكر من حديث آل ابراهيم
ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابراهيم من آمن به و
منهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين امره فكذا لا يوهن كفر هؤلاء امرك وكفى بجهنم
سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها اي ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من
سعير جهنم ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما
نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى
كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما
قال ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب في الحقيقة
للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه
ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين
ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم
ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة
الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيده كقولهم شمس شامس وليل اليل
ويوم أيوم ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين و
الامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة
وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم

لم امنعه

لم امنعه فلوى علي يده واخذه منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين
فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فامره الله ان
يرده اليه فامر عليا ان يرده اليه ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي
بان السدانة في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اي وان تحكموا
بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم
وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء
الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح
محذوف وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات ان الله كان سميعا
بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون في الامانات يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين في عهد الرسول وبعده
ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعد ما امرهم
بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله
ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منكم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم
انتم واولو الامر منكم في شيء من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد
ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على
طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال
في زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكرو القياس وقالوا انه تعالى
اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى
المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد

الامر بطاعة الله وطاعة الرسول فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب و
مثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله
واليوم الاخر فان الايمان يوجب ذلك اى الرد خير لكم واحسن تاويلا عاقبة او
واحسن تاويلا من تاويلكم بلا رد الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما نزل
اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس رضه
ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي عم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف
ثم انهما احتكما الى رسول الله عم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر
فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله عم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر رضه
للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فاخذ سيفه ثم خرج فضرب
عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت وقال
جبرئيل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت
على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمي بذلك
لفرط طغيانه او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث
انه الحامل اليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا
بعيدا وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على
انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رايت المنافقين يصدون
عنك صدودا هو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السد انه
غير محسوس والسد محسوس ويصدون في موضع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم

ذكره ح

مصيبة

مثل فاعل جاؤك شهاب

مصيبة كقتل عمر المنافق او النقمة من الله بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم
الرضا بحكمك ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على
يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا
بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل
جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى
صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق
فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم اى عن عقابهم لمصلحة
في استبقائهم او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم
في انفسهم اى في معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح في السر انجع قولا بليغا
يبلغ منهم ويؤثر فيهم امرهم بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب
والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم
مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ في الاصل
هو الذي يطابق مدلوله المقصود به وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله
في طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي لم يرض
بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول
لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك
كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق او التحاكم الى
الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا
الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت

بسبب اذنه

كان ح

انتصبت منه

لهم شفيعاً وانما عدل عن الخطاب تفخيماً لشأنه وتنبيهاً على ان من حق الرسول ان يقبل
اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا
الله تواباً رحيماً لعلموه قابلاً لتوبتهم متفضلاً عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف
كان تواباً حالاً ورحيماً بدلاً منه او حالاً من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة
لتأكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضاً في الاثبات كقوله تعالى
لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر
لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ضيقاً مما حكمت به او من
حكمك او شكاً من اجله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا تسليماً وينقادوا لك انقياداً
بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل في الجهاد
او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا او اخرجوا
من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرأ ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر
النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا
تنسوا الفضل وقرأ عاصم وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما
مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم
لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب
ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري الفعلين وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على
الا فعلاً قليلاً ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول وطاعته طوعاً
ورغبة لكان خيراً لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتاً في دينهم لانه اشد لتحصيل
العلم ونفي الشك او تثبيتاً لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والآية ايضاً مما نزلت في

ولعل انا لو شددنا التكليف على الناس نحو ان نأمرهم بان يقتلوا انفسهم بطريقة التوبة كما امرنا بني اسرائيل بذلك او بان يخرجوا من ديارهم كما امرنا بني اسرائيل بالخروج من مصر وكتبنا على المهاجرين بان يخرجوا من ديارهم لصعب ذلك عليهم ولما فعله الا قليل ومع ذلك يظهر كفرهم وعنادهم فلم نفعل ذلك رحمة منا على عبادنا وما كتبنا عليهم الا الطاعة للرسول والرضا بحكمه فهو امر سهل فليعتقدوه بالاخلاص وليتركوا التمرد والعناد حتى ينالوا الخير الدارين

شان

شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها انزلتا في حاطب بن ابي بلتعة خاصم
زبيراً في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم احبس الماء
الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك واذاً لآتيناهم من لدنا اجراً عظيماً جواب
سؤال مقدر كأنه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذاً لو تثبتوا لآتيناهم لان اذن
جواب وجزاء ولهديناهم صراطاً مستقيماً يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم
ابواب الغيب قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم
الخلائق واعظمهم قدراً من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان
للذين او حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة
الناس على ان لا يتأخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون
حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر
في الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على
الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة
والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا
اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله
وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال
والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء
قريباً وهم الانبياء او لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون
اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله

في ارضه

وإما أن يكون بأمارات وإقناعات يطمئن إليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن
أولئك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز أو الحال ولم يجمع لأنه يقال للواحد و
الجمع كالصديق أو لأنه أريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي أن ثوبان مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم أتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال ما بي
من وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك
ثم ذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين وإن أدخلت
الجنة كنت في منزل دون منزلك وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك أبدا فنزلت ذلك
إشارة إلى ما للمطيعين من الأجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم أو إلى فضل هؤلاء
المنعم عليهم ومزيتهم الفضل صفته من الله خبره أو الفضل خبره ومن الله حال والعامل
فيه معنى الإشارة وكفى بالله عليما بجزاء من أطاعه أو بمقادير الفضل واستحقاق أهله
يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للأعداء والحذر والحذر كالأثر
والإثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا إلى الجهاد ثبات جماعات
متفرقة جمع ثبة من ثبت على فلان تثبيتا إذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع أيضا
على ثبين جبرا لما حذف من عجزه أو انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والآية
وإن نزلت في الحرب لكن يقتضي إطلاق لفظها وجوب المبادرة إلى الخيرات كلها
كيفما أمكن قبل الفوات وإن منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله المؤمنين
منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ
بمعنى أبطأ وهو لازم أو ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن أبي ناسا يوم أحد من بطأ
منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الأولى للابتداء دخلت اسم إن للفصل بالخبر

نحل ينحل من باب خضع يخضع مختار

قوله ذلك الذي اخافه ان لا اراك ... شهاب

قوله اشارة الى ما ... يعني انه اشارة الى جميع ما قبل او الى ما يليه شهاب

والتبطئة اما لانفسهم بالتخلف او لغيرهم كما فعل ابن ابي ... شهاب

والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع إليه ما استكن في ليبطئن
والتقدير وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال
أي المبطئ قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما أصابهم ولئن أصابكم
فضل من الله كفتح وغنيمة ليقولن أكده تنبيها على فرط تحسره وقرئ بضم اللام
إعادة للضمير على معنى من كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله
وهو يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وأن
قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وإنما يريد أن يكون معكم لمجرد المال
أو حال من الضمير في ليقولن أو داخل في المقول أي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين
وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كأن لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن
بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل إنه متصل بالجملة الأولى وهو ضعيف
إذ لا يفصل أبعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة من الثقيلة
واسمه ضمير الشأن وهو محذوف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن
يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف أي يا قوم
وقيل يا أطلق للتنبيه على الاتساع فأفوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على
تقدير فأنا أفوز في ذلك الوقت أو العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين
يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة أي الذين يبيعونها بها والمعنى إن بطأ هؤلاء
عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون أنفسهم في طلب الآخرة أو الذين يشترونها
ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل
في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما وعد له الأجر العظيم غلب أو غلب

فلا يقدر منادى محذوف شيخزاده

ترغيباً في القتال وتكذيباً لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيداً وانما قال
فيقتل او يغلب تنبيهاً على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة
او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز
الدين وما لكم مبتدأ وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف
من معنى الفعل والمستضعفين عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم
عن الاسر وصونهم عن العدو او على سبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين
ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين
من ايدي الكفار اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين
وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين
وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيهاً على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم
الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال
الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين يقولون
ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا
من لدنك نصيراً فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل
لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم
استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة و
الظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا جرى على غير
من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله
فيما يصلون به الى الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى

الشيطان

الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا
اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفاً اي ان كيده للمؤمنين
بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم
على اضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي عن القتال واقيموا
الصلوة وآتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم
يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل
عليهم بأسه واذا للمفاجأة جواب لما وفريق مبتدأ منهم صفته يخشون خبره وكخشية الله
من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون على معنى
يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية عطف عليه ان جعلته حالاً
وان جعلته مصدراً فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل
هو معطوف على اسم الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم
الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية
مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت
علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال حذراً
عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع
الدنيا قليل سريع التقضي والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً ولا تنقصون
ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من آجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة
والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت قرئ بالرفع على
حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدأ واينما متصل

بلا يظلمون و لو كنتم في بروج مشيدة في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل
بيوت على اطراف القصر من تبرجت المرأة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفا لها
بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان
تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك
كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية يقعان على النعمة والبلية وهما
المراد في الاية اي ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط
اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشومك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة
نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله يبسط ويقبض حسب ارادته
فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فقهوه
وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من الله او حديثا ما كالبهائم لا افهام لهم او حادثا
من صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله ما اصابك
يا انسان من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة
لا يكافي نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عليه السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة
الله ولا انت ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها
لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا
غير ان الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضي الله
عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب
وما يعفو الله اكثر والايتان كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك
للناس رسولا حال قصد بها التأكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها

اي رسولا

اي رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على
المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب
المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ والامر هو الله روي
انه عليه السلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد
قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت
ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم
عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم
بامر طاعة اي امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة
على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي تقول
اي زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما
من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبني لانه يسوى
ويدبر وقرأ ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج والله يكتب
ما يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة او في جملة ما يوحى اليك لنطلعك على اسرارهم فاعرض
عنهم وقلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله في الامور كلها سيما في شانهم و
كفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القرآن يتأملون
في معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء ولو كان من عند
غير الله ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض
المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه
يسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض

احكام دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره ههنا
للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الامن او الخوف مما يوجب الامن او الخوف اذاعوا به
افشوه كما يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم
او اخبرهم الرسول بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم
حزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمن الاذاعة معنى التحدث ولو
ردوه ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول والى اولي الامر منهم الى رايه وراي كبار الصحابة
البصراء بالامور او الامراء لعلمه لعلم على اي وجه يذكره الذين يستنبطونه منهم
يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين
فيذيعونها فتعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر ليستخرجون
علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول
ما يحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم
الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به
الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل
او الا اتباعا قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله ان تثبطوا وتركوك وحدك
لا تكلف الا نفسك الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد
وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روي انه عليه السلام دعا الناس
في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو
على احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اي لا نكلفك الا
فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسه لقوله وحرض المؤمنين على القتال

من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح واذا جاءهم امر صح

اذ ما عليك في شانهم الا التحريض عسى الله ان يكف باس الذين كفروا يعني قريشا
وقد فعل بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد باسا من قريش واشد
تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة راعى
بها حق مسلم ودفع بها عنه ضررا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء
لمسلم قال عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك
يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة
سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها في القدر و
كان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر قال وذي ضغن
كففت الضغن عنه وكنت على مساءته مقيتا او شهيدا حافظا واشتقاقه
من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او
ردوها الجمهور على انه في السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو
ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية واما برده مثله
لما روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام
ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته و
قال اخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله
وتلا الاية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه لاقسام المطالب السلامة
عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل او للترديد بين ان يحيي المسلم ببعض التحية
وبين ان يحيي تماما وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة
وقراءة القران وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر

حيّاك الله على الاخبار من الحيوة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في
السلام وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول قديم
للشافعي رحمه الله ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله
لا اله الا هو مبتدأ وخبر او الله مبتدأ والخبر ليجمعنكم الى يوم القيامة اى الله والله
ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيامة او مفضين اليه او في يوم القيامة ولا اله الا هو
اعتراض والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من القبور او للحساب
لا ريب فيه في اليوم او الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله
حديثا انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه
لانه نقص وهو على الله محال فما لكم في المنافقين فئتين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين
فئتين اى فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استاذنوا رسول
الله في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة
حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم
احد او في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى
الوطن او قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم
كقولك ما لك قائما وفي المنافقين حال من فئتين اى متفرقين فيهم او من الضمير
اى فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين وقرئ ركسهم وركّسهم
بالتمام الصادر اذ والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم
للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان
تجعلوه من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودّوا لو تكفرون

كما كفروا

١٩٦

كما كفروا
تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف
على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل
فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتتحقق ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل
الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان الظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم
واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اى جانبوهم
راسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق
استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اى الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم
ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه عليه السلام وادع وقت
خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه
فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد مناة او جاؤكم عطف على الصلة اى او الذين
جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المامورين باخذهم وقتلهم من ترك
المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكانه
قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول
اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون
او استيناف حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم و
حصرات او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو
مدلج جاؤا رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او
يقاتلوا قومهم اى عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم
فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد

فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون
ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم بنو اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا
المدينة واظهروا الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى
الفتنة دعوا الى الكفر او الى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها
عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم
وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم
حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم
سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح
كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له
وليس من شأنه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطأ فانه على عرضة الخطأ ونصبه على
الحال او المفعول له اي لا يقتله في شيء من الاحوال الا حال الخطأ او
لا يقتله لعلة الا للخطأ او على انه صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطأ وقيل
ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ
ما لا يضامه القصد الى الفعل او الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا
او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف
وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت في عياش بن ابي ربيعة
اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش
فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير
الاعتاق والحر كالعتيق الكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به

١٩٧

به لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالرأس مؤمنة
محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها
كسائر المواريث لقول الضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأمرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم تكن فعلى
بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها
صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي عليه السلام كل معروف صدقة وهو متعلق
بعليه او بمسلمة اي تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو
في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو
مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة اي كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم
ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينهم وبينه ولانهم محاربون
وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة
وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية
ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان
لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام
شهرين توبة نصب على المفعول له اي شرع ذلك له توبة من تاب الله عليه اذا قبل
توبته او على المصدر اي وتاب عليكم توبة او حال بحذف مضاف اي فعليه صيام شهرين
ذا توبة من الله صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر في شأنه ومن يقتل
مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما
لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس لا يقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعل المراد به

التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله واني لغفار
لمن تاب ونحوه وهو عند البعض مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه
نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله
فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه ديته ثم حمل على مسلم فقتله ورجع
الى مكة مرتدا او المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة
المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم
وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرأ حمزة و
الكسائي فتثبتوا في الموضعين هنا وفي الحجرات ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام
لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الف اي الاستسلام
والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا
اي مبذولا لك الامان تبتغون عرض الحياة الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع
النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا وهو مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت
فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم
في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت بها دماؤكم واموالكم من غير ان يعلم
مواطأة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في
الدين فتبينوا وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم
ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ
مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان
بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه

روى

روي ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه
فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال
لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في
المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله
وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطاه مغتفر لا يستوي
القاعدون عن الحرب من المؤمنين في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه
غير اولي الضرر بالرفع صفة القاعدون لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه
وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة
للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر
فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله في مجلسه الوحي فوقعت فخذه على
فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين
غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين
من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد
رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين
درجة جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة
نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع
المرة منه او الحال بمعنى ذوي درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله
الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة
العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر

لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على
القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان
ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها
نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا
وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة
والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الآخرة وقيل ارتفاع منزلتهم عند الله
وبالدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون
الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون
من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد
الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما عسى ان يفرط منهم رحيما بما وعد لهم
ان الذين توفاهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع
وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها
فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة
فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا
اي الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين
في الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين
واعلاء كلمته قالوا اي الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا الم تكن ارض الله واسعة
فتهاجروا فيها الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك مأواهم
جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى

الشرط

الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا والعائد محذوف
اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا مصيرهم
او جهنم وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه
وعن النبي صلعم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت
له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما السلام الا المستضعفين من
الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره
والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان
فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا
على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون
حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال منه او من
المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء
السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله
عفوا غفورا ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى
ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا
غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا متحولا من الرغام
وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا
من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله
ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر محذوف اي ثم هو يدركه
وبالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما

الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والآية
نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على
الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه
رسولك فمات واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة
بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عليه السلام
اتم في السفر وان عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله وقالت يا رسول الله قصرت و
اتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة واوجبه ابو حنيفة رحمه الله لقول
عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عائشة رضي الله عنها
اول ما فرضت الصلوة ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فظاهرهما يخالفان
الآية فان صحا فالاول مؤول بانه كالتام في الفضيلة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز
الزيادة فلا حاجة الى تاويل الآية بانهم الفوا الاتمام فكان مظنة لان يخطر
ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفي الجناح عنهم لتطيب انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه
واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي حنيفة
وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف اي شيئا من الصلوة
عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين
كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شرط باعتبار الغالب في ذلك الوقت
ولذلك لم يعتبر مفهومه كما لم يعتبر في قوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا
جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن
وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال

والتعرض

والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة
الخوف بحضرة الرسول لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها
ليأتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة
منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى
تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اي المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى
وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا يعني المصلين فليكونوا اي غير المصلين
من ورائكم يحرسونكم يعني النبي ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب ولتأت
طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام
يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله ببطن النخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة
ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا
صلوتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتأتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية
ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله عليه السلام بذات الرقاع
وقال ابو حنيفة رحمه الله يصلي بالاولى ركعة ثم تذهب هؤلاء وتقف بازاء العدو وتأتي
الاخرى فتصلي معه ركعة ويتم صلوته ثم تعود الى وجه العدو وتأتي الاولى
فتؤدي الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلوتها ثم تعود وتأتي الاخرى فتؤدي
الركعة بقراءة وتتم صلوتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن
بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله والذين تبوؤا
الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون
عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة

وهو بيان لان الاجلهم امروا باخذ الاسلحة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلوة اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فدوموا على الذكر في جميع الاحوال او فاذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيفما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلوة فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها واتوا بها تامة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب في المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها كيفما امكن وقال ابو حنيفة رحمه الله لا يصلي المحارب حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التواني فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى

ولا تهنوا لان تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يألمون علة للنهي عن الوهن لاجله والآية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما باعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس روي ان طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل بما اريك الله بما عرفك واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلثة مفاعيل ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم خصيما للبرآء واستغفر الله مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على براءته وخاصموا عنه ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون من الله وهو احق بان يستحيى ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البرئ والحلف الكاذب

وشهادة الزور وكان الله بما تعملون محيطا لا يفوت عنه شيء ها انتم هؤلاء
مبتدأ وخبر جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع هؤلاء خبرا او صلة
عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا
محاميا يحميهم من عذاب الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه
بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل
الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا
عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه
فلا يتعداه وباله لقوله وان اسأتم فلها وكان الله عليما حكيما فهو عالم بفعله حكيم في
مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة او ما كان عن عمد
ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل بهتانا واثما مبينا
بسبب رمي البريء وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف احدهما
دون مقترف الاخر ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام ما هم عليه بالوحي
والتنبيه للرسول لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق
عليهم بالخلاف والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى نفي تأثيره فيه
وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من
شيء فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم
ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر وانزل الله عليك الكتاب
والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام وكان
فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير في كثير من نجويهم

من متناجيهم لقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة او
معروف على حذف مضاف اي الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة
ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر هنا بالقرض و
اغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات
البين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامر
ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل
فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل
بان يكون لطلب مرضاة الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة
لم يستحق بها من الله اجرا ووصف الاجر بالعظيم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه
من اعراض الدنيا وقرأ حمزة وابو عمرو يؤتيه بالياء ومن يشاقق الرسول يخالفه
من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الاخر من بعد ما تبين له الهدى
ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد
او عمل نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخل بينه وبين ما اختاره
ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم
والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة و
اتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثاني
باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان
المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع
سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت

الكلام فيه في صدرها لانعام المبادي الاحكام ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ
عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراة وما توهمت طرفة
عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله
فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب
والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب
ومنشأ شركهم نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله ان يدعون من دونه الا اناثا
يعني اللات والعزى ومناة ونحوها فان لكل حي صنما يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان
وذلك اما لتانيث اسمائها كما قال وما ذكر فان يسمن فانثى شديد ما الزم نبي لغرة
فانه يعني القراد وهو ما كان صغيرا سمي قرادا فاذا كبر سمي حلمة او لانها كانت جمادات
والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا
الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود
ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد
الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على
التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبيث وخبث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو
جمع وثن كاسد واسد واثنا بهما على قلب الواو لضمتها همزة وان يدعون وان يعبدون
بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها وكان طاعته
في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه

٢٠٣

صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان
وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه اي شيطانا مريدا جامعا
بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا
على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا
اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله ينبغي ان يكون فاعلا غير
منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول
انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا
بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا تستجلب طاعته سوى الضلال
واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية
الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم
فرض له في العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة كطول
الحياة وان لا بعث ولا عقاب ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام يشققونها لتحريم ما احله
الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل
ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه
وصورته ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم و
الوشر واللواط والسحق وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام
واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى
وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة

وللجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقاً او اتاه فعلاً ومن يتخذ الشيطان وليّاً من دون الله بايثاره ما يدعوه اليه على ما امره الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته فقد خسر خسراناً مبيناً اذ ضيّع رأس ماله وبدّل مكانه من الجنة بمكانه من النار يعدهم ما لا ينجزه ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غروراً وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً معدلاً ومهرباً من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدراً فلا يعمل ايضاً فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابداً وعد الله حقاً اي وعده وعداً وحقّ ذلك حقاً فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة التي قبلها وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقاً على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلاً جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيباً للعباد في تحصيله ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم

نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيراً منهم واحسن حالاً ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياماً معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءاً يجز به عاجلاً او آجلاً لما روي انه لما نزلت قال ابو بكر رضي الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه السلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك الاذى قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك ولا يجد له من دون الله وليّاً ولا نصيراً ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها او شيئاً منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفاً بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيهاً على انه لا اعتداد به دونه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون هنا وفي مريم وغافر بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء ومن احسن ديناً ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله لا يعرف لها رباً سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام

المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الاديان وهو حال من المتبع او الملة او ابرهيم
واتخذ الله ابرهيم خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله
وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود
تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر
او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريق او من الخلة بمعنى الخصلة
فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استيناف جيء بها للترغيب في اتباع ملته والايذان
بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي ان ابرهيم عليه السلام بعث الى خليل له
بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يريد لنفسه لفعلت
ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا
منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابرهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت
سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ ابرهيم فاشتم
رائحة الخبز فقال من اين لكم هذا فقالت من خليلك المصري فقال بل هو من عند خليلي الله
عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار
منهما من يشاء وما يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل
السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا
احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها ويستفتونك في
النساء في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبي صلعم فقال
اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال
ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن

والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم الله او ضمير المستكن
في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما في القرآن من قوله
يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد وعطاؤه او استيناف
معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد به
اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم
كانه قيل صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في شانهن والا
فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء
كما تقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ
ييامى على انه ايامى فقلبت همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث
وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون
فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن و
الواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة
في نكاحها جريان العقد في صغرها والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء
والعرب كانوا لا يورثونهم كما لا يورثون النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضا
عطف عليه اي ويفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما
فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينتصب وان تقوموا
باضمار فعل اي ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا
حقوقهم او للقوام بالنصفة في شأنهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما
وعد لمن آثر الخير في ذلك وان امرأة خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها

من الخليل والمرأة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزاً تجافياً عنها وترفعاً عن صحبتها كراهة
لها ومنعاً بأن تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئاً تستميله به وقرأ الكوفيون
ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحاً على المفعول به
وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة الأولى والمفعول بينهما او هو
محذوف وقرئ يصّلحا من اصّلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة وسوء
العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة
من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما
والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس
الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في
حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها
وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق فان الله كان
بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيراً عليماً به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه
عالماً باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة للسبب
مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة
وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول
هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم
فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا
يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي عليه السلام
من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وان تصلحوا

ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل من الزمان فان الله كان غفوراً رحيماً
يغفر لكم ما مضى من حيفكم وان يتفرقا وقرئ وان يتفارقا اي يفارق كل منهما صاحبه يغن
الله كلا منهما عن الآخر ببدل او سلوة من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعاً حكيماً
مقتدراً متقناً في افعاله واحكامه ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه
على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى
ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الآية لتأكيد الامر
بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان تكون ان
مفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض
على ارادة القول اي وقلنا لهم ولكم وان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم
ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك
بقوله وكان الله غنياً عن الخلق وعبادتهم حميداً في ذاته حمد او لم يحمد ولله
ما في السموات وما في الارض كرره ثالثاً للدلالة على كونه غنياً حميداً فان جميع المخلوقات
يدل لحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات
على كونه حميداً وكفى بالله وكيلاً راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما
وما بينهما تقرير له ان يشأ يذهبكم ايها الناس يفنكم ويأت باخرين
ويوجد بدلكم قوماً آخرين مكانكم او خلقاً آخرين مكان الانس
وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديراً بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضاً
تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفره وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من العرب ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم لما روي انه لما نزلت ضرب

رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر عثمان وقال اللهم قوم هذا من كان يريد ثواب
الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما
كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان
من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء او
فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له
الآية وكان الله سميعا بصيرا عارفا بالاغراض فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها الذين
آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته شهداء لله
بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت
الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان للحق سواء كان عليه او على
غيره او الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه او
كل واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة او لا تجوروا
فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما
او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع لما دل
عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله
اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا
من العدل وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل وقرأ نافع وابن كثير
وابو عمرو وعاصم والكسائي باسكان اللام وبعدها واوان الاولى مضمومة والثانية
ساكنة وقرأ حمزة وابن عامر وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا عن ادائها
فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين او

او المنافقين او لمؤمني اهل الكتاب اذ روي ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن
بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فنزلت آمنوا بالله ورسوله
والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك
وداوموا عليه او آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بالسنتكم او آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب و
الرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القرآن والثاني الجنس و
قرأ نافع والكوفيون الذي نزل والذي انزل بفتح النون والهمزة والزاي والباقون
بضم النون والهمزة وكسر الزاي ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر اي ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد
يعود الى طريقه ان الذين آمنوا يعني اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل
ثم آمنوا بعد عوده اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه السلام او قوما
تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر
لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان
فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل
منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله
مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان الآية في المنافقين
وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على
النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان انذر تهكما بهم الذين يتخذون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين
او هم الذين ايبتغون عندهم العزة ايتعززون بموالاتهم فان العزة لله جميعا

لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
ولا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن وقرأ
غير عاصم نُزّل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم آيات الله وهي المخففة والمعنى
انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي
عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء
الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار
لما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا الآية والضمير في
معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم في الاثم
لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك او لان الذين
يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه ان الله
جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم
واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم
لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته
الى مبني كقوله مثل ما انكم تنطقون الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع
امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع او
منصوب او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا
فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا ألم نستحوذ عليكم اي قالوا
للكفرة ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس
ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل ونمنعكم من المؤمنين بان خذلناهم

بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمي ظفر المسلمين
فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال فالله
يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ او في الدنيا
والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شرى الكافر المسلم والحنفية على حصول
البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضي
العدة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه في اول سورة البقرة
واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كَسالى
بالفتح وهما جمعا كسلان يراءون الناس ليخالوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى
التفعيل كنعّم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه
ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يراه وهو اقل احواله او
لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل
الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال
من واو يراءون كقوله ولا يذكرون اي يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون
او منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل
الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم
او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال الغير المعجمة بمعنى
أخذوا تارة في دبرة وتارة في دبرة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين
الى المؤمنين ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن
تجد له سبيلا الى الحق والصواب ونظيره قوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنيع المنافقين و
دينهم فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم
دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
هو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام
وخداعا للمسلمين واما قوله عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم
من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشديد والتغليظ
وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون
الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم
منه الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق و
اعتصموا بالله وثقوا به او تمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه
فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما
فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم أيتشفى به غيظا او يدفع به ضرا او
يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره
عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا زال بالايمان والشكر ونقى منه نفسه تخلص من تبعته
وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى
يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم وايمانكم لا يحب الله
الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي ان رجلا
ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل ... عليما بالظالم
ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو

المقصود وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله فان الله كان عفوا قديرا
اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال القدرة على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث للمظلوم على
العفو بعدما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون بالله ورسله
ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ويقولون نؤمن
ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم ويريدون ان يتخذوا بين ذلك
سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان
بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر
بالكل في الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال اولئك هم الكافرون هم الكاملون
في الكفر لا عبرة بايمانهم هذا حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين
كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله
ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم بان يؤمنوا بكلهم وانما دخل بين على احد وهو
يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي اولئك سوف يؤتيهم اجورهم
الموعودة لهم وتصديره بسوف لتوكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان
تأخر وقرأ حفص عن عاصم ويعقوب بالياء على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط
منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء
نزلت في احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى
وقيل كتابا محررا بخط سماوي على الواح كما كانت التوراة او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا
الينا باعياننا بانك رسول فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت
ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر منه وهذا السؤال وان كان من آبائهم اسند اليهم

لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ في ذلك وان
ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة عيانا اي ارناه نره جهرة او
مجاهرين معاينين له فاخذتهم الصاعقة نار جاءت من السماء فاهلكتهم بظلمهم
وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي
امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية
التي اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التورية اذ لم تأتهم
بعد فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم
بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب
ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى والطور مظل عليهم
وقلنا لهم لا تعدوا في السبت على لسان داود ويحتمل ان يراد على لسان موسى
حين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في
زمن داود وقرأ ورش عن نافع لا تعدوا على ان اصله لا تعتدوا فادغم التاء
في الدال وقرأ قالون باخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالاسكان
واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم
اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف
ويجوز ان يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا
بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون
من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله بالقرآن او بما في
كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم او في اكنة مما تدعونا اليه

بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها التوفيق للتدبر في
الآيات والتذكر بالموعظة فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا
لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او
على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله
ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام
وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن
مريم رسول الله اي بزعمه ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون وان يكون استئنافا من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح
وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم
فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى
السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام
رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافقه فخرج ليدل عليه
فالقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي
لا تستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جرأتهم على الله
وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات الباهرة وتبجحهم به لا لقولهم هذا على حسب
حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه
بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع
بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم مقتولا وان الذين
اختلفوا فيه في شأن عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض

وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده فالقى الله عليه شبهه

اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين
صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان
الله يرفعني الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه
لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما
يقابل العلم ولذلك اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي لكنهم
يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس
جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا اي قتلا يقينا كما زعموه هم
انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله كذلك تخبر عنها العالمات
بها وقد قتلت بعلمي ذكم يقينا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه
بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده
حكيما فيما دبر لعيسى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي وما من اهل
الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه
الضمير الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى
عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيده
ذلك ان قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد
لهم والتحريض على معاجلة الايمان قبل ان يضطر اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل
الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل جميعا روي انه ينزل
من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة
واحدة وهي ملة الاسلام ويقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم

ويلعب الصبيان

ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه
المسلمون ويدفنونه ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى
بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اي فباي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا
او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا
وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر
الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وآمن لكن الراسخون
في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم او من المهاجرين والانصار
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا والمقيمين الصلوة نصب على المدح
ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اي يؤمنون
بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير في يؤمنون او على انه مبتدا والخبر
اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفعه لاحد الاوجه المذكورة والمؤمنون بالله و
اليوم الآخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود
بالآية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح وقرئ
حمزة سيؤتيهم بالياء انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب
لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان
امره في الوحي كسائر الانبياء واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين
عليهم تعظيما لهم فان ابراهيم اول اولي العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين اشرف الانبياء

ومشايخهم وآتينا داود زبورا وقرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا
نصب بمضمر دل عليه أوحينا إليك كأرسلنا أو فسره قد قصصناهم عليك من قبل أي من قبل
هذه السورة أو اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب
الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا عليه السلام بأن أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم
رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح أو بإضمار أرسلنا أو على الحال ويكون رسلا موطئا
لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا
أرسلت إلينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على أن بعثة الأنبياء إلى الناس
ضرورة لقصور الكل عن إدراك جزئيات المصالح والأكثر عن إدراك كلياتها واللام متعلقة
بأرسلنا أو بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس أو على الله والآخر حال
ولا يجوز تعلقه بحجة لأنه مصدر وبعد ظرف لها أو صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما
فيما دبر من أمر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والإعجاز لكن الله يشهد استدراك
عن مفهوم ما قبله فكأنه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله
إنا أوحينا إليك قال إنهم لا يشهدون ولكن الله يشهد أو أنهم أنكروه ولكن الله يثبته ويقرره
بما أنزل إليك من القرآن المعجز الدال على نبوتك روي أنه لما نزل إنا أوحينا إليك
قالوا ما نشهد لك فنزلت أنزله بعلمه أنزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتأليفه
على نظم يعجز عنه كل بليغ أو بحال من يستعد للنبوة ويستأهل نزول الكتاب عليه أو بعلمه
الذي يحتاج إليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الأولين حال
من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة يشهدون
أيضا بنبوتك وفيه تنبيه على أنهم يودون أن يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني

عن النظر والتأمل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للإنسان إلى العلم بأمثال
ذلك سوى الفكر والنظر فلو أتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها
كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها وكفى بالله شهيدا أي وكفى بما أقام من الحجج على صحة نبوتك
عن الاستشهاد بغيره إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا
لأنهم جمعوا بين الضلال والإضلال ولأن المضل يكون أعرق في الضلال وأبعد عن
الانقلاع عنه إن الذين كفروا وظلموا محمدا بإنكار نبوته أو الناس بصدهم عما فيه
صلاحهم وخلاصهم أو بأعم من ذلك وعليه والآية تدل على أن الكفار مخاطبون
بالفروع إذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم
طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على أن من
مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله
يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم
لما قرر أمر النبوة وبين الطريق الموصل إلى العلم بها ووعيد من أنكرها خاطب الناس
عامة بالدعوة وإلزام الحجة والوعد بالإجابة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا لكم أي
إيمانا خيرا لكم مما أنتم عليه وقيل تقديره يكن الإيمان خيرا لكم ومنعه البصريون لأن
كان لا يحذف مع اسمه إلا فيما لا بد منه ولأنه يؤدي إلى حذف الشرط وجوابه وإن
تكفروا فإن لله ما في السماوات والأرض يعني وإن تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر
بكفركم كما لا ينتفع بإيمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في السماوات والأرض وهو يعم
ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما بأحوالهم حكيما فيما دبر لهم
يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى عليه السلام حتى

ورموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى
خاصة فانه اوفق لقوله ولا تقولوا على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة
والولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها
وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل
والمادة له وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات او القلوب فآمنوا بالله ورسله
ولا تقولوا ثلثة اي الآلهة ثلثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أأنت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلثة ان صح انهم يقولون
الله ثلثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم
وبروح القدس الحيوة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه لما سبق انما الله اله واحد
اي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد اي اسبحه تسبيحا من
ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه فناء له ما في السموات
وما في الارض ملكا وخلقا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه
على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء
كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه لن يستنكف المسيح لن يأنف من نكفت الدمع
اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا له فان
عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره روي ان وفد نجران
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء
اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة
المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا واحتج به

واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية
وذلك يقتضي ان يكون المعطوف عليه اعلى درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على
عدم استنكافه وجوابه ان الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم
اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك
اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين
من الملائكة وهم الكروبيون الذين حول العرش او من اعلى منهم رتبة من الملائكة على
المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه
ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر ويترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف
ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق
فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم
ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون
لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام
وكانه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم
والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم
وانزلنا اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن اي جاءكم دلائل العقل
وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او رسول الله والنور القرآن
فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه ثواب قدره بازاء ايمانه
وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب عليه وفضل احسان زائد عليه ويهديهم اليه
الى الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق

في الآخرة يستفتونك أي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روي أن جابر بن عبد الله
كان مريضاً فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت و
هي آخر ما نزل في الأحكام قل الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها في أول السورة إن
امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس
له ولد صفة له أو حال من المستكن في هلك والواو في وله يحتمل الحال والعطف والمراد
بالأخت الأخت من الأبوين أو الأب لأنه جعل أخوها عصبة وابن الأم لا يكون عصبة
والولد على ظاهره فإن الأخت وإن ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها
لا ترث النصف وهو يرثها أي والمرء يرث إن كان الأمر بالعكس إن لم يكن لها
ولد ذكراً كان أو أنثى إن أريد بيرثها يرث جميع مالها وإلا فالمراد به الذكر إذ البنت
لا تحجب الأخ والآية كما لم تدل على سقوط الإخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم
وقد دلت السنة على أنهم لا يرثون مع الأب وكذا مفهوم قوله الله يفتيكم في الكلالة إن
فسرت بالميت فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالأخوة وتثنيته
محمولة على المعنى وفائدة الإخبار عنه باثنتين التنبيه على أن الحكم باعتبار العدد دون
الصغر والكبر وغيرهما وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الأنثيين أصله
وإن كانوا إخوة وأخوات فغلب المذكر يبين الله لكم أن تضلوا أي يبين لكم ضلالكم
الذي من شأنكم إذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه أو يبين لكم الحق
والصواب كراهة أن تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين والله بكل شيء
عليم فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء
فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثاً وأعطي من الأجر كمن اشترى محرراً

وبرئ

وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم **سورة المائدة**

مدنية وهي مائة وثلاث وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الإيفاء
والعقد العهد الموثق قال الحطيئة قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم شدوا العناج
وشدوا فوقه الكربا وأصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود
ما يعم العقود التي عقدها الله على عباده وألزمها إياهم من التكاليف وما يعقدون
بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوهما مما يجب الوفاء به أو يحسن إن حملنا
الأمر على المشترك بين الوجوب والندب أحلت لكم بهيمة الأنعام تفصيل للعقود
والبهيمة من الأنعام كل حي لا يميز وقيل كل ذات أربع وإضافتها إلى الأنعام للبيان
كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الأنعام وهي الأزواج الثمانية وألحق بها الظباء
وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الأنعام في الاجترار وعدم
الأنياب وإضافتها إلى الأنعام لملابسة الشبه إلا ما يتلى عليكم إلا محرم ما يتلى عليكم
كقوله حرمت عليكم الميتة أو إلا ما يتلى عليكم تحريمه غير محلي الصيد حال من الضمير في لكم وقيل
من واو أوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول و
أنتم حرم حال مما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم إن الله يحكم ما يريد من
تحليل وتحريم يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة
وهي اسم ما أشعر أي جعل شعاراً سمي به أعمال الحج ومواقفه لأنها علامات الحج وأعلام
النسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله أي دينه وقيل فرائضه التي
حدها للعباد ولا الشهر الحرام بالقتال فيه أو بالنسيء ولا الهدي ما أهدي إلى الكعبة

جمع هدية كجدي في جمع جدية السرج ولا القلائد اي ذوات القلائد من الهدي وعطفها
على الهدي للاختصاص فانها اشرف الهدي او القلائد انفسها والنهي عن احلالها
مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع
قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل او لحاء شجر او غيرهما ليعلم انه هدي فلا يتعرض له ولا آمين
البيت الحرام قاصدين لزيارته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى
عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل
الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل
معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روي ان الآية نزلت
عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطم بن شريح
بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ تبتغون
على خطاب المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام
ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتي بعد الحظر على الاباحة
مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ احللتم يقال
حل المحرم واحل ولا يجرمنكم لا يحملنكم او لا يكسبنكم شنآن قوم شدة بغضهم وعداوتهم
وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرأ ابن عامر واسماعيل عن نافع وابن عياش
عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان
في النعت اكثر ان صدوكم عن المسجد الحرام لان صدوكم عام الحديبية وقرأ ابن كثير
وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام
ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء

جعله منقولا من المتعدي الى مفعول الى المتعدي الى مفعولين وتعاونوا على البر والتقوى
على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومخالفة الهوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية والدم اي الدم المسفوح
لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها ولحم الخنزير
وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه
والمنخنقة التي ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو خشب او حجر حتى تموت من وقذته
اذا ضربته والمتردية التي تردت من علو او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى
فماتت والتاء فيها للنقل وما اكل السبع اي وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان
جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه
حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع
لقطع الحلقوم والمريء بمحدد وما ذبح على النصب النصب واحد الانصاب وهي احجار
كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام
وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد
نصاب وان تستقسموا بالازلام اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم
اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الآخر
نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه
وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم
بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام
زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في

علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد بربي امر الله وجهالة
وشرك هذا ان اريد به الصنم او الميسر لحم او الى تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به
يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها
وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم
اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه فلا
تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم
بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على
اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق او باكمال
الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام اخترته لكم دينا
من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما
اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل
والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في
مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف اليه بان يأكلها تلذذا او مجاوزا
حد الرخصة لقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه باكله يسألونك
ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وانما
قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين شائع في
امثاله والمسؤول ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سألوا عما احل لهم
قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات
العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات

ان جعل

ان جعل ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا
والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد
والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب يكون اكثر فيه
وآثر او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه
على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استئناف مما علمكم الله
من الحيل وطرق التأديب فان العلم بها الهام من الله او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه
او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه
ويمسك عليه الصيد ولا يأكل منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم يأكل منه لقوله
عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر
الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير لان تأديبها الى هذا الحد متعذر وقال
آخرون لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله
او لما امسكن يعني سموا عليه اذا ادركتم ذكاته واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب
فيؤاخذكم بما جل ودق اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم
يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى
علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر
ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحقوا بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة
اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم
وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات الحرائر او العفائف
وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم

وان كن حربيات وقال ابن عباس لا يحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن
وتقييد الحل بايتائها لتأكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها
محصنين اعفاء بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان مسرين
به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله
وهو في الآخرة من الخاسرين يريد بالايمان شرائع الاسلام وبالكفر بها انكارها والامتناع
عنه يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة اي اذا اردتم القيام كقوله فاذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد
العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة
لان التوجه الى الشيء والقيام اليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم
الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روي انه عليه السلام صلى الخمس بوضوء واحد
يوم الفتح فقال عمر رضي الله عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به
التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول
الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه السلام المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها
وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك
وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله
ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان
كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل
الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليها وانما يعلم
من خارج ولم يكن في الآية وكان الايدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل

لك

وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى
ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب
ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل
للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل
على تضمين الفعل معنى الالصاق فكأنه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي
الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف
العلماء في قدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين و
ابو حنيفة مسح ربع الرأس لانه عليه السلام مسح على ناصيته وهو قريب من
الربع ومالك مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن
عامر والكسائي وحفص ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة
وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار
ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله عذاب يوم اليم وحور عين بالجر
في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه
على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل
بينه وبين اخويه ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة
وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم
من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم
وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما
يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي ما يريد الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا

تضييقا عل

لينظفكم

عليكم ولكن يريد ليطهركم لينظفكم أو ليطهركم من الذنوب فإن الوضوء تكفير للذنوب
أو ليطهركم بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف
واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله أن يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم
في التيمم ولكن يريد أن يطهركم وهو ضعيف لأن أن لا تقدر بعد المزيدة وليتم نعمته
عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لأبدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين أو ليتم
برخصه إنعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته والآية مشتملة على سبعة أمور
كلها مثنى طهارتان أصل وبدل والأصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب
باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وأن آلتهما مائع وجامد
وموجبهما حدث أصغر أو أكبر وأن المبيح للعدول إلى البدل مرض أو سفر وأن الموعود
عليهما تطهير الذنوب وإتمام النعمة وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا يعني الميثاق
الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر
والمنشط والمكره أو ميثاق ليلة العقبة أو بيعة الرضوان واتقوا الله في إنساء نعمه و
نقض ميثاقه إن الله عليم بذات الصدور أي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات أعمالكم
يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا
لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا
عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم
اعدلوا هو أقرب للتقوى أي العدل أقرب للتقوى صرح لهم بالأمر بالعدل وبين أنه بمكان
من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين أنه مقتضى الهوى وإذا كان هذا العدل مع الكفار
فما ظنك بالعدل مع المؤمنين واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا

واذكروا نعمة الله عليكم بالإسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره

الحكم إما لاختلاف السبب كما قيل إن الأولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود أو لمزيد
الاهتمام بالعدل والمبالغة في إطفاء ثائرة الغيظ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة وأجر عظيم إنما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فإنه استئناف
يبينه وقيل الجملة في موقع المفعول فإن الوعد ضرب من القول وكأنه قال وعدهم
هذا القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم هذا من عادته
أن يتبع حال أحد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين
وتطييب لقلوبهم يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم روي أن المشركين رأوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعسفان قاموا إلى الظهر معا فلما صلوا ندموا
ألا كانوا أكبوا عليهم وهموا أن يوقعوا بهم إذا قاموا إلى العصر فرد الله كيدهم بأن أنزل
صلاة الخوف والآية إشارة إلى ذلك وقيل إشارة إلى ما روي أنه عليه السلام أتى قريظة
ومعه الخلفاء الأربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري يحسبهما مشركين
فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه وهموا بقتله فعمد
عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده فنزل جبريل فأخبره فخرج وقيل
نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء أعرابي فسل سيفه
فقال من يمنعك مني فقال الله فأسقطه جبريل من يده فأخذه الرسول فقال من يمنعك مني
فقال لا أحد أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فنزلت إذ هم قوم أن يبسطوا
إليكم أيديهم بالقتل والإهلاك يقال بسط إليه يده إذا بطش به وبسط إليه لسانه إذا شتمه
فكف أيديهم عنكم منعها أن تمد إليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون فإنه الكافي لإيصال الخير ودفع الشر ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل

وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه وينفش عنها او كفيلا
يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر
امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها
لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى عليه السلام ان
ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم
النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم
ان يحدثوا قومهم فراوا اجراما عظيمة وباسا شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم
الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وقال
الله اني معكم بالنصر لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم
نصرتموهم وقويتموهم واصل التعزير الذب ومنه التعزير واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق
في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول
عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار
فمن كفر بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء
السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له
شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا
عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الآيات والنذر وقرا حمزة والكسائي قسية
وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى رديئة من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا
من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين
يحرفون الكلم عن مواضعه استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله

والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير لهم فيه ونسوا
حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التوراة او من اتباع محمد عليه السلام والمعنى انهم حرفوا
التوراة وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشؤمه
اشياء منها عن حفظهم لما روي ان ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية
وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة او فرقة خائنة او خائن والتاء
للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا
منهم لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية
فاعف عنهم واصفح ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق ونسخ
بآية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان
العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى
اخذنا ميثاقهم اي واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره و
من الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا
انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا من غري بالشيء
اذا لصق به بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة بين فرق النصارى وهم نسطورية
ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون
بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس قد
جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد وآية الرجم
في التوراة وبشارة عيسى باحمد في الانجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به
اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين

يعني القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور
محمدا صلى الله عليه وسلم يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما في حكم الواحد من اتبع
رضوانه من اتبع رضاه بالايمان منهم سبل السلام طرق السلامة من العذاب او سبل الله
ويخرجهم من الظلمات الى النور من انواع الكفر الى الاسلام باذنه بارادته او
بتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق الى الله ومؤد اليه لا محالة
لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح
به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح
فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك من الله شيئا
فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في
الارض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور ومقهور قابل للفناء
كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات والارض وما بينهما
يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ازاح ما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى
قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما
بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه
اما من ذكر وحده كحواء او من انثى وحدها كعيسى او منهما كخلق سائر الناس وقالت اليهود
والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن
الزبير الخبيبون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان
في سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان
من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ

واعترفتم

واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق من جملة من خلقه الله يغفر
لمن يشاء وهم من آمن به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم
معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليهم ولله ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء
في كونه خلقا وملكا واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل
الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم
ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى ويبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال اي
جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور
من الارسال وانقطاع من الوحي او بمبين حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا
من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير
متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على
الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة
سنة والف نبي وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام كان بينهما
ستمائة او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد
من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست
آثار الوحي وكانوا احوج ما يكونون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث
في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم
الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين
في ايدي القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا

وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى
ونحوها ... وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور
وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها
لكم او كتب في اللوح انها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعدما عصوا
فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل
لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف
بنا الى مصر او لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا خاسرين
ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان
فيها قوما جبارين متغلبين لا يتأتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره
وهو الذي يجبر الناس على ما يريده وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون
اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله
ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني
اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له
انه قرئ من الذين يُخافون بالضم اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة
اي من الذين يُخوَّفون من الله بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبت
وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم
في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم في
المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك

اخبار

من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او مما علما من عادته تعالى في نصرة رسله وما عهدا
من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به مصدقين
لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد ما داموا
فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون قالوا ذلك
استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك قال
رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم
ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه
لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخي من يواخيني في الدين
فيدخل الرجلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في لا
املك او على ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي فافرق بيننا
وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقونه او بالتبعيد
بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها
ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة
فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك
ما روي ان موسى سار بعد بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام فيها ما شاء
الله ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان
الله امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل
واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد
قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة

ابلادهم مع كانهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء
فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل
فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر على ان
موسى وهرون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما
وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلاثة
اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع فلا تأس على القوم الفاسقين
فلا تحزن لموتهم او لما اصابهم فيه من الويلات فانهم احقاء بذلك لفسقهم واتل
عليهم نبأ ابني آدم قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهما
توأمة الآخر فسخط منه قابيل لان توأمته كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا
فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل
سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني آدم من صلبه وانهما رجلان من بني
اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل بالحق صفة مصدر محذوف اي تلاوة
ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبأ اي ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب
الاولين اذ قربا قربانا ظرف لنبأ او حال منه او بدل على حذف مضاف اي اتل عليهم
نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من ذبيحة او غيرها كما ان
الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ
قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردأ قمح عنده وهابيل
صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر لانه سخط حكم
الله ولم يخلص النية في قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين في جوابه اي انما

وقصد الى اخس ما عنده قال لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه

انت

انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد
ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا
لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق
لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب
العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله
لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه السلام كن عبد الله المقتول ولا
تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل
الشنيع رأسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء اني اريد
ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين تعليل ثان للامتناع
عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك
يدي واثمك ببسطك يدك الي كقوله عليه السلام المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم
وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما في موضع الحال
اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده
بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد بالذات
ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة
عقاب العاصي جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلته له ووسعته من طاع
له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كأنه
دعاها الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله
فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل
وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم

ابن عباس لما قتله ولد آدم ... اشتاك الشجر وحمضت الفواكه وقال وقد حدث في الارض حدث فكان قتل ولده ... فقال آدم
شعرا فقد كذب ان ... والانبياء ... سواء ... فاخذ يعرب بن قحطان ... شعرا
تغيرت البلاد ومن عليها • فوجه الارض مغبر قبيح • تغير كل ذي طعم ولون • وقل بشاشة الوجه المليح
تغير كله

فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه روي انه لما قتله
تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا
فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه
لله او للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يريه والمراد بسوءة اخيه
جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتى كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل
من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان
اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري
عطف على اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ
بالسكون على فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين على
قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذة الغراب
له واسوداد لونه وتبري ابويه منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن اخيه
فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ منه ومكث بعد
ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله من اجل ذلك كتبنا على بني
اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في
تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اي من ان جررته اي جنيته ثم اتسع فيه
فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب وانشاؤه
من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد
في الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا من حيث
انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد
والجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا

اي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة
فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب
ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات
ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد
العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة تاكيدا
للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض بالقتل ولا
يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال
في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون
جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد هنا قطع الطريق وقيل
المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض فسادا اي مفسدين
ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون
في الارض فسادا ان يقتلوا اي قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا
اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب او
يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم
اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض من بلد الى بلد بحيث لا
يتمكنوا من القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة رحمه الله النفي
بالحبس واو في الآية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات
في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الآخرة عذاب عظيم

لنظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله
ويدل عليه قوله فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط
بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة
لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الآية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك
تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه
الوسيلة اى ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات و
ترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة
وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى
الله والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف الاموال
جميعا ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيامة واللام
متعلقة بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير
في به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله عوان بين ذلك او
لان الواو في ومثله بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والجملة تمثيل
للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح بالمقصود
منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب
مقيم وقرئ يُخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة
والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم
السارق والسارقة اى حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنها

معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان
الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتأويل والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما توجب القطع
اذا كانت من حرز والمأخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه السلام القطع في ربع دينار فصاعدا
وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح
والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود رض عنهما ايمانهما ولذلك ساغ
وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه
اسم تمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان القطع من المنكب والجمهور على انه الرسغ
لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول
له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد
ظلمه اى سرقته واصلح امره بالتقصي عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان
الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة اما القطع
فلا يسقطها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات
والارض الخطاب للنبي او لكل واحد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل
شئ قدير قدم التعذيب على المغفرة اتيانا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب
مقدم او لان المراد به القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر اى صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا اى في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة
من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اى من المنافقين والباء متعلقة
بقالوا لا بآمنا والواو يحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين
قالوا سماعون للكذب خبر مبتدأ محذوف اى هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون

ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اي ومن اليهود قوم سماعون واللام في للكذب
اما مزيدة للتأكيد او لتضمين السماع معنى القبول اي قابلون لما تفتريه الاحبار او للعلة
والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه سماعون لقوم آخرين لم يأتوك
اي لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا او افراطا في البغضاء و
المعنى على الوجهين اي مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم
ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني مكرر للتأكيد اي سماعون ليكذبوا لقوم
آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها
اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده و
الجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استئناف لا موضع له
او في موضع الرفع خبرا لمحذوف اي هم يحرفون وكذلك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اي
ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا
قبول ما افتاكم به روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما
فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقالوا
ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما
بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور
وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على
من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله
بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته فلن تملك له من
الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم

من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم في الدنيا خزي هوان بالجزية و
الخوف من المؤمنين ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود في النار والضمير للذين
هادوا ان استأنفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين سماعون للكذب كرره للتأكيد
اكالون للسحت اي الحرام كالرشى من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وقرأ ابن
كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب في السحت بضمتين وهما لغتان كالعنق
والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم
تخيير لرسول الله صلعم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم
الكتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعي والاصح وجوبه اذا
كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم والآية
ليست في اهل الذمة وعند ابي حنيفة يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا
بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط
بالعدل الذي امر الله به ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شأنهم وكيف يحكمونك
وعندهم التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم
منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق
واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم
فيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن
ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة و
دوداة ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم
وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه

اولا وعما يوافقه ثانيا او بكونه وبرا انا انزلنا التوراة فيها هدى يهدى الى الحق
ونور يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعنى انبياء بنى اسرائيل او موسى
ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الاية تمسك القائل به
الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين وتعريضا
باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا متعلق بانزل
او بيحكم اى يحكمون بها فى تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون
والاحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا
من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف
ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى
منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون نهى للحكام ان يخشوا غير الله
فى حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا باياتى ولا تستبدلوا
باحكامى التى انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا
به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم
بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه
وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلث باعتبار حال انضمت
الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه فى المسلمين لاتصالها بخطابهم
والظالمون فى اليهود والفاسقون فى النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا على اليهود فيها
فى التورية ان النفس بالنفس اى ان النفس تقتل بالنفس والعين بالعين والانف بالانف
والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها الكسائى على انها جمل معطوفة على ان وما فى حيزها

باعتبار

باعتبار المعنى وكانه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين فان الكتبة والقراءة تقعان
على الجمل كالقول او مستانفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع
بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها
معطوف على المستكن فى قوله بالنفس وانما ساغ لانه فى الاصل مفصول عنه بالظرف و
الجار والمجرور حال مبينة للمعنى وقرأ نافع والاذن بالاذن وفى اذنيه باسكان الذال
حيث وقع والجروح قصاص اى ذات قصاص وقراءة الكسائى ايضا بالرفع ووافقه ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين بالقصاص
اى فمن عفا عنه فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجانى يسقط
عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اى فالمتصدق كفارته التى يستحقها بالتصدق له لا
ينقص منها شئ ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون
وقفينا على آثارهم اى واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه
والضمير للنبيون بعيسى ابن مريم مفعول ثان عدى اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين
يديه من التورية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور فى موضع
النصب بالحال ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة
للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا على محذوف او تعليقا به وليحكم اهل
الانجيل بما انزل الله فيه على قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف اى وآتيناه
ليحكم وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقولك امرتك بان قم اى وامرنا بان
يحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به
والاية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام

وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على الحكم بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة
خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اى القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب
من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على
سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول
اى هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله او الحفاظ فى كل عصر فاحكم
بينهم بما انزل الله اى بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف
عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف او حال من فاعله اى لا تتبع
اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة وهى الطريقة
الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحياة الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا
وطريقا واضحا فى الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع
المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار
من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله
اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة
لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى الحكمة الالهية
ام تزيغون عن الحق وتفرطون فى العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة
وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق
ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين
المحق والمبطل والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اى
انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اى انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون

جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل
الله اليك اى ان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اى
احذرهم فتنتهم او مفعول له اى احذرهم مخافة ان يفتنوك روى ان احبار اليهود
قالوا انا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضى
لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلعم فنزلت فان تولوا
عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعنى ذنب التولى
عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود
من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما فى التنكير ونظيره قول لبيد او يرتبط بعض
النفوس حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون فى الكفر معتدون فيه افحكم
الجاهلية يبغون الذى هو الميل والمداهنة فى الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التى هى متابعة
الهوى وقيل نزلت فى بنى قريظة والنضير طلبوا رسول الله ان يحكم بما كان يحكم به اهل
الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره
والراجع محذوف وحذفه فى الصلة فى قوله اهذا الذى بعث الله رسولا واستضعف
فى غيرها وقرئ افحكم الجاهلية اى يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرأ
ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله
حكما لقوم يوقنون اى عندهم واللام للبيان كما فى قوله هيت لك اى هذا الاستفهام
لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون
ان لا احسن حكما من الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا
عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة النهى اى
فانهم متفقون على خلافكم يوالى بعضهم بعضا لاتحادهم فى الدين واجتماعهم على مضادتكم

ومن يتولهم منكم فانه منهم اى ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا التشديد
فى وجوب مجانبتهم كما قال عليه السلام لا تتراءى ناراهما او لان الموالين لهم كانوا منافقين
ان الله لا يهدى القوم الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين
بموالاة اعدائهم فترى الذين فى قلوبهم مرض يعنى ابن ابى واضرابه يسارعون فيهم
اى فى موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة ويعتذرون بانهم يخافون
ان يصيبهم دائرة من دوائر الزمان بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار روى ان عبادة
بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى موالى من اليهود كثيرا عددهم
وانى ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالى الله ورسوله فقال ابن ابى انى
رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالى فنزلت فعسى الله ان ياتى بالفتح لرسول
الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء
او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اى هؤلاء المنافقون على ما
اسروا فى انفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك فى امر الرسول فضلا
عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم ويقول الذين آمنوا بالرفع قرأه عاصم وحمزة والكسائى
على انه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه
جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قرأه ابو عمرو ويعقوب
عطفا على ان ياتى باعتبار المعنى وكانه قال عسى ان ياتى الله بالفتح ويقول الذين آمنوا
او يجعل بدلا من اسم الله داخلا فى اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على
الفتح بمعنى عسى الله ان ياتى بالفتح وبقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان
اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا
من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولونه لليهود فان

المنافقين

فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان
اغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف
الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت
اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما من جملة المقول او من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم
وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم يا ايها الذين آمنوا من يرتد
منكم عن دينه قرأه على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك فى الامام والباقون بالادغام
وهذا من الكائنات التى اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب فى اواخر عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسى
تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمى ليلة قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم من غدها واخبر الرسول عليه السلام فى تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر فى اواخر ربيع الاول
وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلعم من مسيلمة رسول الله الى
محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله
الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
فحاربه ابو بكر بجند المسلمين وقتله وحشى قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد
تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم
وحسن اسلامه وفى عهد ابى بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم
قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة و
بعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس
وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله امرهم على يده وفى امرة عمر غسان قوم

بن الأيهم تنصر وسار الى الشام فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم اليمن
لما روي أنه عليه السلام أشار الى أبي موسى وقال قوم هذا وقيل الفرس لأنه عليه السلام سئل عنهم فضرب
يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان
من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس والراجع
الى من محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله للعباد إرادة
الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة ومحبة العباد له إرادة
طاعته والتحرز عن معاصيه أذلة على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل
لا ذلول فإن جمعه ذلل واستعماله مع على إما لتضمين معنى العطف والحنو او للتنبيه
على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة أعزة على الكافرين
شداد متغلبين عليهم من عزه إذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون في سبيل الله
صفة أخرى لقوم او حال من الضمير في أعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون
بمعنى أنهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه او حال بمعنى أنهم
يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فإنهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة
أوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة
من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ذلك إشارة الى ما تقدم من الأوصاف
فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو أهله
إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من
هو حقيق بها وإنما قال وليكم ولم يقل أولياؤكم للتنبيه على أن الولاية لله على الأصالة
ولرسوله وللمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة صفة للذين

آمنوا

ثم قال لو كان الدين معلقا بالثريا لناله رجل من أبناء فارس شهاب

آمنوا فإنه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويحتمل النصب والرفع على المدح وهم راكعون
متخشعون في صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون أي يؤتون الزكاة
في حال ركوعهم في الصلاة حرصا على الإحسان ومسارعة اليه وإنها نزلت
في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة
على إمامته زاعمين أن المراد بالولي المتولي للأمور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما
ذكرناه مع أن حمل الجمع على الواحد أيضا خلاف الظاهر وإن صح أنه نزل فيه فلعله
جيء بلفظ الجمع ليرغب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على أن
الفعل القليل في الصلاة لا يبطلها وأن صدقة التطوع تسمى زكاة ومن يتول الله
ورسوله والذين آمنوا ومن يتخذهم أولياء فإن حزب الله هم الغالبون أي فإنهم
الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكأنه قيل ومن
يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشأنهم
وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا بمن يوالي غير هؤلاء بأنه حزب الشيطان وأصل الحزب القوم
يجتمعون لأمر حزبهم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا
من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء نزلت في رفاعة بن زيد وسويد
بن الحارث أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فقد رتب النهي عن موالاتهم
على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا إيماء الى العلة وتنبيها على أن من هذا شأنه بعيد عن
الموالاة جدير بالمعاداة والبغضاء وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار على قراءة من جره
وهم أبو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وإن عم أهل الكتاب يطلق على المشركين
خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على أن النهي عن موالاة

مناف لمن على الحق واساسه ان من كان ذا دين اتبع فيه الهوى وخرج عن الصواب كاهل
الكتاب ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله بترك المناهي ان كنتم مؤمنين لان الايمان
حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها
هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلوة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة
روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق
الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير منها شرارة في البيت
فاحرقته واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق والهزء به
والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم
منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهي لغة الا ان آمنا بالله و
ما انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون عطف
على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم
حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم او على ما
او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان آمنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب
باضمار فعل يدل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على
الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال
يمنعكم عن الانصاف والآية خطاب ليهود سألوا رسول الله صلعم عمن يؤمن به فقال
اؤمن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم
دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي من ذلك المنقوم مثوبة عند الله
جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها
على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله

منصب

وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك
من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله او خبر محذوف اي هو من لعنه الله
وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد
وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم
كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة وشيوخهم
خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول
ورفع الطاغوت وعبد بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم
ومن قرأ وعابد الطاغوت او عبد على انه نعت كفطن ويقظ او عبدة او عبد الطاغوت
على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة ومن
قرأ وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة
وكل من اطاع في معصية الله وقرأ حمزة وعبد الطاغوت بضم الباء وجر التاء
والباقون بفتح الباء ونصب التاء اولئك اي الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون
ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل قصد
الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتي التفضيل
الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين في الشرارة والضلال واذا جاؤكم
قالوا آمنا نزلت في يهود نافقوا رسول الله او في عامة المنافقين وقد دخلوا
بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا
منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلي دخلوا و
خرجوا وقد وان دخلتا لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادتا ايضا

وقرئ وعابد الشيطان بدل الطاغوت شهاب

اي محل القرار فيه جهنم

والتسوية بينا دخولهم وخروجهم لعدم انتفاعهم بحضورهم عنده عليه السلام شهاب

لما يخفى من النوع أن أمارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظن ذلك قال والله أعلم بما كانوا يكتمون أي من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا منهم أي من اليهود أو من المنافقين يسارعون في الإثم أي الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الإثم والعدوان الظلم أو مجاوزة الحد في المعاصي وقيل الإثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى إلى غيرهم وأكلهم السحت أي الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فإن لولا إذا دخل على الماضي أفاد التوبيخ وإذا دخل على المستقبل أفاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون أبلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث إن الصنع عمل الإنسان بعد تدرب فيه وتروٍّ وتحري إجادة ولذلك ذم به خواصهم ولأن ترك الحسبة أقبح من مواقعة المعصية لأن النفس تلتذ بها وتميل إليها ولا كذلك ترك الإنكار عليها فكان جديرا بأبلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة أي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه إلى إثبات يد وغل أو بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله

جاد الحمى بسط اليدين بوابل ... شكرت نداه تلاعه ووهاده

ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه إنه فقير لقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد أو بالفقر والمسكنة أو بغل الأيدي حقيقة يغلون أسارى في الدنيا ويسحبون إلى النار في الآخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الأصل كقولك سبني سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه وإثباتا

واثبا

وإثباتا لغاية الجود فإن غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطي للاستدراج وما يعطي للإكرام ينفق كيف يشاء تأكيد لذلك أي هو مختار في إنفاقه يوسع تارة ويضيق أخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولا حالا من اليدين إذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والآية نزلت في فنحاص بن عازوراء فإنه قال ذلك ولما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وأشرك فيه الآخرون لأنهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا أي هم طاغون كافرون ويزدادون بما يسمعون طغيانا وكفرا كما يزداد المريض من تناول الغذاء الصالح للأصحاء وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة فلا يتوافق قلوبهم ولا تتطابق أقوالهم كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله كلما أرادوا حرب الرسول وإثارة شر عليه ردهم الله بأن أوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم أو كلما أرادوا حرب أحد غلبوا فإنهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله عليهم بختنصر ثم أفسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم أفسدوا فسلط عليهم المجوس ثم أفسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة أوقدوا أو صفة نارا ويسعون في الأرض فسادا أي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد وإثارة الحروب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم إلا شرا ولو أن أهل الكتاب آمنوا بمحمد وما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولأدخلناهم جنات النعيم وجعلناهم من الآكلين

تعالى فيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان
جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل
باذاعة ما فيهما من القيام باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم يعني سائر الكتب
المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القرآن لاكلوا
من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات من
السماء والارض او يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة
الثمار فيجتنون ما تهدل من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض بين بذلك ان ما
كف عنهم بشوم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم آمنوا واقاموا ما امروا به
لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة
وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم
ساء ما يعملون اي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اي ما اسوأ عملهم وهو المعاندة
وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل
اليك من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل
وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان
بعضها يضيع ما ادي منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض
او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض
والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر رسالاته
بالجمع وكسر التاء والله يعصمك من الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه
من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم

ما يريدون

مما يريدون بك وعن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان
لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحرس حتى نزلت فاخرج رأسه من قبة أدم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني
الله من الناس وظاهر الآية يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به
مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه
قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل
حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد والاذعان
لحكمه فان الكتب الالهية باسرها آمرة بالايمان بمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له
والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك
من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم
وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة
لك عنهم ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره في سورة
البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز ان
والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله
فاني وقيار بها لغريب وقوله فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض
دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم
ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى
معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت
بما عندك راض والرأي مختلف ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه

بالغرابة من الخبر او عطف عليه فان كان الخبر خبر المبتداء وخبر انّ مقدّر فاما يحتج عليه ما لا
ولا على الخبر فخصاده لعدم التأكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هود وقيل
انّ بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة
وذلك كما جوّز بالياء من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا في محل الرفع بالابتداء
وخبره فلا خوف والجملة خبر انّ او خبر المبتدأ والراجع محذوف اي من آمن منهم او
النصب على البدل من اسم انّ وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر و
الصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت
لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لقد
اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ليذكّروهم وليبيّنوا لهم امر دينهم
كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف
فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف
اي رسول منهم وقيل الجواب محذوف دلّ عليه ذلك وهو استئناف وانما جيء بيقتلون
موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها
انّ ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤوس الآي وحسبوا الّا تكون فتنة
اي وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو
عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب ان لا تكون بالرفع على انّ ان هي المخففة من الثقيلة
واصله انه لا تكون وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم
لتمكنه في قلوبهم وان او لا بما في حيّزها ساد مسدّ مفعوليه فعموا عن الدين او الدلائل
والهدى وصمّوا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اي ثم
تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصمّوا كرّة اخرى وقرئ بالضم فيهما على انّ الله اعماهم واصمّهم

اي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمي واصمّ كثير منهم بدل من الضمير
او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدأ محذوف اي العمي و
الصم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر في مثله
ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا انّ الله
هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربّي وربّكم اي اني عبد
مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله في عبادته او فيما يختص
من الصفات والافعال فقد حرّم الله عليه الجنة يمنع من دخولها كما يمنع المحرّم عليه
من المحرّم فانها دار الموحدين ومأواه النار فانها المعدّة للمشركين وما للظالمين
من انصار اي وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك
وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى وان يكون من كلام الله تنبيها
على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك
بغيرهم لقد كفر الذين قالوا انّ الله ثالث ثلاثة اي احد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية
والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد
وما من اله الا اله واحد وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ
جميع الموجودات الا اله واحد موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة
للاستغراق وان لم ينتهوا عمّا يقولون ولم يوحّدوا ليمسّنّ الذين كفروا منهم عذاب اليم
اي ليمسّنّ الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسّنّ الذين كفروا من النصارى وضع موضع
ليمسّنّهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على انّ العذاب على من دام على الكفر
لم ينقلع عنه ولذلك عقّبه بقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه اي الا يتوبون

بالانتهاء عن تلك العقائد والأقوال الزائغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه
عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم
من فضله إن تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من إصرارهم ما المسيح ابن مريم إلا رسول
قد خلت من قبله الرسل أي ما هو إلا رسول كالرسل قبله خصه الله بآيات كما خصهم
بها فإن أحيا الموتى على يده فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو
أعجب وإن خلقه من غير أب فقد خلق آدم من غير أب وأم وأمه صديقة
كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق أو يصدقن الأنبياء كانا يأكلان الطعام
ويفتقران إليه افتقار الحيوانات بين أولا أقصى ما لهما من الكمالات ودل على أنه
لا يوجب لهما الألوهية لأن كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما
وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي أن يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم
عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع أمثال هذه الأدلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين
لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت
ما بين العجبين أي أن بياننا للآيات عجب وإعراضهم عنها أعجب قل أتعبدون من
دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى وهو وإن ملك ذلك بتمليك الله إياه
لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة
والسعة وإنما قال ما نظرا إلى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه رأسا وتنبيها
على أنه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الألوهية
وإنما قدم الضر لأن التحرز عنه أهم من تحري النفع والله هو السميع العليم بالأقوال
والعقائد فيجازي عليها إن خيرا فخير وإن شرا فشر قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم

غير الحق

غير الحق أي غلوا باطلا فترفعوا عيسى إلى أن تدعوا له الألوهية أو تضعوه فتزعموا
أنه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من
قبل يعني أسلافهم وأئمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد عليه السلام في شريعتهم
وأضلوا كثيرا ممن تابعهم على بدعتهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد
السبيل الذي هو الإسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الأول إشارة
إلى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني إشارة إلى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين
كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم أي لعنهم الله في الزبور و
الإنجيل على لسانهما وقيل أهل أيلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود فمسخهم الله
قردة وأصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فأصبحوا خنازير وكانوا
خمسة آلاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون أي ذلك اللعن الشنيع المقتضي
للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم الله عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه
أي لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا
فعله وتهيؤوا له أو لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع
لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم من أهل
الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله والمؤمنين لبئس
ما قدمت لهم أنفسهم أي لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيامة أن سخط الله عليهم
وفي العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود في
العذاب أو علة الذم والمخصوص محذوف أي لبئس شيئا ذلك لأنه كسبهم السخط والخلود
ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني نبيهم وإن كانت الآية في المنافقين فالمراد نبينا

وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون
خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا
اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى
وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن
اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم ورقة قلوبهم
وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بان منهم
قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا
يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن
الشهوات محمودة وان كانت في كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض
من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم
الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة
او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء
والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق
والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله يقولون ربنا آمنا بذلك او بمحمد
فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء
على الامم يوم القيمة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا
ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي
وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول في مداخلهم او جواب سائل قال لم آمنتم
ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى الفعل اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين

غير مؤمنين بالله

بالله

بالله بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة
وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اي ونحن
نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد
من قولك هذا قول فلان اي معتقده جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور
والآيات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين
فامر جعفرا ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت
في ثلاثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلعم فقرأ عليهم سورة
يس فبكوا وآمنوا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب
بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض
المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات
ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث
على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد
الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به
ولا تعتدوا حدود ما احل الله لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما احل
الله وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصف القيامة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون
واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك

ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبّوا
مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم
حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم
والدسم واتي النساء ومن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا اي وكلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت
عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا
حال من الموصول او العائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق
على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله
باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه
ذهب الشافعي وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة وفي ايمانكم
صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان
بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم
او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف
وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه اي الفعلة
التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا
خلافا للحنفية لقوله عليه السلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه
وليأت الذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده
في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من
الطعام والاهلون كالارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال

الثلث

الثلث كالاثافي جمع اثفية والليالي في جمع ليلة والاراضي في جمع ارض وقيل جمع
اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطي العورة
وقيل ثوب جامع قميص او رداء او ازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة
او كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون لاهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان
لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع تقديره او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة
او اعتاق انسان وشرط الشافعي فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب
احدى الخصال الثلث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام
فكفارته ثلاثة ايام وشرط ابو حنيفة رحمه الله فيه التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات
والشواذ ليست بحجة عندنا اذ لم تثبت كتابا ولم ترو سنة ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم
اذا حلفتم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر
او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك اي مثل
ذلك البيان يبين الله لكم آياته اعلام شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب
شكرها فان مثله يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر
والانصاب والازلام سبق تفسيرها في اول السورة رجس قذر تعاف عنه العقول
افرده لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف او لمضاف محذوف كانه قال انما تعاطي
الخمر والميسر رجس من عمل الشيطان لانه مسبب عن تسويله وتزيينه فاجتنبوه
الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه اعلم انه تعالى اكد
تحريم الخمر والميسر في هذه الآية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام
وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب

وامر بالاجتناب عن عينها وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما
من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع
بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وانما خصهما
باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب
والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر
كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد
عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث
على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف فقال فهل
انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت
واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا عما نهيا عنه او مخالفتهما
فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليكم
فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات اي اتقوا المحرم و
ثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم كالخمر بعد وآمنوا بتحريمه
ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا
بها روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا
وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات
الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه
وبينه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة

الى

الى ما قال عليه السلام في تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبدأ والوسط والمنتهى
او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا
عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس من الخسة وتهذيبا لها
عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشيء وفيه ان من فعل
ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم
الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله
بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا
بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على انه
ليس من العظائم التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم
يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز
الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه
فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك
الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل
ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين
آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر
القتل دون الذبح والذكوة للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا
ويؤيده قوله عليه السلام خمس يقتلن في الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب
العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل
موذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة

كما هو مذهب الحنفية

ومذبوح الوثني او المجوسي كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم
متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد
وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم
الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار
وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء
والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم
وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف
ما لم يتم بها وانما يكون صفة وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام
مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثلَ
ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء يماثل ما قتل وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل
وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند ابي حنيفة
وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدي تخير بين ان يهدي ما قيمته قيمته
وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره
وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ تخير بين الاطعام والصوم واللفظ
للاول اوفق يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا منه لتخصصه او
منه اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبرية محذوف وكما ان التقويم يحتاج الى النظر
والاجتهاد يحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ
ذو عدل على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصصه
بالصفة او بدل من مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه وقال ابو حنيفة يذبح

بالغ الكعبة وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم
والتصدق به ثمة وقال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة
عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام مساكين عطف بيان او بدل
منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة كقولك
خاتم فضة والمعنى عند الشافعي او ان يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي
من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه من الصوم
فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين
وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدلي الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل
ليذوق وبال امره متعلق بمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل
فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل
الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية
او قبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله فهو ينتقم الله منه
وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز
ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا
في الماء وهو حلال كله لقوله عليه السلام في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال
ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه
او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض
وللسيارة اي ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر اي ما صيد
فيها او الصيد فيها فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن له

والاضافة لامية

به من دخل في الحرم على جل القول عليه وحرم عليكم صيد البر ما لم تصطادوه أو يصد لكم
ما دمتم حرما أي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذي إليه تحشرون
جعل الله الكعبة صيرها وإنما سمي البيت كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح
أو المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم أي سبب انتعاشهم في أمر معاشهم و
معادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه إليه الحجاج
والعمار أو ما يقوم به أمر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على أنه مصدر على فعل
كالشبع أعل عينه كما أعل في فعله ونصبه على المصدر أو الحال والشهر الحرام والهدي
والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة
لأن الناس فيه قيام وقيل الجنس ذلك إشارة إلى الجعل أو إلى ما ذكر من الأمر بحفظ
حرمة الإحرام وغيره لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض فإن شرع
الأحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال
علمه وأن الله بكل شيء عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد إطلاق اعلموا
أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن انتهك محارمه
ولمن حافظ عليها أو لمن أصر عليه ولمن انقلع عنه ما على الرسول إلا البلاغ تشديد
في إيجاب القيام بما أمر أي الرسول أتى بما أمر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي
الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الردي من الأشخاص
والأعمال والأموال وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال المال ولو أعجبك كثرة
الخبيث فإن العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فإن المحمود القليل خير

من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا أولي الألباب أي فاتقوه
في تحري الخبيث وإن كثر وآثروا الطيب وإن قل لعلكم تفلحون راجين أن تبلغوا الفلاح
روي أنها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون أن يوقعوا بهم فنهوا عنه وإن كانوا
مشركين يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا
عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لأشياء والمعنى
لا تسألوا رسول الله عن أشياء إن تظهر لكم تغمكم وإن تسألوا عنها في زمان الوحي
تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو أنه مما يغمكم والعاقل لا يفعل ما يغمه
وأشياء اسم جمع كطرفاء غير أنه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل أفعلاء حذفت لامه
جمع لشيء على أن أصله شيئ كهين أو شيء كصديق فخفف وقيل أفعال جمع له من غير
تغيير كبيت وأبيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها صفة أخرى أي عن أشياء عفا
الله عنها ولم يكلف بها إذ روي أنه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن
مالك أكل عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت
نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت أو استئناف أي عفا الله
عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا إلى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة
ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس أنه عليه السلام كان يخطب ذات يوم غضبان
من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا أسأل عن شيء إلا أجبت فقال رجل
أين أبي فقال في النار وقال آخر من أبي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها
قوم الضمير للمسألة التي دل عليها لا تسألوا ولذلك لم يعد بعن أو لأشياء بحذف الجار
من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم فإن ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة

ولا عما لا منافع ولا مضار عنها ثم أصبحوا بها كافرين أي بسببها حيث لم يأتوا بما سألوا وجحدوا
ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وإنكار لما ابتدعه أهل الجاهلية
وهو أنهم إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وخلوا
سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول إن شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة
في تحريم الانتفاع بها وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وإن
ولدتهما قالوا وصلت الأنثى أخاها فلا يذبح لها الذكر وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن
حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع
ووضع ولذلك تعدى إلى مفعول واحد وهو البحيرة ولكن الذين كفروا يفترون على
الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته إليه وأكثرهم لا يعقلون أي الحلال من الحرام و
المبيح من المحرم أو الآمر من الناهي ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه أن منهم من يعرف بطلان
ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء أن يعترفوا به وإذا قيل لهم
تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لقصور
عقلهم وانهماكهم في التقليد وأن لا سند لهم سواه أولو كان آباؤهم لا يعلمون
شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت عليها لإنكار الفعل على هذه
الحال أي أحسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى أن الاقتداء
إنما يصح بمن علم أنه عالم مهتد وذلك لا يعرف إلا بالحجة فلا يكفي التقليد يا أيها
الذين آمنوا عليكم أنفسكم أي احفظوها والزموا إصلاحها والجار مع المجرور جعل
اسما لالزموا ولذلك نصب أنفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل إذا
اهتديتم لا يضركم الضلال إذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء أن ينكر المنكر

حسب طاقته كما قال عليه السلام من رأى منكم منكرا واستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده فإن لم يستطع
فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة
ويتمنون إيمانهم وقيل كان الرجل إذا أسلم قالوا له سفهت آباءك فنزلت ولا يضركم
يحتمل الرفع على أنه مستأنف ويؤيده أنه قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب أو النهي
لكنه ضمت الراء إتباعا لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة وتنصره قراءة
من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره
إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على
أن أحدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم أي فيما أمرتم شهادة
بينكم والمراد بالشهادة الإشهاد في الوصية وإضافتها إلى الظرف على الاتساع و
قرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم إذا حضر أحدكم الموت إذا شارفه وظهرت
أماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية بدل منه وفي إبداله تنبيه على أن الوصية
مما ينبغي أن لا يتهاون فيه أو ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز أن يكون خبرها
على حذف المضاف ذوا عدل منكم من أقاربكم أو من المسلمين وهما صفتان لاثنان
أو آخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير بأهل الذمة جعله منسوخا فإن
شهادته على المسلم لا تسمع إجماعا إن أنتم ضربتم في الأرض أي سافرتم فيها فأصابتكم
مصيبة الموت أي قاربتم الأجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران
والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله أو آخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة
على أنه ينبغي أن يشهد اثنان منكم فإن تعذر كما في السفر فمن غيركم أو استيناف
كأنه قيل كيف نعمل إن ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد الصلاة صلاة العصر

لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اى صلوة
فيقسمان بالله ان ارتبتم ان ارتاب الوارث منكم لا نشترى به ثمنا مقسم عليه وان
ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله
عرضا من الدنيا اى لا نحلف بالله كاذبا لطمع ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له
قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اى لا نشترى ولا نكتم شهادة الله اى الشهادة التى
امرنا باقامتها وعن الشعبى انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم
وتعويض حرف الاستفهام منه وروى عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين
اى ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها
فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اى فعلا ما اوجب اثما كتحريف فآخران فشاهدان
آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جنى عليهم وهم الورثة و
قرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان الاوليان الاحقان بالشهادة
لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اى هما الاوليان او خبر آخران او مبتدأ خبره آخران
او بدل منهما او من الضمير فى يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على
انه صفة للذين او بدل منه اى من الاولين الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على
التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله
لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق منها واولى بان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها
الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان
اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغى ان يشهد عدلين من ذوى
نسبه او دينه على وصيته او يوصى اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان فى سفر

فآخران من غيركم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ فى الوقت
فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان
الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان
كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق
الوصى باليمين لامانته او لتغير الدعوى اذ روى ان تميما الدارى وعدى بن بداء
خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص
وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه فى صحيفة وطرحها
فى متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه
واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهله
الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
يا ايها الذين آمنوا الاية فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عند
المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء فى ايديهما فاتاهم بنو سهم فى ذلك فقالا قد اشتريناه
منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابى وداعة السهميان وحلفا
ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة ذلك اى الحكم الذى تقدم او تحليف الشاهد
ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها
او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم اى ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا
بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله
واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدى القوم الفاسقين اى فان لم تتقوا

ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم الى حجة او الى طريق
الجنة يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال
او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا خبر يوم جمعهم او منصوب باضمار اذكر
فيقول ماذا اجبتم اي اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر او باي شيء
اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد
ولذلك قالوا لا علم لنا اي لا علم لنا بما لست تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما
نعلمه مما اجابونا واظهروا لنا وما لا نعلمه مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم ورد
الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا
بعدنا او بما كان من خاتمتهم وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي
انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء وقرأ
ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي
عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى
انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات
فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة او نصب باضمار اذكر ونعمتي
عليك وعلى والدتك اذ ايدتك ظرف لنعمتي او حال منه بروح القدس بجبريل عليه السلام او بالكلام
الذي يحيا به الدين او النفس حياة ابدية ويطهر من الآثام ويؤيده قوله تكلم
الناس في المهد وكهلا اي كائنا في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولية والكهولة
على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهولة في كمال العقل والتكلم وبه استدل
على انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل

واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص
باذني واذ تخرج الموتى باذني سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ نافع ويعقوب طائرا
ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله
اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اي ما هذا
الذي جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت
الى الحواريين اي امرتهم على ألسنة رسلي ان آمنوا بي وبرسولي يجوز ان تكون ان مصدرية
وان تكون مفسرة قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يا عيسى
ابن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم
هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة
وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى
هل يطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب بمعنى اجاب وقرأ الكسائي هل تستطيع
ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه
الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه
ونظيرها قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال
قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعائكم الايمان قالوا نريد ان نأكل منها تمهيد
عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا
بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم ان قد صدقتنا في ادعاء
النبوة او ان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا او
من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال عيسى ابن مريم لما رأى ان لهم غرضا

مصححا في ذلك او انهم لا يتقلعون عنه وان ادا التزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل
علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل
العيد السرور العائد ولذلك سمي العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر لاولنا
وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روي انها نزلت
يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا
واخرانا بمعنى الامة او الطائفة وآية عطف على عيدا منك صفة لها اي آية
كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا المائدة او الشكر عليها وانت
خير الرازقين خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله اني
منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد
فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة
لا اعذبه الضمير للمصدر او العذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر احدا
من العالمين اي من عالمي زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير
ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون
اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم
اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف
المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل
دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث
واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن
وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا

ام من طعام

٢٤٣

ام من طعام الآخرة فقال ليس منهما ولكن اخترعه الله بقدرته كلوا مما سألتم واشكروا
يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى
فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية
ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا
يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت و
هم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض
ابدا ثم اوحى الله الى عيسى ان اجعل مائدتي للفقراء والمرضى دون الاغنياء و
الاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثمائة وثلاثون رجلا وقيل لما وعد الله
انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد انه مثل ضربه
لمقترحي الآيات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها
غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق
لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى
تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل الحاحهم
فبين الله ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له
ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا واذ قال الله يا عيسى
ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة و
تبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون
فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كأنه عبدهما
ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعم

يستحقان

ان عبادتهما توصل الى عبادة الله فكانه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بهما الى الله
قال سبحانك اى انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق
ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم
ما في نفسك تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك و
قوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين
باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه بعد
تقديم ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس من
شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعول
مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله من ما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان
يكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر
بل الجملة يحكى بعده الا ان يؤول القول بالامر فكانه قيل ما امرتهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله
وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او شاهدا
لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني بالرفع الى السماء لقوله اني متوفيك ورافعك والتوفي
اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت
في منامها كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فمنعت من اردت عصمته من القول به
بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات وانت على كل شيء
شهيد مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم فانهم عبادك اى ان تعذبهم فانك تعذب عبادك
ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك
وقد عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح

فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب
فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت فتفضل وعدم غفران
الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان قال الله هذا
يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا
محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي مر من كلام عيسى واقع يوم ينفع
وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه
معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم
بيان للنفع لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير تنبيه على
كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء
وقال وما فيهن اتباعا لهم غير اولي العقل اعلاما بانهم في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول
عن رتبة العبودية واهانة بهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق
متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد
كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا صدق رسول الله والله اعلم بالصواب

سورة الانعام مكية غير ست آيات او ثلاث من قوله قل تعالوا وهي مائة وخمس
وستون آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض

اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه به على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد
ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها

وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها
وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشأهما والفرق بين جعل
خلق الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التصيير ولذلك
عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية
وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور
الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم
ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس
صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله
على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون
فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكوينهم وتعيشهم
فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد
سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا
البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه ليقع
الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم
الاوثان اي يسوونها به هو الذي خلقكم من طين اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى
وان آدم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا اجل
الموت واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين
الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني
الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن يأتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك

استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي
مثبت معين لا يقبل التغيير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا
قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه
خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها
وابداع الحيوة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا
فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المري
وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله اي الله خبره في السموات وفي الارض متعلق
باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذي في السماء اله وفي
الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي
لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد
فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم
بيان وتقرير له وليس متعلقا بالمصدر لان صلته لا تتقدم ويعلم ما تكسبون من خير او
شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس و
بالمكتسب اعمال الجوارح وما تأتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق
والثانية للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية
من آيات القرآن الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد
كذبوا بالحق لما جاءهم يعني القرآن وهو كاللازم لما قبله كانه قيل انهم لما كانوا
معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا
عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيرها ولذلك رتب عليه بالفاء

سوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون اى سيظهر لهم ما كانوا به يستهزءون
عند نزول العذاب بهم فى الدنيا والآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره
الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن اى من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس
وهى سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبى او فائق فى العلم
قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم فى الارض جعلنا لهم فيها مكانا
وقررناهم فيها او اعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها
ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم من السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة و
السعة فى المال والاستظهار بالعدد والاسباب وارسلنا السماء عليهم اى
المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها مدرارا غزيرا وجعلنا
الانهار تجرى من تحتهم فعاشوا فى الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم
بذنوبهم اى لم يغن ذلك عنهم شيئا وانشأنا واحدثنا من بعدهم قرنا آخرين بدلا
منهم والمعنى انه كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده يقدر
ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس مكتوبا فى رق فلمسوه بايديهم
وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه
يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدى لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله
وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا
لولا انزل عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبى كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون
معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضى الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه
والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة

الله جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان
جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة
يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لكم ملكا يعاينونه او
الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل فى صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى
على رؤية الملك فى صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية
وللبسنا جواب محذوف اى ولو جعلناه رجلا للبسنا اى لخلطنا عليهم ما يخلطون
على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلا لام وللبّسنا بالتشديد
للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقى
من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون فاحاط بهم الذى كانوا
يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا فى الارض ثم
كان انظروا كيف عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستئصال كى تعتبروا والفرق
بينه وبين قوله قل سيروا فى الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك هنا
ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر فى آثار الهالكين قل
لمن ما فى السموات والارض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقريرا وتنبيه
على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان ينكروه كتب على نفسه الرحمة
التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته
والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة
استئناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اى ليجمعنكم فى القبور مبعوثين الى

يوم القيامة فيجازيكم على شرككم أو في يوم القيامة واللام بمعنى في وقيل بدل من الرحمة
بدل البعض فإنه من رحمته بعثه إياكم وإنعامه عليكم لا ريب فيه في اليوم أو الجمع
الذين خسروا أنفسهم بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الأصلية والعقل السليم
وموضع الذين نصب على الذم أو رفع على الخبر أي وأنتم الذين أو على الابتداء والخبر
فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على أن عدم إيمانهم مسبب عن خسرانهم فإن إبطال العقل
باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد وإغفال النظر أدى بهم إلى الإصرار على
الكفر والامتناع عن الإيمان وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى و
تعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه أو من السكون
أي ما سكن فيهما أو تحرك فاكتفى بأحد الضدين عن الآخر وهو السميع لكل مسموع
العليم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز أن يكون وعيدا للمشركين على أقوالهم و
أفعالهم قل أغير الله أتخذ وليا إنكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك
قدم وأولي الهمزة والمراد بالولي المعبود لأنه رد لمن دعاه إلى الشرك فاطر السموات
والأرض مبدعهما وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى أتاني أعرابيان يختصمان
في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأتها وجره على الصفة لله فإنه بمعنى الماضي ولذلك
قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق و
تخصيص الطعام لشدة الحاجة إليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الأول على أن
الضمير لغير الله والمعنى كيف أشرك بمن هو فاطر السموات والأرض ما هو نازل عن رتبة
الحيوانية وبينهما بأن الفاعل على الثاني من أطعم بمعنى استطعم أو على معنى أنه يطعم تارة
ولا يطعم أخرى كقوله يقبض ويبسط قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم لأن النبي

سابق أمته في الدين ولا تكونن من المشركين وقيل لي لا تكونن ويجوز عطفه على قل
قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم مبالغة أخرى في قطع أطماعهم وتعريض لهم
بأنهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به
وجوابه محذوف دلت عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ أي يصرف العذاب عنه وقرأ
حمزة والكسائي ويعقوب وأبو بكر عن عاصم يصرف على أن الضمير فيه لله وقد قرئ
بإظهاره والمفعول به محذوف أو يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وأنعم عليه
وذلك الفوز المبين أي الصرف أو الرحمة وإن يمسسك الله بضر ببلية كمرض
وفقر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شيء قدير
فكان قادرا على حفظه وإدامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله وهو
القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في أمره وتدبيره
الخبير بالعباد وخفايا أحوالهم قل أي شيء أكبر شهادة نزلت حين قالت قريش يا محمد
لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا
من يشهد لك أنك رسول الله والشيء يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه في
سورة البقرة قل الله أي الله أكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد بيني وبينكم أي هو شهيد ويجوز أن
يكون الله شهيد هو الجواب لأنه إذا كان الشهيد كان أكبر شهادة وأوحي إلي هذا القرآن
لأنذركم به أي بالقرآن واكتفى بذكر الإنذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف
على ضمير المخاطبين أي لأنذركم به يا أهل مكة وسائر من بلغه من الأسود والأحمر
أو من الثقلين أو لأنذركم أيها الموجودون ومن بلغه إلى يوم القيامة وهو دليل
على أن أحكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وأنه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه

أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى تقرير لهم مع إنكار واستبعاد قل لا أشهد
بما تشهدون قل إنما هو إله واحد أي بل أشهد أن لا إله إلا هو وإنني بريء مما تشركون
يعني الأصنام الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله بحليته المذكورة
في التوراة والإنجيل كما يعرفون أبناءهم بحلاهم الذين خسروا أنفسهم من أهل
الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب الإيمان ومن أظلم ممن افترى
على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله أو كذب بآياته
كأن كذبوا بالقرآن والمعجزات وسموها سحرا وإنما ذكر أو وهم قد جمعوا بين الأمرين
تنبيها على أن كلا منهما وحده بالغ غاية الإفراط في الظلم على النفس إنه الضمير للشأن
لا يفلح الظالمون فضلا عمن لا أحد أظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا
للأمر ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله
وقرأ يعقوب يحشرهم ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون أي تزعمونهم
شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين
آلهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل أن يشاهدوهم
ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا أي كفرهم
والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التي يتوهمون أن يتخلصوا بها من فتنت الذهب
إذا خلصته وقيل جوابهم وإنما سماه فتنة لأنه كذب أو لأنهم قصدوا به الخلاص
وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على أنها الاسم
ونافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم بالتاء والنصب على أن الاسم أن قالوا والتأنيث للخبر
كقولهم من كانت أمك والباقون بالياء والنصب والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون

ويحلفون

ويحلفون عليه مع علمهم بأنه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا
أخرجنا منها وقد أيقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند أنفسنا وهو
لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا على أنفسهم أي بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم
في الدنيا يتعسف يخل بالنظم ونظيره قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له
كما يحلفون لكم وقرأ حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء أو المدح وضل عنهم
ما كانوا يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع إليك حين تتلو القرآن والمراد أبو
سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم اجتمعوا فسمعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها
بيته ما أدري ما يقول إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم
وجعلنا على قلوبهم أكنة أغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء أن يفقهوه كراهة
أن يفقهوه ومنهم من يستمع إليك وفي آذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر
تحقيق ذلك في أول البقرة وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام
التقليد فيهم حتى إذا جاؤوك يجادلونك أي بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم جاؤوك
يجادلونك وحتى هي التي يقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة إذا وجوابه وهو يقول
الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين فإنه جعل أصدق الحديث خرافات
الأولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز أن يكون الجارة وإذا جاؤوك
في موضع الجر ويجادلونك حال وقوله يقول تفسير والأساطير الأباطيل جمع أسطورة
أو أسطارة أو أسطار جمع سطر وأصل السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه ينهون
الناس عن القرآن أو الرسول والإيمان به وينأون عنه بأنفسهم أو ينهون

عن التعرض لرسول الله وينأون عنه فلا يؤمنون به كأبي طالب وإن يهلكون وما
يهلكون بذلك إلا أنفسهم وما يشعرون أن ضررهم لا يتعداهم إلى غيرهم ولو ترى إذ وقفوا
على النار جوابه محذوف أي ولو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها أو يطلعون
عليها أو يدخلونها فيعرفوا مقدار عذابها لرأيت أمراً شنيعاً وقرئ وقفوا على البناء
للفاعل من وقف عليه وقوفاً فقالوا يا ليتنا نرد تمنياً للرجوع إلى الدنيا ولا نكذب
بآيات ربنا ونكون من المؤمنين استئناف كلام منهم على وجه الإثبات كقولهم دعني
ولا أعود أي وأنا لا أعود تركتني أو لم تتركني أو عطف على نرد أو حال من الضمير فيه
فيكون في حكم التمني وقوله وإنهم لكاذبون راجع إلى ما تضمنه التمني من الوعد و
نصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب بإضمار أن بعد الواو إجراءً لها مجرى الفاء
وقرأ ابن عامر برفع الأول على العطف ونصب الثاني على الجواب بل بدا لهم ما كانوا
يخفون من قبل من نفاقهم أو قبائح أعمالهم فتمنوا ذلك ضجراً لا عزيمة على أنهم لو ردوا لآمنوا
ولو ردوا أي إلى الدنيا بعد الوقوف والظهور لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي
وإنهم لكاذبون فيما وعدوا من أنفسهم وقالوا عطف على لعادوا أو على إنهم لكاذبون
أو على نهوا أو استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن
بمبعوثين ولو ترى إذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال أو التوبيخ و
قيل معناه وقفوا على قضاء ربهم أو جزائه أو عرفوه حق التعريف قال أليس هذا بالحق
كأنه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والإشارة إلى البعث
وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا إقرار مؤكد باليمين لانجلاء الأمر
غاية الجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم أو ببدله قد خسر الذين

كذبوا

كذبوا بلقاء الله إذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه
حتى إذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لأن خسرانهم لا غاية له بغتة فجأة ونصبها
على الحال أو المصدر فإنها نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا أي تعالي فهذا أوانك على ما فرطنا
قصرنا فيها في الحياة الدنيا أضمرت وإن لم تجر ذكرها للعلم بها أو في الساعة يعني في
شأنها والإيمان بها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام ألا
ساء ما يزرون بئس شيئاً يزرونه وزرهم وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو
أي وما أعمالها إلا لعب ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة
حقيقية وهو جواب لقولهم إن هي إلا حياتنا الدنيا وللدار الآخرة خير للذين يتقون
لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على أن ما ليس من أعمال
المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة أفلا تعقلون أي الأمرين خير
وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به أو تغليب الحاضرين
على الغائبين قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله
ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في إنه للشأن وقرئ ليحزنك من أحزن فإنهم لا
يكذبونك في الحقيقة وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك من أكذبه إذا وجده كاذباً
أو نسبه إلى الكذب ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولكنهم يجحدون بآيات الله
ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على أنهم ظلموا بجحودهم أو جحدوا لتمرنهم
على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب روي أن أبا جهل كان يقول ما نكذبك
وإنك عندنا لصادق وإنما نكذب ما جئتنا به حتى أتاهم نصرنا
فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه

وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبهم مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا
على تكذيبهم وايذائهم حتى اتاهم نصرنا فتأس بهم واصبر حتى ياتيك نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين
ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الاية
ولقد جاءك من نبإ المرسلين اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك عظم
وشق اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض
او سلما في السماء فتاتيهم باية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم اية او مصعدا
تصعد به الى السماء فتنزل منها اية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما و
يجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف
تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه
وانه لو قدر ان ياتيهم باية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان
حتى يؤمنوا ولكن لم يتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء
جمعهم على الهدى بان ياتيهم باية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن
من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة
انما يستجيب الذين يسمعون انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتامل كقوله او القى السمع
وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين
لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه اي
اية مما اقترحوه او اية اخرى سوى ما انزل من الايات المتكاثرة لعدم اعتدادهم
بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل اية مما اقترحوه او اية تضطرهم الى الايمان

كنتق

كنتق الجبل او اية ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها
وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل
بالتخفيف والمعنى واحد وما من دابة في الارض تدب على وجهها ولا طائر وقرئ
ولا طائر بالرفع على المحل يطير بجناحيه في الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها
الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها واجالها والمقصود من ذلك الدلالة
على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر ان ينزل اية وجمع
الامم للحمل على المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل
على ما يجري في العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه
قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر
لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ فرطنا
بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روي
انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها والذين كذبوا باياتنا
صم لا يسمعون مثل هذه الايات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا
يتأثر به نفسه وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات خبر ثالث اي خابطون في
ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا
من المستكن في الخبر من يشأ الله يضلله من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل
واضح لنا على المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله
عليه قل ارأيتكم استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتأكيد
لا محل له من الاعراب لانك تقول ارأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا

بناء على انها علمية شهاب

كما قاله الكوفيون لتعدت الفعل الى ثالث مفعول وللزم فى الآية ان يقال ارأيتموكم بل الفعل
معلق او المفعول محذوف تقديره ارأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقرأ نافع ارأيتكم
وارأيت وافرأيت وشبهها اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة التى بعد الراء والكسائى
يسقطها اصلا والباقون يحققونها وحمزة اذا وقف وافق نافعا كما اتى من قبلكم او
اتتكم الساعة وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين ان
الاصنام آلهة وجوابه محذوف اى فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم
فى مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه اى ما تدعونه الى
كشفه ان شاء ان يتفضل عليكم ولا يشاء فى الآخرة وتنسون ما تشركون وتتركون
آلهتكم فى ذلك الوقت لما ركز فى العقول انه القادر على كشف الضر دون غيره او
وتنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اى قبلك ومن زائدة
فاخذناهم اى فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالبأساء بالشدة والفقر والضراء
الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون
عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفى تضرعهم فى ذلك الوقت مع قيام
ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على
المعنى وبيان الصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم
باعمالهم التى زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء و
لم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب كل شىء من انواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتى
الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء والزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا
بهم لما روى انه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد فى

جميع

٢٥١

جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذى فى الاعراف حتى اذا فرحوا
اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم والقيام
بحقه اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم
الذين ظلموا اى آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه
والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه
تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها
قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان يغطى
عليها بما يزول به عقلكم وفهمكم من اله غير الله يأتيكم به اى بذلك او بما اخذ
وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الآيات نكررها تارة من جهة
المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير
باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض
بعد تصريف الآيات وتظهيرها قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة
او جهرة بتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرئ بغتة او جهرة
هل يهلك اى ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح
الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين
بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم
فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب
ولا هم يحزنون بفوات الثواب والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب جعل
العذاب ماسا لهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف

بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي
خزائن الله مقدوراته او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح الي ولم
ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ولا اقول لكم اني ملك اي من جنس الملائكة
او اقدر على ما يقدرون عليه ان اتبع الا ما يوحى الي تبرأ عن دعوى الالوهية
والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه و
جزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي او الجاهل
والعالم او مدعي المستحيل كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة افلا
تتفكرون فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع
الوحي مما لا محيص عنه وانذر به الضمير لما يوحى الى الذين يخافون ان يحشروا الى
ربهم هم المؤمنون المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا
به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته
ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على
هذه الحال لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
بعدما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم
ترضية لقريش روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار
وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا
فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت قال لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون
فدعا بالصحيفة وبعلي رض ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل
صلاتا الصبح والعصر وقرأها ابن عامر بالغدوة هنا وفي الكهف يريدون وجهه

حال من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر
ورتب النهي عليه اشعارا بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم ما عليك من حسابهم
من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند
الله اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا في ايمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار ظاهرهم
واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين فان كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون
وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم و
قيل ما عليك من حساب رزقهم اي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ
بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه فتطردهم فتطردهم
وهو جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على
وجه التسبب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال
الناس في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا هؤلاء
الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا
اي اهؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر
والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة
الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل
على ان فتنا متضمن معنى خذلنا اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منه الايمان والشكر
فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم
كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان
بالقرآن واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأهم بالتسليم

أو بلّغ سلام الله إليهم وبشّرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد النهي عن طردهم
إيذاناً بأنهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي أن يقرّب ولا يطرد
ويعزّ ولا يذلّ ويبشّر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة وقيل إن قوماً
جاؤوا إلى النبي عليه السلام فقالوا إنا أصبنا ذنوباً عظاماً فلم يرد عليهم شيئاً فانصرفوا فنزلت
إنه من عمل منكم سوءاً استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح
على البدل منها بجهالة في موضع الحال أي من عمل ذنباً جاهلاً بحقيقة ما يتبعه من المضار
والمفاسد كعمر فيما أشار إليه أو ملتبساً بفعل الجهالة فإن ارتكاب ما يؤدي إلى الضرر من
أفعال أهل السفه والجهل ثم تاب من بعده من بعد العمل أو السوء وأصلح بالتدارك
والعزم على أن لا يعود إليه فإنه غفور رحيم فتحه من فتح الأول غير نافع على إضمار مبتدأ
أو خبر أي فأمره أو فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات آيات
القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصرّين منهم والأوّابين ولتستبين سبيل
المجرمين قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلاً
منهم بما يحق له فصّلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وحفص
عن عاصم برفعه على معنى ولتتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فإنه
يذكّر ويؤنّث ويجوز أن يعطف على علة مقدرة أي نفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين
قل إني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الأدلة وأنزل عليّ من الآيات في أمر التوحيد
أن أعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون من دون الله أو
ما تدعونها آلهة أي تسمّونها قل لا أتبع أهواءكم تأكيد لقطع أطماعهم وإشارة إلى الموجب للنهي
وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وأن ما هم عليه هوى

وليس

وليس هدى وتنبيه لمن تحرّى الحق على أن يتبع الحجة ولا يقلّد قد ضللت إذاً أي إن اتبعت أهواءكم
فقد ضللت وما أنا من المهتدين أي في شيء من الهدى حتى أكون من عدادهم وفيه
تعريض بأنهم كذلك قل إني على بيّنة تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بيّن ما لا يجوز
اتباعه والبيّنة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها
القرآن والوحي أو الحجج العقلية أو ما يعمّها من ربي من معرفته وأنه لا معبود سواه
ويجوز أن يكون صفة لبيّنة وكذّبتم به الضمير لربي أي كذّبتم به حيث أشركتم به غيره
أو للبيّنة باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم
فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم إن الحكم إلا لله في تعجيل العذاب
وتأخيره يقض الحق أي القضاء الحق أو يصنع الحق ويدبّره من قولهم قضى
الدرع إذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتأخير وأصل القضاء الفصل بتمام الأمر
وهو خير الفاصلين القاضين قل لو أن عندي أي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به
من العذاب لقضي الأمر بيني وبينكم لأهلكتكم عاجلاً غضباً لربي وانقطع ما بيني
وبينكم والله أعلم بالظالمين في معنى الاستدراك كأنه قال ولكن الأمر إلى الله وهو
أعلم بمن ينبغي أن يؤخذ وبمن ينبغي أن يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه
جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن أو ما يتوصّل به إلى المغيبات مستعار من
المفاتح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده أنه قرئ مفاتيح والمعنى أنه
المتوصّل إلى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها إلا هو فيعلم أوقاتها وما في تعجيلها
وتأخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلّقت به مشيئته وفيه دليل
على أنه يعلم الأشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر عطف للإخبار عن تعلّق علمه

بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به وما تسقط من ورقة الا يعلمها
مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات
على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين
علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة او رفعا
على الابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير
التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض
الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا
على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل مسمى
ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون
بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام
بالنهار وانه مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به
اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه وضربه لبعث
الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء
وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون
والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤوس الاشهاد كان
ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم
منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك
الموت واعوانه وقرأ حمزة توفاه بالالف ممالة وهم لا يفرطون بالتواني والتأخير
وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله

الى

الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ
بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق
في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من
شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار فقيل
لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرأ
يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين و
مسرين او اعلانا وسرا وقرأ ابو بكر هنا وفي الاعراف بالكسر لئن انجيتنا من
هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي يقولون لئن انجيتنا وقرأ الكوفيون لئن انجانا
ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون
وهشام وخففه الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون
الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان
من اشرك في عبادة الله فكأنه لم يشكره رأسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا
من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون
وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم
او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال وكتيبة
لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم بأس بعض يقاتل بعضكم
بعضا انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك
اي بالعذاب او بالقرآن وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ
وكل الي امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبأ خبر

المقصود من الاستفهام التبكيت شيخ زاده

قوله ثم انتم تشركون ... الاستبعاد اشراكهم عن هذا الاقرار

فامنعكم ... او اجازيكم

يريد أنباءه بالعذاب والإيعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون
عند وقوعه في الدنيا أو في الآخرة وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب
والاستهزاء بها والطعن فيها فأعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا
في حديث غيره أعاد الضمير على معنى الآيات لأنها القرآن وإما ينسينك الشيطان
بأن يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي وقرأ ابن عامر ينسّينك بالتشديد فلا تقعد
بعد الذكرى بعد أن تذكره مع القوم الظالمين أي معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة
على أنهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على
الذين يتقون وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء مما
يحاسبون عليه من قبائح أعمالهم وأقوالهم ولكن ذكرى ولكن عليهم أن يذكروهم
ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب
على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لأن من
حسابهم يأباه ولا على شيء لذلك ولأن من لا تزاد في الإثبات لعلهم يتقون يجتنبون
ذلك حياء أو كراهة لمساءتهم ويحتمل أن يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون
على تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم روي أن المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا
بالقرآن لم نستطع أن نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا
دينهم لعبا ولهوا أي بنوا أمر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع
عاجلا وآجلا كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب أو اتخذوا دينهم الذي كلفوه
لعبا ولهوا حيث سخروا به أو جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو
ولعب فالمعنى أعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم وأقوالهم ويجوز أن يكون تهديدا كقوله

ذرني

ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمله على الأمر بالكف عنهم
وترك التعرض لهم وغرتهم الحياة الدنيا حتى أنكروا البعث وذكر به أي بالقرآن أن تبسل نفس
بما كسبت مخافة أن تسلم إلى الهلاك وترهن بسوء عملها وأصل الإبسال والبسل المنع
ومنه أسد باسل لأن فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا
بسل عليك أي حرام ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع عنها العذاب
وإن تعدل كل عدل وإن تفد كل فداء والعدل الفدية لأنها تعادل المفدى وههنا
الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند إلى منها لا إلى ضميره بخلاف قوله
ولا يؤخذ منها عدل فإنه المفدى به أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا أي سلموا إلى العذاب
بسبب أعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا
يكفرون تأكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار
تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم قل أندعو أنعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا
ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على أعقابنا ونرجع إلى الشرك بعد إذ هدانا
الله فأنقذنا منه ورزقنا الإسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت
به مردة الجن في المهامه استفعال من هوى يهوي هويا إذا ذهب وقرأ حمزة استهواه
بألف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد أي مشبهين الذي استهوته
أو على المصدر أي ردا مثل رد الذي استهوته في الأرض حيران متحيرا ضالا عن الطريق
له أصحاب لهذا المستهوى رفقة يدعونه إلى الهدى أي يهدونه الطريق المستقيم وسمى
هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا قل إن هدى الله الذي هو
الإسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وأمرنا لنسلم لرب العالمين من جملة

القول عطف ان هدى الله واللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء
وقيل هي زائدة وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم اى للاسلام ولاقامة
الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روى ان عبد الرحمن بن
ابي بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول بهذا القول اجابة
على التحقيق تعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذى كان بينهما وهو الذى اليه تحشرون
يوم القيمة وهو الذى خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم يقول
كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال
يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق نافذ فى الكائنات وقيل
يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء فى واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق
وقوله الحق مبتداء وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه
كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيامة فيكون التكوين
حشر الاموات واحياءها وله الملك يوم ينفخ فى الصور كقوله لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اى هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة
للآية واذ قال ابراهيم لابيه آزر وهو عطف بيان لابيه وفى كتب التواريخ
ان اسمه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ وآزر وصف
معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه او نعت مشتق من
الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به
للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر
يفسره ما بعده اى تعبد آزر ثم قال اتتخذ اصناما آلهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه

قرئ

قرئ أأزرا تتخذ اصناما بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على
النداء وهو يدل على انه علم له انى اراك وقومك فى ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة
وكذلك نرى ابراهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى
بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات والارض
ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء
فيه للمبالغة وليكون من الموقنين اى ليستدل وليكون او وفعلنا ذلك ليكون
فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على
قال ابراهيم وكذلك نرى اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام
والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر
والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشترى
وقوله هذا ربى على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم
يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته
او اول اوان بلوغه فلما افل اى غاب قال لا احب الآفلين فضلا عن عبادتهم
فان الانتقال والاحتجاب بالاستار يقتضى الامكان والحدوث وينافى الالوهية
فلما رأى القمر بازغا مبتدئا فى الطلوع قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى
لاكونن من القوم الضالين استعجز نفسه واستعان بربه فى درك الحق فانه لا
يهتدى اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير
حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال فلما رأى الشمس بازغة
قال هذا ربى ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة الرب عن شبهة

الثالث هذا أكبر كبره استدلالاً أو اظهاراً لشبهة الخصم فلما أفلت قال يا قوم
إني بريء مما تشركون من الأجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص
يخصصها بما تختص به ثم لما تبرأ منها توجه الى موجدها ومبدعها الذي دلت
هذه الممكنات عليه فقال إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا
من المشركين وإنما احتج بالأفول دون البزوغ مع أنه أيضاً انتقال لتعدد دلالته
ولأنه رأى الكوكب الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه
قومه وخاصموه في التوحيد قال أتحاجوني في الله في وحدانيته وقرأ نافع
وابن عامر بخلاف عن هشام بتخفيف النون وقد هدان الى توحيده ولا أخاف ما تشركون به
أي لا أخاف معبودكم في وقت لأنها لا تضر بنفسها ولا تنفع إلا أن يشاء ربي
شيئاً أن يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم إياه من آلهتهم وتهديد لهم
بعذاب الله وسع ربي كل شيء علماً كأنه علة الاستثناء أي أحاط به علماً فلا يبعد
أن يكون في علمه أن يحيق بي مكروه من جهتها أفلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح
والفاسد والقادر والعاجز وكيف أخاف ما أشركتم ولا يتعلق به ضر ولا تخافون
أنكم أشركتم بالله وهو حقيق بأن يخاف منه كل الخوف لأنه إشراك للمصنوع بالصانع
وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع ما لم ينزل به عليكم سلطاناً
ما لم ينزل بإشراكه كتاباً أو لم ينصب عليه دليلاً فأي الفريقين أحق بالأمن أي الموحدون
أو المشركون وإنما لم يقل أينا أنا أم أنتم احترازاً من تزكية نفسه إن كنتم تعلمون
ما يحق أن يخاف منه الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم
مهتدون استئناف منه أو من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم هنا

الشرك

الشرك لما روي أن الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا أينا لم يظلم نفسه فقال عليه السلام
ليس ما تظنون إنما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم
عظيم وليس الإيمان به أن تصدق بوجود الصانع الحكيم وتخلط بهذا التصديق
الإشراك به وقيل المعصية وتلك إشارة الى ما احتج به إبراهيم عليه السلام على قومه
من قوله فلما جن الى قوله وهم مهتدون أو من قوله أتحاجوني اليه حجتنا آتيناها
إبراهيم أرشدناه إليها وعلمناه إياها على قومه متعلق بحجتنا إن جعل خبر تلك أو
بمحذوف إن جعل بدله أي آتيناها إبراهيم حجة على قومه نرفع درجات من
نشاء في العلم والحكمة وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين إن ربك حكيم في
رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له إسحق
ويعقوب كلا هدينا أي كلا منهما ونوحاً هدينا من قبل من قبل إبراهيم عد هداه
نعمة على إبراهيم من حيث إنه أبوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته
الضمير لإبراهيم إذ الكلام فيه وقيل لنوح لأنه أقرب ولأن يونس ولوطاً ليسا من
ذرية إبراهيم فلو كان لإبراهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الآية والتي بعدها
والمذكورون في الآية الثالثة عطف على نوحاً داود وسليمان وأيوب بن
أموص من أسباط عيص بن إسحق ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين
أي ونجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا إبراهيم برفع درجاته وكثرة أولاده والنبوة
فيهم وزكريا ويحيى وعيسى وهو ابن مريم وفي ذكره دليل على أن الذرية تتناول
أولاد البنت وإلياس قيل هو إدريس جد نوح فيكون البيان مخصوصاً بمن في
الآية الأولى وقيل هو من أسباط هرون أخي موسى كل من الصالحين الكاملين في

الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل واليسع هو اليسع بن
اخطوب وقرأ حمزة والكسائي والليسع وعلى القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام
كما ادخل على اليزيد في قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله
ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو هاران ابن اخي ابرهيم وكلا فضلنا على العالمين
بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم
عطف على كلا او نوحا اي فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض اباءهم وذرياتهم واخوانهم
فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم
الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به
من يشاء من عباده دليل على انه متفضل بالهداية ولو اشركوا اي ولو اشرك هؤلاء الانبياء
مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط
ثوابها اولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على
ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلثة هؤلاء يعني قريشا
فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم
وقيل هم الانصار واصحاب النبي او كل من آمن به او الفرس وقيل الملائكة اولئك
الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقهم بالاقتداء
والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف
فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسي بهم جميعا فليس فيه دليل
على انه عليه السلام متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها
في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف و

تخرف

وحذفها في الوصل خاصة حمزة والكسائي واشبعها ابن عامر برواية ابن
ذكوان على انها كناية المصدر وكسر الهاء بغير اشباع برواية هشام قل لا اسالكم
عليه اي على التبليغ او القرآن اجرا جعلا من جهتكم كما لم يسال من قبلي من النبيين
وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اي التبليغ او القرآن او الغرض
الا ذكرى للعالمين تذكيرا وعظة لهم وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق
معرفته في الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء حين
انكروا الوحي وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او في السخط
على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود
قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل
من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه
قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قرأه بالياء ابن كثير وابو عمرو
حملا على قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء جهلهم بالتورية وذمهم
على تجزئتها بابداء بعض وانتخابه وكتبه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا
تشتهونه روي ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله انشدك الله الذي انزل
التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين وقيل هم المشركون و
الزامهم بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون
لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم
ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم
الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه

يلعبون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله اي انزله الله او الله انزله امره
بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث
لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ و
الزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال
من مفعوله او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف متصل بالاول وهذا
كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التوراة
او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات
ولتنذر او علة لمحذوف اي ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك
لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض
دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرا ابو بكر عن عاصم بالياء
اي لينذر الكتاب ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالآخرة
يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون فان من صدق بالآخرة خاف
العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب و
الضمير يحتملهما ويحافظون على الطاعة وتخصيص الصلاة لانها عماد الدين وعلم الايمان
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي
او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه
كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان
من طين فلما بلغ قوله ثم انشاناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين
تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله

وقال

وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما
قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ
الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين في غمرات الموت
شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي
الملظ او بالعذاب اخرجوا انفسكم اي يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم
تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم
يريدون به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة تجزون عذاب الهون اي
الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته و
تمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك له ودعوى
النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون
ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر
ما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم
وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال وفراد كثلاث
وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد
او حال ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء
خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم و
تركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم
ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم
فيكم شركاء اي شركاء لله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم

وفرادا بالضم كرخال جمع رخل وهو ولد الضأن شهاب

أي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الأضداد يستعمل للوصل والفصل
وقيل هو الظرف أسند إليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد
له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على إضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه
أو أقيم مقام موصوفه وأصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به (وضل عنكم) ضاع
وبطل (ما كنتم تزعمون) أنها شفعاؤكم أو أن لا بعث ولا جزاء (إن الله فالق الحب
والنوى) بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة (يخرج
الحي) يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله (من الميت) مما لا ينمو كالنطف
والحب (ومخرج الميت من الحي) ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم
حملا على فالق الحب فإن قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له (ذلكم الله) أي المحيي المميت
هو الذي يحق له العبادة (فأنى تؤفكون) تصرفون عنه إلى غيره (فالق الإصباح)
شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل أو عن بياض النهار أو شاق ظلمة الإصباح وهو الغبش
الذي يليه والإصباح في الأصل مصدر أصبح إذا دخل في الصبح سمي به الصبح
وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح (وجعل الليل سكنا) يسكن
إليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن إليه إذا اطمأن إليه استئناسا به
أو يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فإنه في معنى
الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فإن
فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به أو به على أن المراد منه جعل مستمر في الأزمنة المختلفة
وعلى هذا يجوز أن يكون (والشمس والقمر) عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر
والأحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أي مجعولان

٢٦٠

(حسبانا) أي أدوار مختلفة يحسب بها الأوقات ويكونان علمي الحسبان وهو مصدر حسب
بالفتح كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان (ذلك)
إشارة إلى جعلهما حسبانا أي ذلك التسيير بالحساب المعلوم (تقدير العزيز) الذي
قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص (العليم) بتدبيرهما والأنفع من التداوير
الممكنة لهما (وهو الذي جعل لكم النجوم) خلقها لكم (لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر)
في ظلمات الليل في البر والبحر وإضافتها إليهما للملابسة أو في مشتبهات الطرق
سماها ظلمات على الاستعارة وهو إفراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما أجملها
بقوله لكم (قد فصلنا الآيات) بيناها فصلا فصلا (لقوم يعلمون) فإنهم المنتفعون
(وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة) هو آدم عليه السلام (فمستقر ومستودع) أي فلكم
استقرار في الأصلاب أو فوق الأرض واستيداع في الأرحام أو تحت الأرض
أو موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على أنه اسم
فاعل والمستودع مفعول أي فمنكم قار ومنكم مستودع لأن الاستقرار منا دون
الاستيداع (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) ذكر مع ذكر النجوم يعلمون
لأن أمرها ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لأن إنشاءهم من نفس واحدة
وتصريفهم بين أحوال مختلفة دقيق غامض يحتاج إلى استعمال فطنة وتدقيق نظر
(وهو الذي أنزل من السماء ماء) من السحاب أو من جانب السماء (فأخرجنا) على
تلوين الخطاب (به) بالماء (نبات كل شيء) نبت كل صنف من النبات والمعنى
إظهار القدرة في إنبات الأنواع المتفننة بماء واحد كما في قوله يسقى بماء واحد
ونفضل بعضها على بعض في الأكل (فأخرجنا منه) من النبات أو الماء (خضرا)

بدل اشتمال من لكم ح

أي من قوله لتهتدوا ح

أي أبا عمرو ويعقوب

ثم بعضها فوق بعض كسنابل الحنطة والشعير
كالسنبل

شيئا أخضر يقال أخضر وخضر كأعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه
من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان أي وأخرجنا
من النخل نخلا من طلعها قنوان أو من النخل شيء من طلعها قنوان ويجوز
أن يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع
النخل قنوان وهو الأعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب
وذؤبان وبفتحها على أنه اسم جمع إذ ليس فعلان من أبنية الجمع دانية قريبة من
التناول أو ملتفة قريب بعضها من بعض وإنما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه
وزيادة النعمة فيها وجنات من أعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على
الابتداء أي ولكم أو ثم جنات أو من الكرم جنات من أعناب ولا يجوز عطفه على
قنوان إذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان أيضا عطف على نبات أو
نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال من الزيتون
أو من الجميع وبعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة والقدر واللون و
الطعم انظروا إلى ثمره أي ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء
وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب أو ثمار ككتاب وكتب إذا أثمر إذا أخرج ثمره
كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه وإلى حال نضجه أو إلى نضيجه كيف يعود ضخما
ذا نفع ولذة وهو في الأصل مصدر ينعت الثمرة إذا أدركت وقيل جمع يانع
كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون
أي لآيات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فإن حدوث الأجناس المختلفة والأنواع
المفننة من أصل واحد ونقلها من حال إلى حال لا يكون إلا بإحداث قادر يعلم

تفاصيلها

تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من أحوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه
أو ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من أشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء
الجن أي الملائكة بأن عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم
تحقيرا لشأنهم أو الشياطين لأنهم أطاعوهم كما يطاع الله أو عبدوا الأوثان بتسويلهم
وتحريضهم أو قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما
هو رأي الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء أو شركاء الجن ولله
متعلق بشركاء أو حال منه وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن وبالجر
على الإضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا أن الله خالقهم
دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن أي وما يخلقونه
من الأصنام أو على شركاء أي وجعلوا له اختلاقهم للإفك حيث نسبوه إليه وخرقوا
له افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا أي وزوروا
بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب
الملائكة بنات الله بغير علم من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو
في موضع الحال من الواو أو المصدر أي خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو
أن له شريكا أو ولدا بديع السموات والأرض من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها
أو إلى الظرف كقولهم ثبت الغدر يعني أنه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد
سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف أو على الابتداء وخبره أنى يكون
له ولد أي من أين أو كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ

وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم
لا تخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الاية استدلال على نفي الولد
من وجوه الاول انه من مبدعاته السموات والارض وهي مع انها من جنس ما يوصف
بالولادة مبراة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها والثاني ان
المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث
ان الولد كفو الوالد ولا كفو له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه والثاني
انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من
الصفات وهو مبتدا الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون
البعض بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه
الصفات استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل اي وهو مع تلك الصفات متولي
اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم
عليها لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين
من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس
الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الاية عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات
ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع و
هو يدرك الابصار يحيط علمه بها وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا يدركه الابصار
كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اي لا يدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك
الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا

ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن
سميت بها الدلالة لانها تجلي لها الحق وتبصرها به فمن ابصر اي ابصر الحق وآمن به فلنفسه
ابصر لان نفعه لها ومن عمي عن الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما
انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على
لسان الرسول عليه السلام وكذلك نصرف الايات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى
الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا
درست اي وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرا
ابن كثير وابو عمرو دارست اي دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب
درست من الدروس اي قدمت هذه الايات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ
درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست
بمعنى درست او دارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة و
درسن اي عفون ودرس اي درس محمد ودارسات اي قديمات او ذات درس كقوله
عيشة راضية ولنبينه اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للايات
باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون
اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع
او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم
ولا تلتفت الى رايهم ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم
ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان
الكافر وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل

يقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اي لا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها
بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة
بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عُدُوًّا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء
وعدوانا روي انه عليه السلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا
او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله
وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى
الشر شر كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه
توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به
تزيين سب الله لهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة
عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال والداعي لهم الى هذا القسم
التأكيد فيه التحكم على الرسول عليه السلام في طلب الآيات واستحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم آية
ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها
بقدرتي وارادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها اي الآية المقترحة
اذا جاءت لا يؤمنون اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب
تنبيه على انه تعالى اعلم بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل
ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر بخلاف عنه عنها
عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب
للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الآية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر
وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءت لا يؤمنون فيكون انكارا
لهم

انكارا لهم على حلفهم اي وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول
القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون
اي وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه
فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اي بما انزل من الآيات اول مرة ونذرهم في طغيانهم
يعمهون وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب على الغيبة
وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فأت
بآبائنا او تأتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء بما بشرنا به
وانذرنا او جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة
كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما حسن ذلك لعمومه
ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال
اي لا يؤمنون في حال الا حال مشيئة الله ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على
المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد
ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر
المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا اي كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة
الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل
من عدوا او اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به او حال منه
يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض الجن الى
بعض

الى بعض او بعض الانس الى بعض زخرف القول غرورا مفعول له او مصدر في موقع
الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اى ما فعلوا ذلك يعنى معاداة الانبياء وايحاء
الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا
دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون
بالآخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اى وليكون ذلك جعلنا لكل
نبى عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما
لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير
في زخرف وليرضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الآثام
افغير الله ابتغى حكما على ارادة القول اى قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بينى
وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغى وحكما حال منه ويحتمل عكسه
وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذى انزل اليكم الكتاب القرآن
المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفى التخليط والالتباس وفيه تنبيه على
ان القرآن باعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون
انه منزل من ربك بالحق تاييد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله يعلم
اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه عليه السلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم
وانما وصفهم جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى
تامل وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل
بالتشديد فلا تكونن من الممترين في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم
وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول

خطاب

خطاب الامة وقيل الخطاب لكل واحد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغى لاحد
ان يمترى فيه وتمت كلمة ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في
الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال
والمفعول له لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل او لا احد
يقدر ان يحرفها شائعا ذائعا كما فعل بالتوراة على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا
لها من الله بالحفظ كقوله وانا له لحافظون او لا نبى ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل
احكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اى ما تكلم به وهو القرآن وهو السميع العليم
لا يهملون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اى اكثر الناس يريد الكفار او الجهال
او اتباع الهوى وقيل الارض مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان
في غالب الامر لا يامر الا بما فيه ضلال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا
على الحق او جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم
الا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان
وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدرون انهم على شيء وحقيقته ما
يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اى اعلم
بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل
لا ينصب الظاهر في مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها
الفعل المقدر وقرئ من يضل اى يضله الله فيكون من منصوبة بالفعل المقدر او
مجرورة باضافة اعلم اليه اى اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من اضللته اذا
وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التى يمكن تعلق العلم بها

لما يقولون

والوصف ذكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين
الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر
عليه اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم بآياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة
ما احله الله واجتناب ما حرمه وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم في ان
تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم
الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص
حرم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة
وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال وقرأ الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح
باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين
المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن
وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان
الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكسبون ولا تأكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه ظاهره في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن
احمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان
لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة
او بما ذكر اسم غير الله عليه لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير
لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تأكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون
الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تأكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون
ما قتله الله وهو يؤيد التأويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون

فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف
الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي
به في الناس مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات
يتأمل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب
ميتا على الاصل كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف
لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين
للمؤمنين ايمانهم زين للكافرين ما كانوا يعملون والآية نزلت في حمزة وابي جهل
وقيل في عمر او عمار وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها
اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعل بمعنى صير ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها
بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف
جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى
على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم
وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي
رسل الله يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف حتى اذا
صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان يأتينا وحي
كما يأتيه فنزلت الله اعلم حيث يجعل رسالته استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست
بالنسب والمال وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي
لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه وقرأ ابن كثير وحفص
عن عاصم رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله يوم القيامة وقيل تقديره من عند

ذل وحقارة بعد كبرهم
يوم

وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان
يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له ويفسح فيه
مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه
وينافيه واليه اشار عليه الصلاة والسلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في
قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى
دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله
يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير
ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون
بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول
ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان
يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن
الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير
يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق
يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب او الخذلان عليهم فوضع الظاهر
موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذي جاء به القرآن او الى الاسلام او
الى ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذي ارتضاه او عادته
وطريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة
كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات
لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه

وخلقه

وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله
اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها
سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم او
ناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم
يحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص
عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم من
الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم
استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع
بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به
اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم
انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم
يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما
فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال
النار مثواكم منزلكم او ذات مثواكم خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم
ان جعل مصدرا او معنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات التي
ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء قبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم
ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي
بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او
اولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي

يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جُمعوا مع
الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون
العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل
الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله ولّوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي
وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيامة قالوا شهدنا على انفسنا بالجرم
والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطاء رأيهم فانهم اغتروا
بالحيوة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة
امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا
للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف اي
الامر ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم
وأن مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان الشأن
لم يكن ربك مهلك اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون
لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك ولكلٍ من المكلفين درجات مراتب مما عملوا
من اعمالهم او من جزائها او من اجلها وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او
قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة
وربك الغني عن العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم
ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه
بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله ان يشأ يذهبكم اي [illegible]

حاجة

حاجة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشأكم
من ذرية قوم آخرين اي قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم ان ما توعدون من البعث
واحوال الآخرة لآتٍ لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم و
جهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ ابو بكر عن عاصم
مكاناتكم بالجمع في كل القرآن وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم
اني عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر
مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضي به
اليه وتسجيل بان المهدد لا يأتي منه الا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر ان يتفصى عنه
فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى اينا تكون له العاقبة
الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية
فالنصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي يكون له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف في المقال
وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرأ حمزة والكسائي ههنا وفي
القصص يكون بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقي انه لا يفلح الظالمون وضع
الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا اي مشركو العرب لله مما
ذرأ خلق من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا
فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم روي انهم كانوا
يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا
منها لآلهتهم وينفقون على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان رأوا ما عينوا

نه زكي بدلوه بالاصنام وان زكوا ما للاصنام تركوه حبا للاصنام وفي قوله
مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء
ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكي له وفي قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه
لم يامرهم الله به وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه
الكسر ايضا كالود والود ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين في قسمة
القربات زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالواد ونحرهم لالهتهم شركاؤهم
من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي
هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله
وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص
ابي مزاده وقرئ على البناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه
زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا
عليه من دين اسماعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من
الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما
زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم
او ما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل لالهتهم انعام وحرث حجر
حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ
حجر بالضم وحرج اي مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال
دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب
والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون اسماء

الاصنام

الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء نصب على المصدر لان ما قالوه
تقول على الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال او المفعول له
والجار متعلق به سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما في بطون
هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم
على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن
ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه سواء وتانيث الخالصة للمعنى فان
ما في معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم في رواية ابي بكر ابن عامر في تكن بالتاء وخالف
هو وابن كثير في ميتة فنصب كغيره او التاء فيه للمبالغة كما في رواية الشعر او
هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر
لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في لذكورنا لانها
لا تتقدم على العامل المعنوي وعلى صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب
وخالصة بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان والمراد
به ما كان حيا والتذكير في فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر
سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله و
تصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها
يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر وقرأ ابن كثير وابن
عامر قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله
رازق اولادهم ويجوز نصبه على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من
البحائر ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة في مثله قد ضلوا وما

وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي انشأ جنات من الكروم معروشات
مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات
ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت في البراري والجبال والنخل
والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقي
مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل
ذلك او كل واحد منها ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء والزيتون
والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما في اللون والطعم ولا
يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك
ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله وآتوا
حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة فانها
فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل الزكاة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد
ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا
بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة
فيه ولا تسرفوا في التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين
لا يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشأ
من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من
شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل
والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا
مما رزقكم الله كلوا ما احل لكم منه ولا تتبعوا

ولا تتبعوا

ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض
بينهما او فعل دل عليه او حال بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه آخر من
جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضأن اثنين زوجين اثنين
الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس
كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه
ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب
بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ معزى قل آلذكرين
ذكر الضأن وذكر المعز حرم ام الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين
بحرم اما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او
انثى نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله تعالى حرم شيئا من ذلك ان
كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين
قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق
والمعنى انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما تحمل اناثها
ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف
كانت تارة زاعمين ان الله حرمها ام كنتم شهداء بل أكنتم شاهدين حاضرين
اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى
معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراء المشركين المقررين لذلك او عمرو بن لحي المؤسس

ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي اي
في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى
محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام ميتة
وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر برفع ميتة على
ان كان هي التامة وقوله او دما مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود
ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال او لحم
خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث
او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له
موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان
يكون فسقا مفعولا له من اهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى
ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول شيء من
ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه
والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك
لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد
ولا على حل الاشياء غيرها الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي
ظفر كل ما له اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر ويسمى
الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت
ظهورهما الا ما علقت بظهورهما او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء جمع حاوية

او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفاين وقيل هو عطف على
شحومهما واو بمعنى الواو او ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص
ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون في الاخبار
والوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب
فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل
او ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يرد
بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم لا
يمكن رده عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره
يدل على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء اي لو شاء
خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلو شاء لهديكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا ارادوا
بذلك انهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح
بارادة الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله
كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل هذا التكذيب لك في ان الله منع من الشرك و
لم يحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير في اشركنا من غير
تأكيد للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم
من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا
ان تتبعون الا الظن ما تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون
تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل
ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة

التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او يبلغ بها صاحبها صحة دعواه
وهي من الحج بمعنى القصد كانها يقصد اثبات الحكم ويطلبه ولو شاء لهديكم
اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم واضلال آخرين قل
هلم شهداءكم احضروهم وهو اسم فعل لا ينصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث و
يجمع عند بني تميم واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف
لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام حذفت الهمزة
بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا يدخل الامر ويكون متعديا
كما في الآية ولازما كقوله هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا
يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك
لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم
فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمهم
موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا
من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الايات متبع الهوى لا غير و
ان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان
وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا امر من التعالي واصله ان
يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه للتعميم اتل اقرأ ما حرم
ربكم منصوب باتل وما يحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان يكون استفهامية
منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اقل اي شيء حرم ربكم عليكم متعلق
بحرم او باتل ان لا تشركوا به اي لا تشركوا ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه

تعليق

قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم [illegible] دل على ان المحرم والمحلل هو الله [illegible] ما احل الله [illegible] فالنبي هو المبلغ والمبين ما افترضه
وما حرم [illegible] الاول الشرك [illegible] ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه لا يقبل معه شيء من الطاعات [illegible]
مبايع الاصنام ومتابعة الهوى في الاثام كقوله افرأيت من اتخذ الهه هواه والحق ملاحظة الاثام بعين استحقاق الانتقام ورؤية الاغيار مع الله
الواحد القهار وثانيها بالوالدين احسانا ذكر بعد تحريم الشرك تحريم العقوق والامر بالاحسان الى الوالدين لانهما سبب وجوده ومنشأه كما ان الله
موجد وجوده وسببه حرم عقوقهما واوجب الاحسان اليهما بعد القيام بعبادته كما قال الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا فالتقاعد
عن اداء حقوقهما عقوق وهو اكبر الكبائر الثالث لا تقتلوا اولادكم حرم قتل الاولاد بعد العقوق لان فيه هدم بنيان الله ونقضه لان الاولاد بنيان

تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل
ان ناصبة محلها النصب بعليكم على انه للاغراء او بالبدل مما او من عائده المحذوف
على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او
المحرم ان تشركوا شيئا يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اي واحسنوا
بهما احسانا وضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة والدلالة على ان
ترك الاساءة في شانهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق
من اجل فقر ومن خشيته لقوله خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية
ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب او
الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم
اشارة الى ما ذكر مفصلا وصاكم به بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فان كمال
العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالفعلة التي
هي احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو جمع
شدة كنعمة وانعم او شد كصر واصر وقيل مفرد كآنك واوفوا الكيل
والميزان بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها
ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر فعليكم بما في وسعكم
وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا فيه ولو كان
ذا قربى ولو كان المقول له او عليه من ذوي قرابتكم وبعهد الله اوفوا
يعني ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتادية احكام الشرع ذلكم وصاكم به

الله وفيه ابطال ثمرة نحوه وجوده وقطع
نسله [illegible] خشية املاق بترك التوكل و
عدم الثقة بالله الرزاق الرابع لا تقربوا
الفواحش [illegible] الاثام
ما ظهر اي ما يبعدهم عن الجنة ويدنيهم
النار وما بطن هو ما يبعده عن الحق و
يحجبه وان لم يحجبه عن الجنة ولم يبعد
منها ايضا ما ظهر بالفعل وما بطن بالنية
الخامس لا تقتلوا النفس تحريم القتل الا
في طلب الحق لان في القتل ترك تعظيم
امر الحق وترك الشفقة على الخلق كقوله
التعظيم لامر الله والشفقة على
خلق الله ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون حكمة
الحرمة لكي تعرفوا موجبات الانتقام من
الله فتحترزوا عنها السادس ولا تقربوا مال
اليتيم الا بما فيه صلاح والعقد اي حتى
ينتفعوا في صلاح الدين لا في فساد الدنيا
ثم حرم اكل المال بعد تحريم القتل فقدم مال
اليتيم لانه عاجز عن حفظ ماله [illegible]
[illegible] بالاجتناب والشفقة السابع
اوفوا الكيل معنيان احدهما تحريم الطمع
في مال المسلم [illegible] نقصان الكيل والوزن عند
الوفاء وزيادتهما عند الاستيفاء الثاني
اوفوا كيل [illegible] وميزان الشرع حقوق
الربوبية واستوفوا بكيل الاجتهاد
وميزان الاقتصاد حظوظ العبودية من
الالوهية قوله لا نكلف نفسا في ايفاء
الحقوق واستيفاء الحظوظ الا وسعها
الى الاستعداد لها الثامن واذا قلتم
فاعدلوا حرم الظلم والجور والميل والحيف
في الفعال والمقال قوله ولو كان ذا قربى
لو كان المسلم على الكافر [illegible]

لعلكم تذكرون تتعظون به وقرأ حمزة والكسائي وحفص تذكرون بتخفيف الذال
حيث وقع اذا كان بالتاء والباقون بتشديدها وان هذا صراطي مستقيما الاشارة
فيه الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان
الشريعة وقرأ حمزة والكسائي ان بالكسر على الاستيناف وابن عامر ويعقوب
بالفتح والتخفيف والباقون بها مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه و
قرأ ابن عامر صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط
ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى
الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات فتفرق بكم
فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع وصاكم
به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصاكم
وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما
وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي
احسن على من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على الذي
احسن تبليغه وهو موسى او تماما على ما احسنه اي اجاده من العلم والشرائع اي
زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي على الذي هو احسن او
على الوجه الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا
لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر
وهدى ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقائه للجزاء وهذا
كتاب يعني القرآن انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون

بواسطة اتباعه والعمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الكتاب على
طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انما لان الباقي المشهور حينئذ
من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان هي المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة على خبر كان
اي وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي او لا نعرف مثلها او تقولوا عطف
على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك
تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة
واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تأمل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف
صحتها او تمكن من معرفتها وصدف عنها فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن
آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم وصدهم هل ينظرون اي ما ينتظرون
يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين
الا ان تأتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالياء هنا وفي النحل
او يأتي ربك اي امره بالعذاب او كل آياته يعني آيات القيمة والهلاك الكلي لقوله او يأتي بعض
آيات ربك يعني اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف
علينا رسول الله صلعم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها
عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب
والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من
عدن يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذ صار الامر عيانا
والايمان برهاني وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من
قبل او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ

قوله لان اضافة الايمان الى ضمير المؤنث ... والكشاف في الضمير المؤنث
الذي هو بعضه وهو الموافق لما في كتب النحو قال المحقق التفتازاني
ان يعنوا بالبعض اعم من ان يكون من اجزاء الذاتي او من صفة القائمة به

المراد نفي أحد الأمرين مطلقا حتى يلزم شمول العدم ولهذا ان اقتصر على أحد الأمرين ولم يدخل النفي على كل واحد منهما ولو اريد ذلك لا دخل النفي على كل واحد منهما ليدل على ان واحدا منها مقصود بالنفي

نفسا غير مقدمة ايمانها او غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد
عن العمل وللمعتزلي تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد
الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا
ايمانها الذي احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون
وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل
ان الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه
قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة
وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة و
تفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي
فارقوا دينهم اي باينوا وكانوا شيعا فرقا تشيع كل فرقة اماما لست
منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم او انت بريء منهم
وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ باية السيف انما امرهم الى الله يتولى
جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
اي عشر حسنات امثالها فضلا من الله وقرأ يعقوب عشر بالتنوين وامثالها
بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين
وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب
قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا
بدل من محل الى صراط اذ المعنى هداني صراطا لقوله ويهديكم صراطا مستقيما

او منصوب

او منصوب بفعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ
من المستقيم باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر
نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابراهيم عطف
بيان حنيفا حال من ابراهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان صلاتي و
نسكي عبادتي كلها او قرباني او حجي ومحياي ومماتي وما انا عليه في حياتي
واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحياة والخيرات المضافة الى
الممات كالوصية والتدبير او الحياة والممات انفسهما وقرأ نافع محياي
باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له
خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك القول والاخلاص امرت وانا اول المسلمين
لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا فاشركه في عبادتي
وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا
عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة
وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم
القيمة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من
المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله
في ارضه يتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان
الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم فيما
آتاكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لان ما هو آت قريب او لانه سريع
اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته

حال في موقع العلة للانكار والدليل له وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية

بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها
على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل
العقوبة مسامح فيها. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام
جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ
الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل اية من سورة
الانعام يوما وليلة   اللهم اغفر لمن نظر ودعا لكاتبه ولوالديه دعا بخير

تم الربع الاول من التفسير المسمى بانوار التنزيل واسرار التاويل لسلطان العلماء القاضي البيضاوي
نور الله مرقده على يد العبد الضعيف المذنب الراجي رحمة
ربه الجليل محمد الخطيب ... تعالى في شهر رجب
المرجب من شهور سنة سبع و...
الهجرة النبوية المصطفوية
حامدا لله ومصليا على

